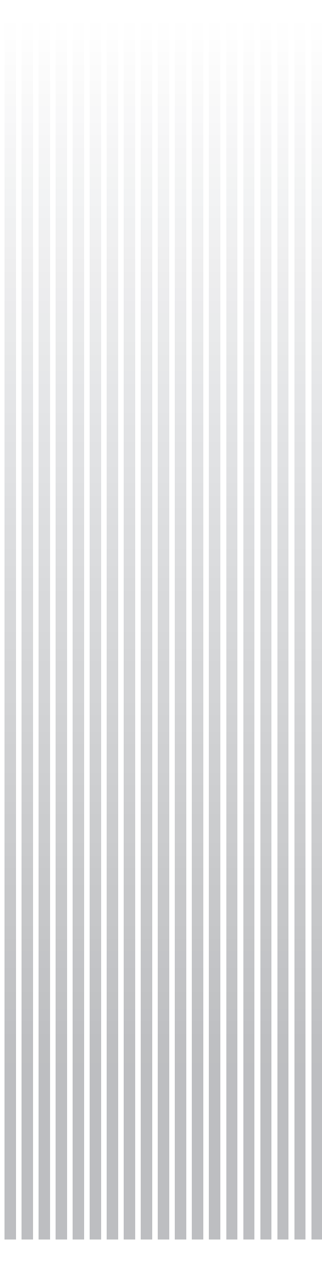


احفظ أولادك
من خطر التقنيات



احفظ أولادك

من خطر

الرقميات

دليل الأهل لتربية
أولاد سعداء، نشيطين ومضبوطين
في هذا العصر الرقمي

د. ديفيد داتوين

ترجمة: مها عز الدين

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص الأصلي الإنكليزي لكتاب "Unplug Your Kids". حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر Adams Media بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين دار الرواد للنشر.

ISBN (ردمك): 978-9933-401-32-0

العنوان: احفظ أولادك من خطر الرقميات

الموضوع: تربية

تأليف: ديفيد دتوين

ترجمة: مها عز الدين

التدقيق اللغوي: د. أحمد السعدي

الإخراج الفني وتصميم الغلاف: فيصل حفيان

عدد الصفحات: ٢٨٨ صفحة

قياس الصفحات: ٢٢ × ١٥



سوريا ـ دمشق ـ حلبوني ـ شارع مسلم البارودي

تلفاكس: 2228261 (11-963+) ـ ص.ب: 4943

www.rowadpub.com

info@rowadpub.com

المحتويات

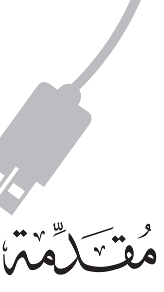


كلمة شكر

إن القيام بتأليف كتاب يعني حتمية وضع الأمور الأخرى كافة جانباً، وهذا بدوره يقتضي لاحقاً أن ينوب أحد ما عن المرء في حمل الأعباء الثقيلة المتراكمة، وبشكل خاص عند القيام بتنشئة صبيين صغيرين جداً. وكأنها لم تكن ضالعة بهذه المهمة سلفاً! إنما يكفي بأن أقول هنا لزوجتي بيتسي أني أشكرها على حمل الأعباء الثقيلة عني! فلا بد أن بعضكم يدرك تماماً حقيقة أن العناية بصبيين ليس بالأمر السهل بتاتاً. كما أني أود أن أشكر والدتي كذلك على اشتغالها معي على خلفيات هذا العمل وتدقيقه لغوياً.

إن كتاباً من هذا النوع يعد نادراً بحق. فمن الأسهل بكثير على الناشرين أن يلزموا بر الأمان، فينشروا الكتب ذات العناوين البراقة ووجهات النظر المتطرفة. فهي أكثر يسراً إلى حد بعيد من حيث تسويقها وبيعها. في حين أنه من الأصعب بكثير نشر كتاب يجانب إغراء بريق الربح السريع والعناوين العريضة، وبدلاً من ذلك يدلي بالحقيقة البشعة : الحياة معقدة. وتأثيرات وسائل الإعلام على أولادك ليست بالمسألة الأقل تعقيداً من أي مسألة أخرى تعترضك خلال حياتك. إنما هناك وضوح في المعرفة. وهذا ما يصبو إليه هذا الكتاب: أن يسكب فيك من المعرفة

عــن الصالح والطالح في الإعلام وعلاقته بالأطفــال، بغض النظر عما إذا كان يولّد عناوين مبهرةً. فهذا الكتاب يخبر القرَّاء بالحقائق المبسطة على نحوٍ مباشــر، ويعرض النصائح التي تصلح للأشخاص العاملين. إنَّ بَيْعَ هذا الكتاب لمهمَّةٌ أكثر مشــقة بكثير، وإني لأدين بالشكر إلى مؤسسة آدم ميديا لأنها وجدت من المناسب قبول التحدي وتبليغ الحقيقة.



مُقدِّمة

بوصفي باحثاً محترفاً فقد أدركت أن لدي نَهَماً للعمل الشاق، أو على الأقل هذا ما يعتقده كل من أصدقائي وأفراد عائلتي. ما أتحدث عنه هنا هو تعريفي لـ «القراءة الممتعة»، والذي يتمثل باستمتاعي بقراءة مقالات المجلات الأكاديمية عن البحوث التي تجرى عن الأطفال ووسائل الإعلام، من بين مواضيع أخرى كذلك. فإن كُنْتَ لم يسبق لك أن قرأت أو حتى اطلعت على أيٍّ من مقالات المجلات الأكاديمية، فلعلك تريد أن تبقى كذلك. فهي بحق كثيفة، ومملوءة بالإحصائيات المحيّرة، ولعلها في كثير من الأحيان قد كُتِبَت بنية تشويش القارئ، أي بالصيغة التي يدعوها الأكاديميون «الغوبدلليغووك أو الثرثرة الأكاديمية». إنما لا، ليست هذه مقالات مايكل، فبصراحة جارحة، هناك الكثير من الباحثين الموهوبين بشكل لا يصدق، إنما مهاراتهم الكتابية أدنى حتى من أن نصفها بالمرغوبة!

بوصفي عالماً باحثاً، أفترض أنني قد غدوت إلى حد ما منيعاً ضد أسلوب الكتابة الرديء. فبالنسبة لي يشكل اكتشاف ما تعلمه الناس، وتعلم ما اكتشفوه، أمراً مثيراً وممتعاً. لذا فعندما بدأ يتنامى اهتمامي بتأثير وسائل الإعلام الجماهيرية على الأطفال، توجهت لكوني باحثاً محترفاً مباشرةً إلى المنبع، ألا وهو: مقالات المجلات الأكاديمية، والكتب

التي وضعها أولئك الذين أجروا هم بأنفسهم البحوث الضرورية لاستنباط حقيقة ما تصنعه وسائل الإعلام بأبنائنا.

إن ما توصلتُ إليه عن طريق المقادير الوافرة من الأبحاث التي أُجريت حول آثار وسائل الإعلام على الأطفال هو التالي: يستهلك الأطفال بفئاتهم العمرية كافة كمّاً لا بأس به مما تبثه وسائل الإعلام، وينتهي بهم المطاف على الأرجح على نحو جيد. هناك جوانب في الإعلام بمقدورها أن تعلم الأطفال مختلف أنواع المعرفة والمهارات وتعزز النمو الذاتي. وهناك أيضاً جوانب في الإعلام يمكنها أن تلحق الأذى بأولادك بعدد لا يحصى من الطرائق، بدءاً بتشتيت القدرة على التعلم وحتى إعاقة النمو الشخصي.

فلأكن أكثر وضوحاً حيال هذا الموضوع : إن الغالبية العظمى من الأطفال التي تمضي الكثير من الوقت في مشاهدة الكثير من البرامج التلفزيونية، ولعب ألعاب الفيديو، وعلى الحاسوب، يضحون فيما بعد بخير. غير أن الأطفال ليسوا بأحجار نرد، فقد تذهب إلى مدينة لاس فيغاس وتراهن ما شئت على احتمالات ربح بسيطة كي «تفوز بكل شيء»، وما من خطأ في ذلك. إنما إن كان شأنك شأن غالبية الأهل، فسوف تبحث على الدوام عن سبل لحماية أولادك. إذ هل سترغب فعلاً بالمخاطرة بصحة أولادك أو بحسن أحوالهم؟ بالتأكيد لا، ما من أحد سيرغب بذلك.

إذاً كيف توفر لهم الحماية؟ إن تزويدك بالإجابات التي تبتغيها هي الغاية التي وضع من أجلها هذا الكتاب. وستجد بين طياته رسالة تمضي معك حتى نهايته، وهي أن الخطوة الأولى في حماية أطفالك من أي تهديد تكمن في استيفاء جوانب المعرفة حول ذلك التهديد. ولكن علاوة على ذلك، يجدر الانتباه على أن كمية البحوث الضخمة التي أجريت تجد أن

هناك آثاراً إيجابية لوسائل الإعلام على الأطفال. لذا فإنك لن ترغب في أن تذهب تلك الفائدة سُدى. بل من الأفضل أن تستعمل بعض أشكال الإعلام في دفع أولادك قُدُماً من حيث تطورهم، في الحين الذي تحد فيه من تأثير أشكال أخرى منه عندما تقتضي الضرورة، للحؤول دون الإعاقة المحتملة لتطورهم ونموهم السليم. إن هذا يخبرك عن الأوقات التي ينبغي عليك فيها أن تقلق، أو تسترخي، أو كيف تحمي، وكيف تعزز. فجميعنا نتفق على أن لوسائل الإعلام تأثيراً هائلاً على الأطفال. فَلِمَ لا نتعلم إذاً كيف نُنمِّي الجوانب الإيجابية إلى الحد الأعلى، بينما نقلص جوانبها السلبية إلى الحد الأدنى؟

بالتسليم إلى أنك مهتم كفاية بهذا الموضوع، (وبرأيي لأنه موضوع مهم لدرجة يجب أن يوليه الأهالي جميعاً اهتمامهم)، وأنك تقرأ هذه المقدمة، هناك احتمال بأنك لربما قد مررت سابقاً بكتب أخرى تدّعي الحديث في المجال نفسه. إن كان الأمر كذلك فعلاً، فإني أرغب أن أُنبِّهك من باب الإنصاف إلى أن هناك نَمَطين من الناس الذين يميلون إلى كتابة هذه الكتب، كما لمَّحت في الشكر الذي أوردته آنفاً. الفئة الأولى منهم تتمثل في الباحث الذي ينطلق ساعياً للعثور على الحقيقة. أما الفئة الثانية فهي فئة الكُتَّاب الذين تبلور في رأس واحدهم أن وسائل الإعلام إما أن تكون أروع ما حدث للبشرية، أو أنها أسوأ ما قد يقع للأطفال صغار السن. وهذه الفئة الثانية ليست مهتمة بأي حال بالحقيقة، بل جُلّ ما يعنيها هنا أن تزخم الكتاب بوابل من الوقائع والإحصائيات التي توافق طريقتها في التفكير.

وإني لآمل، أنك بدورك لا تقرأ هذا الكلام لأنك تعرف سلفاً كلَّ ما يحيط به. فأنت لا ترغب بأن تُلْقى المحاضرات على مسامعك، بل تريد أن تُخاطَب. إنك تقرأ هذا لأنك تبتغي الحقيقة.

فإذاً، أهلاً وسهلاً بك إلى كتابي. وإني لأعتقد أنك ستجد بين طياته الكثير من المعلومات المفيدة والمثيرة للاهتمام. إن هدفنا هو الوصول إلى ما يتوجب علينا فعله نحن الأهل في عالمنا المشبع بوسائل الإعلام، أن نفهم هذا الإعلام بالطريقة التي يفهمه بها أولادنا، وأن نحميهم من خلال تسلحنا بالمعلومات الوافية عن الأمور التي يمكن أن تضرّ بهم. فنحن نعلّم أبناءنا قيادة الدراجة ومن ثم السيارة على نحو آمن، أليس كذلك؟ إذاً ينبغي لنا كما أثبتت العديد من النماذج، بدءاً بمجزرة ثانوية كولومباين وما يليها، أن نعامل وسائل الإعلام بالأسلوب ذاته الذي نعامل به السيارة: أي باحترام. كما يتوجب علينا أن نعي حقيقة أننا غير قادرين حقاً على التحكم بما يفعله أبناؤنا بهذه الآلات، إلا أنه بإمكاننا أن نغرس في نفوسهم القيم التي تعينهم على اتخاذ قرارات عقلانية وذكية عند استخدامهم لهذه الأشياء.

إذاً، فلنبدأ معاً..



الفصل الأول

الإعلام والأطفال

قبل بضعة أشهر اتصلت بي زوجتي هاتفياً لتطلب إلي التوقف أمام متجر محلي لبيع الألعاب لأحضر خراطيش "في تِك" (Vtech). ولكوني كنت في عجلة من أمري حينها، فلم أتوقف لأسأل عن معنى ذلك تماماً، وفكرت بأن أحداً ما في المتجر سوف يساعدني في هذا الأمر. وحين بلغت المتجر دلوني إلى الجدار الذي تحمل رفوفه خراطيش الفي تِك المتوافرة لديهم، فاخترت اثنين منها. واستخلصت من الشعار الموجود عليها أن تكون خراطيش لكتاب تفاعلي كنا نملكه.

لم أكن أدرك الأمر تماماً. ففي الواقع، كنت لحظتها أبتاع لعبة الفيديو الأولى لابني!

لقد تبين أن نظام الفي تِك هو عبارة عن نظام لألعاب الفيديو، ولا يختلف كثيراً عن إخوته الذين سبقوه، كالبلاي ستيشن، نينتيندو،

والإكس بوكس ٣٦٠. إنما بالطبع مظهره أكثر جاذبيَّةً (فهو برتقالي اللون وهيكله مكتنز، إنما مع ذلك، كان يمثل الأساس في لوح مفاتيح لعبة الفيديو).

الطريف في الأمر أن واحدةً من نواة المعلومات التي كنت أبحث عنها أثناء فترة إعدادي لهذا الكتاب، كان جواب السؤال التالي: متى تقوم الأسر التي قُدِّر لها أن تمتلك ألعاب فيديو، بشراء جهازها الأول؟ حسناً، على ما يبدو قد عرفت الجواب! فقد كنت أعتقد أن الطفل لربما سيكون ما بين السادسة و الثامنة من العمر. وتبين أننا ابتعناه عندما كان ولدنا يبلغ من العمر أربع سنوات وثلاثة أشهر تماماً.

تلك كانت خبرة مرضية ومكافئة بحق. فالسرعة التي أدرك بها ابني غايات الألعاب كانت مثيرة. في الحقيقة، في مسيرة حياته وحتى هذه اللحظة، كانت تلك الحادثة واحدة من المناسبات القليلة الأخرى التي تجلت فيها «مسرّة التعليم اللحظي» على نحو كنت قادراً معه على أن أشهد منعطف التعلّم الفوري هذا، ذي النتائج الملموسة والقابلة للقياس.

لقد دفعني هذا إلى التأمل في ألعاب الفيديو. فبالنتيجة تَظهر الأبحاث كلها التي أجريت على ألعاب الفيديو، وبنسبة تسعين إن لم نقل ثمانية وتسعين بالمئة، على أنها ذات موقف سلبي واضح منها. في حين أن ما شهدتُه إلى حد ما هو القدرة الكامنة على التعلم، والتي يمكن تحصيلها من ألعاب الفيديو: فهي تفاعلية، ملونة، ومملوءة بالنشاطات التي تقدم استجابات فورية تتضمن بدورها ألواناً و أصواتاً ، وجميع أنواع الألعاب المتضمنة مكافآت، كتحصيل النقاط مثلاً. فأي من هذه الجوانب لن يروق للمرء؟ بمعنى آخر، لقد بدت ألعاب الفيديو الوسيط الأمثل للتعلم، حيث تضمحل تعقيدات

الحياة كافة أمام المهام الأبسط على الإطلاق: احصل على الحرف «ب» من العصفورة على الشاشة، وستحصل على مكافأة!

إنما لنطالع الأمر من جانب آخر: أهو عمل واقعي أن نترك بعيداً كل تعقيدات الحياة على هذا النحو؟ هل أقوم فقط بربط ولدي بنشاط آخر مرتبط بشاشة الفيديو؟ أليست سن الرابعة عمراً مبكراً للغاية، على الرغم مما شهدته؟ (والذي كان نوعاً من الاستعداد الطفولي للتعلم والتفاعل تماماً بالطريقة التي بدت ألعاب الفيديو أنها توفرها).

وأخيراً، السؤال الأبرز والأكثر إلحاحاً: هل اللعبة المدعوة "قطار حروف توماس والأصدقاء" ما هي إلا الخطوة الأولى لمزيد من اللعب مستقبلاً؟ أهي تمثيل ممهد لألعاب متطرفةِ العنف (فلنقل على سبيل الافتراض: السرقة الكبرى بالسيارة ١٢: كيف تقتل أفراد الشرطة بأحسن طريقة وتنجو بفعلتك ؟)

لسوء الحظ هناك عدد وافر من الأشخاص الذين يجيبون عن سؤال من هذا القبيل بـ «نعم». بالفعل، لقد فقدتُ مسبقاً المصداقية لدى أي قارئ يشكك في مناقشات من هذا القبيل. إن الجواب عن هذه المسائل لا يكمن في أحاسيسنا وارتيابنا بما قد تفعله وسائل الإعلام بأطفالنا. بل تكمن الإجابة في بحث جيد متين الأسس عن الموضوع.

أهمية إجراء البحث

إنه لمن المهم التريث والتحدث عن أسباب ضرورة إجراء البحث. البحث، الذي يتم في الأغلب على أسس علمية، هو عملية استكشاف

العــالم من أجل تعرية الحقائق التي فيه. فمنذ زمن بعيد ، أدرك الفلاســفة والعلمــاء الناشــئون في حركــة التنوير أن كماً لا يســتهان بــه مما اعتقد البشر أنه من «حقائق» العالم لم يكن كذلك حقاً (كما تعلمون، مثل أن الأرض هــي مركز النظام الشمســي). لقد بدؤوا يدركون أنه من أجل أن يجدوا الحقيقة، كان عليهم بداية أن يفهموا سبب عثورنا على الأكاذيب. والجــواب عــن ذلك هو أن هناك الكثير من النواقــص المتعلقة بكل واحد منا. فنحن نميل إلى السماح لانطباعاتنا الأولى أن تؤثر في أحكامنا أكثر من اللازم. إننا نكوّن آراءً نمطية شــائعة، وندع مشــاعرنا وغرورنا يعترض طريق اتخاذ القرارات الصائبة، ونقبل ما يخبرنا به الآخرون استناداً بدافع الثقة وحدها.

برزت الحاجة حينئذ إلى منهج يزيل آثار تلك النواقص التي لدينا جميعاً. في زماننا يعرف هذا بالمنهج العلمي.

إن هــذا المنهــج ليس كاملاً بحالٍ من الأحــوال، و لكنه المنهج الوحيد الأكثر اعتماداً لدينا و دقة لاكتشــاف حقيقة ما حول هذا العالم. يســتند هذا المنهج إلى تقارير ومقابلات وتجارب لتحرّي تأثير أحد الأمور على آخر.

على ســبيل المثال، تأثير الإعلام على الأطفــال. أو لنكن أكثر دقة، تأثــير البرامــج التلفزيونية العنيفة علــى عدد الأفــكار العدوانية التي تمر بولــدك المراهق خــلال اليوم. وهذا مثال واحد فقط. ففــي هذه الأيام، قام العلمــاء الباحثون بطرح المئات من الأســئلة المماثلة المتعلقة بتأثيرات وســائل الإعلام الجماهيرية على أولادنا.

إن المنهــج العلمــي، كمــا سأشــير مراراً، يهــدف دائمــاً للإجابة عن ســؤالين اثنــين: أولهما، هل هناك أثــر يمكن اقتفاؤه علميــاً لأحد أمرين

(البرامج التعليمية التفزيونية، على سبيل المثال) على الآخر (التعليم ما قبل المدرسـي)؟ والسـؤال الثاني، إن كان هناك أثر فعلاً، فما مقداره؟ بمعنى آخر، هل سيتعلم أطفالي بضع كلمات وحسب من برنامج تلفزيوني تعليمي للمفردات، أم سيتعلمون المئات منها ؟

منهج البحث

كيف يتوصل العلماء إلى الكيفية التي تقوم من خلالها وسائل الإعلام بالتأثير علينا؟ هناك بصورة نمطية ثلاث طرائق يبحث عبرها العلماء في آثار وسائل الإعلام. بادئ ذي بدء، ينظر الباحثون في مضمون ما يبثه الإعلام. فمن السهولة بمكان على الناقدين أن يسموا الإعلام بمجمله على أنه عنيف إلى أقصى درجة، وتغمره المضامين الجنسية، ولكن العلماء لا يؤدون المهام بهذه الطريقة. فهم بحاجة لأن يعرفوا على وجه اليقين، لذا فإن ما يفعلونه هو جمع الكثير من إحدى وسائل الإعلام. فمثلاً يجمعون المجلات العشر الأكثر شهرة ومبيعاً بكل أعدادها التي صدرت خلال السنوات العشر الأخيرة، ومن ثمّ يقيسون صفحة بصفحة إلى أيّ مدى تحوي المضامين العنيفة والجنسية مقابل المضامين المغايرة لذلك.

ما إن يحيط الباحثون علماً بما تحتويه وسائل الإعلام حقاً حتى يشرعوا بدراسة آثارها الممكنة. إحدى الوسائل الأخرى للقيام بذلك هي عن طريق إجراء مسح على الناس. باختصار، يقومون بطرح أسئلة على الناس تتعلق بأنماط استهلاكهم لوسائل الإعلام، وكذلك مدى أرجحية احتمال أن يكونوا عدوانيين أو أن يعتقدوا بأفكار جنسية نمطية شائعة. أو في حال الأطفال تتطرق الأسئلة إلى احتمال وجود مشاكل في الانتباه لديهم، أو

اضطرابات في النوم. فإن كان استخدام النوع المناسب من الإعلام مرتفعاً لدى بعض الأشخاص دوناً عن غيرهم (كأن يكون الشخص - مثلاً - ليس فقط غير متابع لكثير من المواد الإعلامية ، بل وتحديداً لتلك التي تحوي الكثير من العنف)، ووجد لدى هؤلاء الأشخاص ذاتهم ميول عدوانية أكبر من غيرهم، عندها يقول الباحثون إنَّ هناك علاقة تبادلية أو ارتباطاً ما بين مشاهدة برامج التلفاز العنيفة وامتلاك المرء للمواقف العدوانية. ومع ذلك، فإن مشكلة العلاقات المتبادلة أنها لا تثبت أن أمراً ما هو الذي يُسبِّب الآخر.

فبالفعل، هناك احتمال قوي في أن يكون الأشخاص ذوو الميول العدوانية يسعون إلى متابعة البرامج العنيفة على التلفاز. إنما لحسن الحظ يستطيع الباحثون أن يستخدموا نماذج رياضية دقيقة ليستبعدوا إحصائياً العوامل الأخرى. فمثلاً ، يعد وجود الأهل العدوانيين عاملاً جوهرياً يفضي إلى وجود أبناء عدوانيين أيضاً. فإنه بوضع هذا العامل في سياق التحليل، يمكن أن يختفي التأثير المفترض للبرامج التلفازية العنيفة. ومع هذا يكون من الصعب أحياناً على الباحثين قياس التفسيرات المحتملة الأخرى كلها. وعليه فإن الأبحاث المبنية على العلاقات التبادلية يجب أن يتم الحكم عليها على الدوام استناداً إلى مدى الشمولية التي يتناول الباحثون بها الأشياء، ومدى سيطرة التفسيرات المحتملة الأخرى.

وأخيراً يقود الباحثون التجارب. تمتلك هذه التجارب ميزة القدرة على إظهار السببية. فعلى سبيل المثال، يمكن للباحثين أن يأخذوا مجموعة من الأشخاص، ومن ثم يقومون بتوزيعهم عشوائياً على مجموعتين، الأولى ممن يتابعون البرامج غير العنيفة ، والثانية من متابعي البرامج التلفزيونية العنيفة. تتجلى الميزة هنا في أنه نظراً إلى أن توزيع العينة كان عشوائياً ضمن

المجموعتين فإن أي ميول عدوانية مسبقة توزع بالتساوي على المجموعتين، وبالتالي لا يمكن أن تكون عاملاً يؤخذ بالاعتبار في سياق البحث. وبعد أن تتابع كل من المجموعتين نمطاً محدداً من البرامج (يحوي عنفاً أو لا)، يَطْلُبُ إليهم مُجرو التجارب أن يملؤوا استبياناً. مثلاً يمكنهم أن يسألوا المشاركين إلى أي حد يعتقدون أن الصراخ يفيد في حل مشكلاتهم أحياناً، على أن تكون إجاباتهم وفقاً لمقياس مدرَّج من واحد إلى عشرة. فإن أعطى الأشخاص الذين شاهدوا برامج تحوي عنفاً أثناء التجربة نقاطاً أعلى من أولئك الذين شاهدوا برامج لا تحوي عنفاً، تكون التجربة قد أظهرت أن التلفاز لا يرتبط فقط بعلاقة تبادلية مع الميول العدوانية، بل يمكنه في واقع الأمر أن يسبب توجهات عدوانية أيضاً.

ولعل المشكلة الوحيدة الأهم المتعلقة بالتجارب هي أنها غالباً ما تقيس السلوك في محيط تجريبي أو اصطناعي. فهل يتفاعل الناس بالطريقة ذاتها لو أنهم شاهدوا العنف على التلفاز في منازلهم؟ وثانياً، إن القائمين على التجارب يقيسون عادة ما إذا كانت المجموعتان تتصرفان بشكل مختلف، أو تجيبان عن الأسئلة على نحو مختلف في مرحلة ما، تماماً بعد انتهاء أفرادهما من متابعة الإعلام الحاوي عنفاً أو غير الحاوي عنفاً. بمعنى أن هذا يدعهم غير واثقين مما إذا كانت مشاهدة الإعلام الناضح عنفاً ذات أثر طويل الديمومة.

على الرغم من هذه النقائص، فالأبحاث المجراة على تأثير وسائل الإعلام كانت غاية في النجاح؛ لأن وسائل الإعلام كانت معنا على مدى عقود عديدة، فقد سنحت الفرصة للباحثين ليدرسوا غالبية آثارها الرئيسة المحتملة وبوسائل متعددة ومختلفة. بمعنى آخر، إذا ما وَجَد مسحٌ أو تجربة صلةً بين البرامج التلفازية العنيفة والأفكار العدوانية، فيمكن لأحدهم

أن يجد من العيوب في تلك الدراسة المفردة ما يكفي لأن يشكك بها. فالافتقار إلى دراسات أخرى لدعم تلك المعلومات يمكن أن يقلل من الثقة بأن ما تم التوصل إليه حقيقي فعلاً. ولكن عندما يتم إجراء خمس عمليات مسح وخمس تجارب مختلفة، وتجد تسعة من أصل عشرة من مشاريع البحث هذه صلةً بين برامج التلفاز العنيفة والأفكار العدوانية، عندها يمكن للمرء أن يتأكد من أن الباحثين على دراية بما يفعلون. وبالنسبة لكثير من المواضيع التي درسها الباحثون في شؤون الإعلام، فقد أجريت بالفعل دراسات متعددة على المواضيع ذاتها.

الإخبار عن الأبحاث:

إن كان هناك من وجود لمشكلة جادة فعلاً متعلقة بالأبحاث، فهي تكمن في أن الصحفيين على ما يبدو يفتقرون إلى القدرة على الإخبار عن الأبحاث على نحو فعال، بطريقة توصل إلى الناس العاديين الحقائق التي يحتاجونها. إن النموذج المحتذى هنا، أنه عندما تخرج الأبحاث لتظهر آثاراً سلبية لوسائل الإعلام الجماهيرية، فإنها تحظى بتغطية إخبارية طيبة تماماً. إنما لِمَ التوجه إلى الصحافة ؟ الجواب : لأنها تبيع الورق.

المشكلة في أن الصحفيين، كما ألمحت سابقاً، لا يفهمون عن البحث ما يكفي كي يتمكنوا من فهم ما يعنيه حقاً ذلك البحث. الباحثون يسعون إلى العثور على فروقات تكون «مهمة إحصائياً». هذا يعني أنهم من ناحية رياضية يجدون أن أحد أمرين (كالمضامين العنيفة في وسائل الإعلام) مترافق بأمر آخر (الأفكار العدوانية). ولكن معظم الصحفيين والباحثين على حد سواء، يخفقون في طرح السؤال التالي، ألا وهو: ما معنى ما توصلنا إليه على أرض الواقع؟ ففي كثير من الأبحاث، التي تكون

«مهمــة إحصائيــاً» فإنها في أحســن الأحوال تأخذ أبعاداً هامشــية في عالم الواقع. وكما ســأناقش في الفصل التالي، فإن الباحثين كريســتاكيس وتســيمرمان على ســبيل المثال، قد توصلا بالفعــل إلى صلة رياضية ما بين مشــاهدة التلفاز دون سن الثانية ومشــاكل في التركيز عند بلوغ السابعة. إلا أن المــرء عندمــا ينظر إلى مــا تعنيه الأرقام الرياضية علــى أرض الواقع نجد أن عشــرة بالمئة من الأطفال في عمر الســابعة يعانون من مشــاكل في الانتباه. ومقابل كل ساعة إضافية على متوسط عدد الساعات التي يمكن لطفل في ســن الثانية أن يشاهدها من التلفاز، يصبح الطفل أكثر احتمالاً للإصابة بمشــاكل في التركيز والانتباه بنسبة واحد في المئة. فإذاً أضحت النسبة الآن أحد عشر بالمئة. أهو بفارق؟ نعم. أيستحق عناوين رئيسة مهمة؟ ليــس علــى الأرجح. إن جزءاً من أهــداف هذا الكتاب ليــس نقل الحقائق وحســب، بــل فِعْلُ ذلك علــى نحوٍ يتيــح للجميع فهمها، وعلــى نحو يترجم الإحصائيات إلى حقائق مفيدة على أرض الواقع يومياً.

المشكلة في المعدلات الوسطية:

هناك سبب آخر في أن البحث يصبح أحياناً أكثر «وطأة» مما ينبغي، وهو أن المنافذ الإخبارية تحب الإخبار عن المعدلات الوســطية. فمثلاً، كم ســاعة من التلفاز يشــاهد أبناؤنا؟ الإجابة التي تأتينا هي المعدل الوســطي الوطني. إنما من المهم أن نلاحظ أن «متوسط» مقدار مشاهدتنا للتلفاز هي إحصائية مخادعة قليلاً.

فلنتصور لعبة النواســة التي يجلس الأطفال علــى طرفيها ويتأرجحون صعــوداً ونــزولاً، ولنتخيــل للحظة وجــود طفل يثق ثقة مطلقــة في أن اسمه ســيدرج تالياً على لائحة اللاعبين المشاهير فيها، أي أنه طفل ضخم الجثة.

والآن على الطرف الآخر يجلس طفلك ذو الحجم المتوسط، بل لعله يكون أيضاً أصغر من الحجم العادي. فما الذي سيحصل على النواسة؟ لا شيء البتة، صحيح؟ فالطفل الضخم أثقل بكثير من أن يتحرك، على الرغم من محاولات الطفل صغير الحجم أن يقفز إلى الأعلى والأسفل على جانبه لتحريكها، إنما لا شيء. فالنواسة تبقى منتصبة عالياً في الهواء. فما الذي سيفعله الآن؟ ينادي أصدقاءه بالطبع، وما إن يتجمَّع ثلاثة منهم فوق بعضهم على جانبهم حتى تبدأ النواسة بالتزحزح. اضف طفلاً آخر وتتوازن النواسة وتتحرك صعوداً وهبوطاً إلى الأعلى والأسفل.

إن هذا تماماً ما يحصل عندما يقوم المرء بحساب المعدلات الوسطية فتعترضه أرقام «ضخمة بشكل زائد» على النهاية العالية من المقياس. فلكي نعثر على تلك النقطة الوسطى المثالية يتوجب على العديد من الأشخاص أن يتجمَّعوا على طرف واحد كي يوازنوا الأطفال الضخمين الموجودين على الطرف الآخر. وكذلك هو الحال بالنسبة لمتوسط عدد ساعات مشاهدة التلفاز. إذ يتضح أن هناك قلة من الأطفال على النهاية المتطرفة من ساعات مشاهدة التلفاز (أي أنهم يشاهدونه لعشر ساعات أو أكثر يومياً)، والكثير الكثير من الأطفال يمضون أقل من ساعة مشاهدة يومياً على النهاية الأخرى.

نمط الحقيقة التي يجدها البحث

وفي النهاية، لعله سيكون من المعين لك، كي تجد البحث الذي أقدمه في هذا الكتاب معقولاً ومفهوماً، أن أصف لك أنماط النتائج التي ينظر فيها الباحثون عادة. هناك ثلاثة أنماط رئيسة من نتائج الأبحاث التي

سألمح إليها الآن، ومرة أخرى لاحقاً في هذا الكتاب. الأول هو «المعرفة»؛ وإني لأضع المصطلح هنا على صورة اقتباس لسبب محدد تماماً، وهو أن ما أشير إليه هو ما يعتقد الناس أنهم يعرفونه. على سبيل المثال، ما عدد الجرائم العنيفة التي تقع في حيك؟ ما عدد من هم في سن السادسة عشرة ومروا بخبرات اتصال جنسية؟ لعل هذه الأشياء من الأكثر دقة أن يشار إليها على أنها آراء كوّنها الناس، إلا أنهم من ناحية ثانية يكونون في بعض الأحيان مقتنعين جداً مما يعتقدون أنهم يعرفونه، مما يدعوني إلى تسميتها المعرفة الشخصية.

فإذاً السؤال هو التالي، هل تؤثر وسائل الإعلام فيما نعتقد أننا نعرفه؟ فعلى سبيل المثال، هل يعتقد الأطفال الذين يشاهدون برامج ذات مضامين جنسية وافرة أن الكثير ممن هم في عمر السادسة عشرة قد مارسوا الجنس، أكثر من الأطفال الذين تندر مشاهدتهم لمثل هذه البرامج؟

ثانياً، ينظر الباحثون إلى المواقف. ولنستمر بالمثال ذاته فنسأل، هل ينتهي الأمر بالأطفال الذين يشاهدون الكثير من البرامج ذات المضامين الجنسية بأن يمتلكوا مواقف متساهلة حيال الجنس أكثر من أولئك المقلّين في مشاهدة البرامج ذات المضامين الجنسية؟ وأخيراً، هناك السلوك. فهل تؤدي مشاهدة البرامج الجنسية فعلاً إلى ابتداء مبكر في التصرفات الجنسية؟ هذه التأثيرات الثلاثة، المعرفة والرأي، المواقف، والسلوك، تؤلف درجات متزايدة من التأثير. بمعنى آخر، أن تقنعنا وسائل الإعلام أن العالم مكان يزخر بالعنف شيء، وأن تدفع أحدهم لامتلاك مواقف عدوانية تجاه الآخرين شيء آخر . كما وأنه لأمر مختلف بكليته إن كانت وسائل الإعلام قادرة على إقناع الناس بأن يتصرفوا بعنف. إجمالاً، تنظر بنية الأبحاث إلى كل من هذه المستويات في مختلف مجالات الاهتمام.

مجالات الاهتمام

ستجد أن كل فصل في الكتاب يحوي مقاطع مخصصة لنماذج معينة من وسائل الإعلام. ووسائل الإعلام التي تمت مراجعتها في هذا الكتاب هي:

التلفاز: لتسهيل عملية الكتابة وتيسير قراءة هذا الكتاب سأستخدم مصطلح التلفاز للبرامج التلفزيونية وأقراص الـ DVD المدمجة والأفلام التي تتم مشاهدتها جميعاً على شاشة التلفاز. فعلاً، برنامج القرص المدمج الخاص بالأطفال، يمكن مشاهدته إما على التلفاز أو عن طريق مشغل للأقراص المدمجة (كذاك الموجود في السيارة) أو على الحاسوب. كل ذلك ينضوي بشكل عام تحت مظلة البحث في التلفاز. في الفصول المتقدمة ستنفصل الأفلام مكوِّنةً فئة مستقلة بما أن البحث يبدأ بالتركيز على الأفلام بشكل يختلف عن التلفاز حين يصبح الأطفال أكبر.

الموسيقى: وتشمل كل ما يبث بأجهزة تخلو من الشاشات، كمذياع السيارة، ومشغل الـ MP3، أو حتى العروض الغنائية الحية.

الحواسيب والإنترنت: بشكل عام، يشمل هذا كل وقت يكرّس لقضائه أمام شاشة الحاسوب، بخلاف ذاك المتعلق بمشاهدة برامج التلفاز والأفلام على أقراص مدمجة.

ألعاب الفيديو: يمكن أن تُلعب إما على شاشات الحاسوب أو التلفاز.

الإعلان: كما قد تخمّن، يشمل هذا الإعلانات بكافة أشكالها بغض النظر عن الوسيط الذي ينقلها.

خطة اللعب

ينبسط هذا الكتاب أمام القارئ بصورة مباشرة. فكل فصل يتوجه إلى مرحلة محددة من العمر يمر عبرها الأطفال، والتي تتراوح من الأطفال الرضع والأطفال في المراحل الأولى من مشيهم، وحتى يصبحوا في المدرسة الثانوية. وفي كل فصل ستتم مناقشة المواضيع ذات الصلة. حيث يفتتح كل فصل بالحديث عن وسائل الإعلام التي تعرض على الشاشات التقليدية (شأن التلفاز، والأقراص المدمجة الـ DVD، والأفلام)، ومن ثم ينتقل إلى الحواسيب والانترنت، ألعاب الفيديو، الإعلانات، وأخيراً الموسيقى. إنما ليست كل الفصول تحوي هذه الأقسام على أي حال، بما أنه هناك فئات عمرية لا يوجد ما يمكن مناقشته بخصوصها عن تلك المواضيع. تميل المواضيع إلى أن تتخذ منحى تراكمياً، بمعنى أنه لمجرد أن ألعاب الفيديو العنيفة قد تمت مناقشتها في الفصل المتعلق بالأطفال ما قبل سن المراهقة، فذلك لا يعني أن الخطر يزول بالنسبة لطلاب المرحلة المتوسطة. فبالفعل، إن الاحتمال الأرجح أن يقوم ولدك في المدرسة المتوسطة بلعب ألعاب الفيديو العنيفة أكثر منه حين يكون ما بين مرحلة طفولته المتوسطة (التي تبدأ في الثامنة تقريباً) وسن المراهقة.

غير أن هذا الكتاب قد بُني على نحوٍ يعلّم الأهل أن يشجعوا النقاش قبل أن تسود هذه المشاكل أو السلوكيات، بدلاً من الانتظار إلى ما بعد نشوئها.

لقد صمم هذا الكتاب ليكون أكثر من مجرد دليل واقعي يزخر بنصائح للتغلب على العثرات، المحتمل الوقوع فيها لوسائل الإعلام الجماهيرية. لقد صُمِّم ليكوِّنَ ثقافة لديك أنت وأولادك، ثقافة وسائل

الإعلام. أن يكون المرء مثقفاً في القاسم المشترك الأدنى يعني أن يكون قادراً على القراءة. أما أن يكون مثقفاً بمعنىً أكثر تطوراً للكلمة فهو أن يكون متسلحاً بكيفية التعامل مع شيء ما. كذلك الحال مع وسائل الإعلام. فهي تقدم لنا واقعاً بديلاً يُظهر على الدوام صورة ما، أو يملي علينا كيفية التفكير أو التصرف، سواء حدث هذا على نحو مقصود أو غير مقصود. إن الأشخاص الذين يملكون ثقافة إعلامية يمضون حياتهم وهم في حالة سيادة على وسائل الإعلام، بدلاً من أن تكون هي، إلى حد ما، مَنْ يسيطر عليهم من خلال مقارباتها وإغراءاتها المقنعة. وعليه فإن مساعدتك لأبنائك ليصبحوا مثقفين إعلامياً يماثل إعطاءهم درع وقاية ضد تأثير وسائل الإعلام. فهذا يرفع لديهم سوية الوعي لمدى الأثر الذي يمكن أن تتركه وسائل الإعلام، وبالتالي يحميهم من ذاك التأثير.

آمل أن أكون قد أثرت شهيتك، فهناك العديد من الأسئلة الساحرة المتعلقة بالآثار المحتملة لوسائل الإعلام على أبنائك. كما وهناك الكثير من الوسائل لحمايتهم من وسائل الإعلام الضارة، ولتعليمهم كيفية التعامل مع الأنماط الكثيرة المختلفة من وسائل الإعلام ومحتوياتها. إن هذا الكتاب بمثابة دليل متواضع للنجاة ، سأخبرك فيه عما توصلت إليه الأبحاث، وماذا يعني ذاك بالنسبة إليك، وكيف يمكنك تطبيقه عملياً.

فإذاً لنبدأ...

الفصل الثاني

الرضّع والأطفال في عمر المشي

لقد وقع أمر طريف أثناء عودتنا من المستشفى. فها نحن، والدان فخوران نمطيان، ووليدنا الأول يقبع في المقعد الخلفي للسيارة. لقد انتهت المحنة، والجميع باتوا بصحة طيبة وبأمان. كنا قد قرأنا الكتب، شاهدنا البرامج الخاصة، حضرنا الصفوف الخاصة بالتوليد، وأخيراً أسهمنا في ولادة طفلنا الأول إلى العالم بنجاح.

وصلنا المنزل، وأدخلنا الرضيع آيدن إليه، فما كان منه إلا أن نظر حوله قليلاً دون أن يتمكن فعلاً من التركيز على شيء بعينه بأي حال، ثم قرر أن يغفو قليلاً. والآن ماذا سنفعل؟ لم يكن لدينا أدنى فكرة!

ياله من انحدار بعد ذروة الحدث.

وهكذا قمنا بما يمكن أن تقوم به أي عائلة من الطبقة المتوسطة... لقد طلبنا بيتزا عبر الهاتف. ومن ثم أدرنا التلفاز و تابعنا فِلماً. عاجلاً أم آجلاً

استيقظ طفلنا الرضيع، فكانت تلك لحظة اللقاء. أيها التلفاز هذا ولدنا، ويا ولدنا هذا هو التلفاز. سيكون فيما بينكما بلا ريب علاقة حميمة وطويلة جداً، مهما قد نحاول أن تكون على عكس ذلك.

يتمحور هذا الفصل حول السنوات الثلاث الأولى الحاسمة من العمر، وتقديم وسائل الإعلام الإلكترونية لأطفالكم فيها. إن السؤال في حد ذاته الذي يطرحه المرء هنا ليس عن «ماذا» نقدم (وهو الذي يأتي فيما بعد)، بل عن «متى» نقدمه. فمتى ينبغي لطفلي أن يبدأ بمشاهدة التلفاز؟

كما سنرى، يُظهر البحث أنه لكي تكون من الأهل الصالحين بإمكانك أن تعمل مع التلفاز، إن أنت استخدمته بذكاء، حتى مع الأطفال الذين هم دون سن الثانية. ولكن يجب عليك بأي حال أن تقلّص من مدة المشاهدة إلى نصف ساعة يومياً، أو إلى ساعة بين الفينة والأخرى (انظر في الأسفل للحصول على مزيد من المعلومات الداعمة). من المؤكد أنه كلما قصرت المدة كان ذلك أفضل، ولكن لا يفوتنا أنه ليس المهم الكم الذي تتيح لأولادك رؤيته، بل المهم هو النوع الذي سيرونه.

إن أفضل مكان نبدأ منه كل فصل هو إجراء تقييم لما تفعله مع أبنائك في الوقت الراهن:

الاختبار الذاتي لمدى استهلاك الرضع والأطفال في سن المشي لوسائل الإعلام:

١. **مشاهدة طفلي للتلفاز:**

أ ـ لا يحدث مطلقاً.

ب ـ قرابة الـ ____ دقائق أو ساعات يومياً.

٢. **استماع طفلي للموسيقى:**

أ ــ لا يحدث مطلقاً.

ب ــ قرابة الـ ـــــ دقائق أو ساعات يومياً.

٣. **نعم أم لا:**

على الرغم من أن طفلي قد يشاهد التلفاز أو ليس بعد ، غير أن التلفاز يعمـل على برامج تخص الكبار عندما يكـون طفلي - أو طفلتي - موجوداً في الغرفة.

٤. **نعم أم لا:**

لدى طفلي تلفازٌ في غرفته.

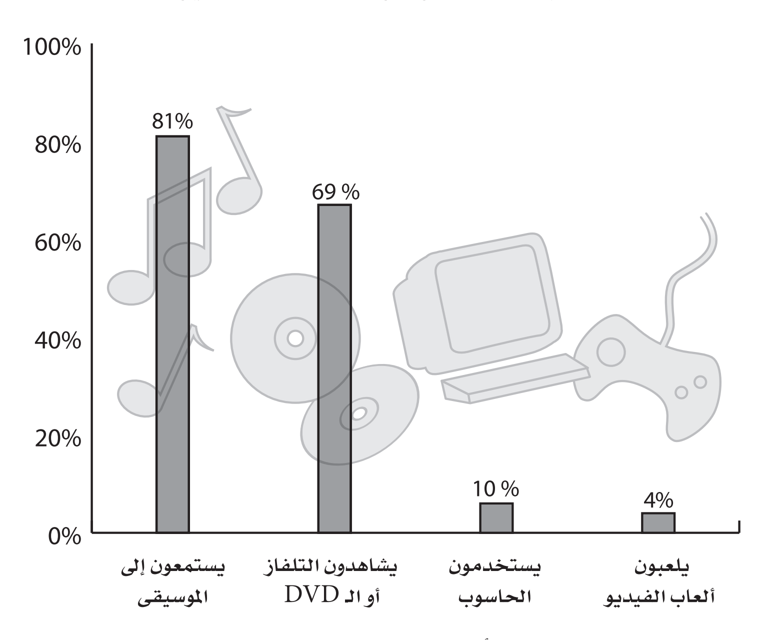
فـإذاً كيف تبلـي؟ والآن دوِّن إجاباتك في الجـدول أدناه ، (ولتتذكر إجابات السؤالين الثالث والرابع لأنها ستلزمك لاحقاً في هذا الفصل) :

الوقت الذي يمضيه طفل حتى عمر الثالثة، خلال يوم نموذجي، في:	
الاستماع إلى الموسيقى	١ ساعة ، ٨ دقيقة
مشاهدة التلفاز والـ DVD	١ ساعة ، ٤٧ دقيقة
هل يملك طفلك في سن الثالثة أو ما دون، تلفازاً في غرفته؟	
لا	٣٠ ٪
نعم	٧٠ ٪

المصدر: مؤسسة كايسر العائلية.

في يوم نموذجي،

نجد نسبة الأطفال من سن الثالثة وما دون الذين...



المصدر: مؤسسة كايسر الأسرية.

فلتكن صادقاً مع نفسك. أيعدُّ أطفالك من ذوي الاستهلاك المرتفع لوسائل الإعلام نسبةً إلى سنهم؟ أم من ذوي الاستهلاك المنخفض؟ أم أنهم على الحد المتوسط؟ حتى وإن كانوا على الحد المتوسط فلتتابع القراءة؛ لأنَّ الباحثين قد وجدوا مع ذلك بعض الأثر للتلفاز على طفلك الصغير.

ما المقدار الذي يشاهدونه سلفاً؟

كما تُظهر الجداول على هذه الصفحة، في المعدل، يشاهد الأطفال ممن هم في سن الثانية وما دون مقداراً لافتاً من البرامج التلفزيونية (ولنتذكر من الفصل الأول أنني أعرّف التلفاز على أنه أي شكل من أشكال استخدام التلفاز سواء كان لمشاهدة المحطات الأرضية أو الفضائية، عرض مشغلات الـ DVD أو الـ VCD، أي باختصار كل ما يستخدم المرء التلفاز لأجله باستثناء استخدامه لأجل ألعاب الفيديو أو ليكون شاشة عرض للحاسوب).

وفقاً لمؤسسة كايسر الأسرية وغيرها من المؤسسات المحترمة، فإن قرابة ثلاثة من أصل أربعة أطفال دون سن الثانية قد شاهدوا على الأقل بعضاً من البرامج التلفزيونية يومياً في فترة حياتهم القصيرة حتى ذلك الحين. ومن بين أولئك الذين يشاهدونه بالفعل كل يوم تقريباً، فإنهم يشاهدون بالمعدل ما يزيد قليلاً على الساعتين من البرامج التلفزيونية.

من المهم ملاحظة أن معدل (أي متوسط) الساعتين هذا من مشاهدة التلفاز هو، كما سبق وذكرنا في الفصل الأول، واحد من تلك الإحصائيات التي تشاهد فيه الغالبية أقل من ذلك، لأن المعدل يتاثر بإفراط بالقلة الذين يشاهدون التلفاز مدة خمس ساعات فأكثر يومياً.

إنما من هم أولئك الأشخاص الذين يتركون أولادهم ليشاهدوا التلفاز لست ساعات، سبع، أو حتى أكثر يومياً؟ بشكل أساسي، هم أبناء المنازل التي تبقي جهاز التلفاز يعمل طيلة اليوم. فكما وجدت دراسات مؤسسة كايسر وغيرها، إن الأطفال في أوساط منزلية من هذا القبيل يزداد بنسبة

الضعف تقريباً احتمال بدئهم بمشــاهدة للتلفاز قبل بلوغهم السنة الأولى من عمرهم. وأيضاً ، إن هؤلاء الأطفال وســطياً تزيد مشــاهدتهم للتلفاز نصف ساعة يومياً على المنازل التي لا تدير التلفاز بشكل اعتيادي طوال الوقت.

يملك المتابعون بإفراط للتلفاز كذلك أجهزة تلفاز في غرفهم الخاصة. فقد وجدت دراســة لمؤسسة كايسر أن امتلاك جهاز تلفاز في غرفة النوم،

شاشات التلفاز، في كل مكان!

باتت اليوم فرص مشــاهدة شاشــة التلفاز أكثر بكثير مما كانت عليه قبل جيل مضــى. بدايةً، أضحت الأســر تملــك عدداً أكبر من أجهزة التلفــاز، وفق كل ذلك تملك الأســر أيضاً حواســيب قادرة على عرض أقراص الـ DVD المدمجة أو برامج أخرى غيرها. أضف إلى أننا أصبحنا نأخذ الأقراص المدمجة معنا على الطريق. فقد غدت الكثير من السيارات مجهزة هذه الأيام بشاشة واحدة على الأقل، وعدد كبير من الأهل يبتاعون مشــغلات أقراص مدمجة محمولة. أنا شــخصياً أملك مشــغلين محمولــين، واحداً لكل من ولديّ! إننا نعي بشــدة أن عدد ســاعات مشــاهدة التلفاز ليســت بالأمــر الذي يحصل في المنزل وحســب. فــإن كان على المرء مثــلاً أن يقطع مســافة نصف ســاعة إلى روضة الأطفال ونصف ســاعة أخرى عائداً منها، وكان مشغل الأقراص يعمل في رحلتي الذهاب والإياب، يكون قد أضاف ساعة يومياً على ســاعات مشاهدة طفله للتلفاز. لهذا السبب نقوم نحن بإخراج المشغلات التي نملكها من الخزانة فقط أثناء الرحلات الطويلة.

على الرغم من أن الطفل قد يتذمر إن كان يرغب بشدة في مشاهدة التلفاز وأنت لم تجز له ذلك، إلا أن هناك الكثير من الأشياء الأخرى التي يمكن القيام بها في السيارة أثناء جولة إلى أماكن محلية: كمتابعة المناظر الجميلة، تبادل الأحاديث الطيبة، والاستماع إلى الموسيقى عبر المذياع. لذا فاجعل من مشاهدة أقراص الـ DVD عملاً تســمح به فقــط أثناء الرحلات البعيدة خــارج البلدة، أو في حــالات الطوارئ (كما تعلم، إنها تلك الحالات النادرة التي تكون فيها أمام خيارين اثنين: أولهما إثارة زوبعة مــن الغضب الخارج عن الســيطرة، والثاني التأثير الفعــال في الإلهاء والتهدئة لبرنامج عرض قصير).

يســهم وســطياً بزيادة المشــاهدة ١٥ دقيقة يومياً، رغم أن الأرقام هي أكثر ضخامة مرة أخرى في المنازل التي يشــاهد فيها التلفاز بإفراط. إنما حتــى لــو لم يكن منزلك واحداً مــن تلك المنازل، هــذا لا يعني أن أولادك بمأمن من آثار التلفاز. فكما سنرى، إن الآثار المعتدلة يمكن أن تنجم عن مشاهدة معتدلة. لذا فسواء كنت من المنازل المفرطة في مشاهدة التلفاز أم لا، فلا يزال هناك الكثير مما يحتاج للمراجعة أدناه.

الآن وقد بتنا نعلم مقدار ما يمضيه أطفال اليوم مع وسائل الإعلام، ما الذي يجب أن يقلقنا؟ وكيف نتجنب بوصفنا آباء وأمهات الأخطار المحتملة لمشاهدة التلفاز قبل سن الثالثة؟

بشكل عام، اهتم الباحثون بالمسائل التالية:

١. الأوان الذي ينبغي أن يسمح فيه للأطفال بالبدء بمشاهدة التلفاز.
٢. هل ترك التلفاز يعمل مع الانشغال عنه أمرٌ ذو أثر؟
٣. نوعية الأشــياء التي لا ضــير على الأطفال من مشــاهدتها في هذه المرحلة.
٤. هل من المناسب وجود جهاز تلفاز في غرفة الطفل أو الطفلة؟

فلنتبحر في جوانب الاهتمام هذه، كلٍّ على حدة:

متى يجب السماح لطفلك بالبدء بمشاهدة التلفاز؟

طفلتــك تصــرخ بصوت يصــم الآذان. إنها تتمســك بثوبــك كقطة على رأس شــجرة عالية جداً، بل إنها لتتشــبث بك. لقد وعدت نفســك أن تقومي بدفــع الفواتــير اليــوم... وهــو اليوم الســابع علــى التوالي الــذي قطعت على

نفســك فيه وعداً من هذا القبيل. الآن يبدو الوقت مناســباً جداً جداً لتقديم طفلــك والتلفــاز إلى بعضهمــا. فنصف ســاعة توهبينها الآن بعيــداً عن تلبية متطلبات طفلتك واحتياجاتها ســتنقذ يومك، أو بالأحرى والأهم أنها ستنقذ سلامتك العقلية.

جميعنــا نتفق على أمر واحــد. لقد مررنا كلنا بمثل ذاك الموقف، وفي تلك المرحلة غالباً يبدأ البحث الجوهري. إن الســؤال الأول الذي يطرأ على بــال الأهل عندما يتعلق الأمر بتعريض أبنائهم لوســائل الإعلام الجماهيرية هــو: متى؟ متى يكون من المناســب أن ندير التلفــاز لأول مرة ونضع الطفل أمامــه؟ تنبثق هذه الحاجة غالباً في وقت يمكن التنبؤ به، أي عندما يصل الأهل شــفير الهاوية، عندما تتراءى الاحتياجات المنزلية لا يمكن تذليلها، عندما يتراءى كل شيء على وشك أن ينهار قبالتك.

في الحقيقــة إن كنت تطرح ســؤال «متى» فإنــك بموقفك هذا تكون إلى حد ما قد ســبقت جموع الأهالي ســواك. فالعديد مــن الأهالي يبدؤون بتعريــض أولادهم للتلفاز منذ اليــوم الأول دونما أي تفكير في الموضوع. في الحقيقــة، بحلــول عيد مولد الطفــل الأول، ترى أن اثنين من كل خمســة أهالــي يمتلكون ســلفاً جهاز تلفــاز في غرفة طفلهم، بحســب ما تذكره مؤسسة كايسر الأسرية.

من المؤكد أنه مما يزيد قراراً كهذا صعوبةً هو شــعور الذنب المتولد عــن «ضغط الأقران». فقد صرحت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال AAP علــى نحو مشــهور إلى حد مــا (إذ لا بد أنها قــد حصلت على أفضل تغطية صحفية لها على الإطلاق) أن الأطفال في عمر السنتين فأقل لا ينبغي لهم مطلقاً مشــاهدة التلفاز. ولعل أهلك يضغطون عليك بطريقة غير رقيقة

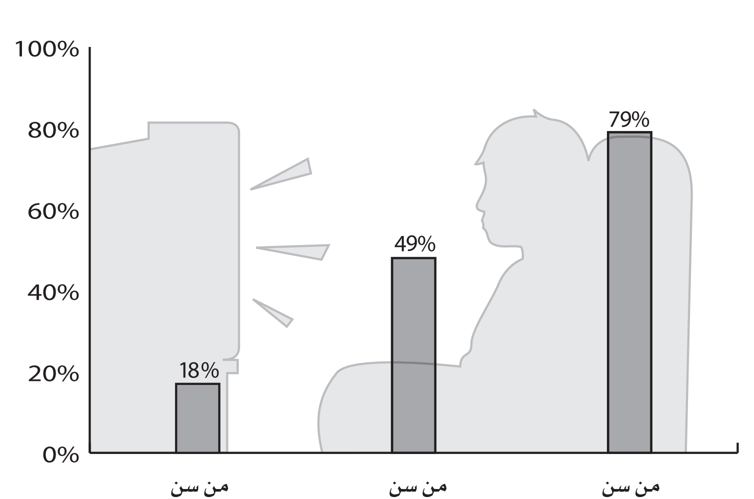
تماماً كي تربي أولادك على نحو أكثر مثالية مما كان بمقدورهم هم أن يفعلوا. فلا أطعمة سريعة، ولا الكثير من الألعاب! وبالطبع لا الكثير من مشاهدة التلفاز. فعلاً قد يكون لديك حتى أصدقاء يعلنون بكل فخر أن أولادهم لم يشاهدوا التلفاز ولو للحظة، ولن يفعلوا إلى أن يبلغوا الخامسة من العمر.

تذكر أن هؤلاء على الأرجح هم أنفسهم الذين سيقولون إنَّ طفلهم قادر على القراءة في سنته الثالثة. لا تقلق فذلك غير صحيح، كما أنهم على الأغلب يشاهدون التلفاز إلى حد ما.

صحيح أن هناك الكثير من الأبحاث التي تطرح إمكانية وجود آثار ضارة على طفلك عند مشاهدته للتلفاز وهو في عمر الثالثة وما دون، غير أنها ليست سيئة بمجملها. وأيّ من هذه الأبحاث لا تعثر على شيء يذكر بالنسبة للآثار الضارة على الأطفال الذين يشاهدون التلفاز بنسبة أدنى من المدة الوسطية. لذا فإن مهمتك الأولى الآن هي أي تتوقف عن الشعور بتأنيب الضمير. إنما لا تتخل عن جانب الحذر رغم ذلك، فبقدر ما يمكن للتلفاز الإسهام في تعليم الأطفال، إلا أنه يمكن أن يحمل آثاراً سلبية على أولادك.

طبعاً هناك من قد يرغب في الالتزام بتوصيات الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال، فيمنعون أبناءهم حتى سن الثانية من مشاهدة التلفاز. فوفقاً لما تذكره مؤسسة كايسر الأسرية، هناك أسرة تقريباً من كل خمسة أسر تخبر عن أنه لا مشاهدة للتلفاز لأبنائها من هذه الفئة العمرية. فماذا عن فئات عمرية أكثر دقة؟ كما يظهر الرسم البياني في الأسفل فإن الأمريكيين يلتزمون بالخطوط الإرشادية التي وضعتها الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال إلى حد كبير، على الأقل خلال السنة الأولى من الحياة:

نسبة الأطفال الذين يشاهدون التلفاز



المصدر: سيرتين و كان

ما يبينه لنا هذا الرسم البياني هو أنه حوالي أربعة من أصل خمسة أطفال (أو أقل) في السنة الأولى من عمرهم لا يشاهدون التلفاز. وهذا خبر طيب بحق. وأنه حوالي نصف الأطفال ممن هم بين السنة الأولى والثانية من عمرهم يشاهدون التلفاز، في حين تصل النسبة إلى أربعة من أصل خمسة من الأطفال الذين هم بين الثانية والثالثة من العمر.

من الجدير بالذكر أن هناك عوامل تسهم في رجحان احتمال مشاهدة الأطفال ممن هم دون سن الثانية للتلفاز. فكلما كان التعليم الرسمي للأهل أعلى مرتبة، كلما قلت احتمالات مشاهدة الطفل للتلفاز. وكما

يمكن للمرء أن يظن، فإن أطفال الأهل المطلقين أكثر احتمالاً لأن يشاهدوا التلفاز، لأنه على ما يبدو في المنازل التي يقطنها أحد الأبوين فقط يكون ذلك الوالد/الوالدة بحاجة أكبر إلى أن تتاح لهم الفرصة للتعامل مع الواجبات والمهام الأخرى المرتبطة بإدارة المنزل.

من نافل القول الإشارة إلى أنه في حال كان هناك فعلاً فوائد إيجابية للبرامج التلفزيونية التعليمية العالية النوعية الموجهة إلى الأطفال في عمر المشي، فمن الممكن إذاً أن تلك المنازل تفوتها إلى حد ما فرصة الإفادة منها. تقريباً الأهالي جميعهم الذين يسألون عن الآثار التي شهدوها من جراء مشاهدة أطفالهم للتلفاز في عمر مبكر، يذكرون إلى مدى بعيد الإيجابيات عوضاً عن السلبيات. ويعتقد الكثيرون أن التلفاز يستحق أن يكون جزءاً من منظومة خبرات التعلم الكاملة، وأن جرعات صغيرة من المشاهدة تمثل الاستخدام الأفضل للتلفاز لهذه الفئة العمرية. وبالفعل، في حين أن الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال توصي بحجب الأطفال ممن هم في عمر السنتين فما دون عن مشاهدة التلفاز، تنصح الجمعية الكندية لطب الأطفال بما لا يزيد عن نصف ساعة مشاهدة يومية للأطفال ما دون السنة الثانية من العمر. لمَ هذا الفرق؟ السبب في ذلك أننا في الواقع لا نعرف تماماً أين نرسم الحد الفاصل. ولكن يُعتقد أن مشاهدة قصيرة للتلفاز لا تضع الأطفال على طريق الخطر، وفي الوقت ذاته تتيح الفرصة أمام إمكانيات التعلم. ومع ذلك ينبغي الملاحظة أنه لا يزال يتوجب على الباحثين اكتشاف كيفية قياس مثل هذا التعلم (وكما سأوضح في مناقشتي، قد لا يكون ممكناً حتى قياس التعلم الذي لربما قد يحدث بتأثير التلفاز في ذهن طفل يبلغ السنتين من عمره، بشكل فاعل).

والآن، ماذا عن الثمانين بالمئة الباقية من الأهل الذين سمحوا لأطفالهم الذين تتراوح أعمارهم من الثالثة فما دون بمشاهدة التلفاز؟ يظهر مسح شمل الرأي العام أن نصف مجموع الأطفال من هذه الفئة العمرية على الأغلب يشاهدون التلفاز وسطياً مدة ساعة يومياً. وواحد من كل خمسة منازل يشاهد أطفاله التلفاز أكثر من ساعتين. يوضح الجدول في الأسفل تماماً المجموعة التي قد ينتمي إليها ولدك مقارنة ببقية الأطفال الأمريكيين:

ما هي الفئة التي ينتمي إليها طفلك ذو السنة والنصف من العمر؟		
إن كان طفلك يشاهد...	أطفال يشاهدون التلفاز أقل من طفلك	أطفال يشاهدون التلفاز أكثر من طفلك
ساعة أو أقل	٪٤٣	٪٥٧
١ ـ ٢ ساعة	٪٥٨	٪٤٢
٢ ـ ٣ ساعة	٪٧٢	٪٢٨
٣ ـ ٤ ساعة	٪٧٨	٪٢٢
٤ ساعات فأكثر	٪٨٤	٪١٦

المصدر: يستند هذا التقييم على ما ذكرته مؤسسة كايسر الأسرية وغيرها من المعطيات.

من المهم طرح التساؤلات عن التأثير الوارد وقوعه على أطفالك بسبب مشاهدة التلفاز. لذا فسأطرح في المقاطع القادمة كلَّ النتائج الرئيسة للأبحاث المتعلقة بالتلفاز في هذه المرحلة العمرية المبكرة.

فإذاً يكفينا تثقّفاً حول هذه المسألة ولنتجه إلى النتيجة، متى يجب أن يبدأ طفلي بمشاهدة التلفاز؟ بإمكانك أن تتبع توصيات الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال فتحرّم التلفاز حتى يبلغ طفلك على الأقل السنتين

من عمره، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية، بمقدورك إدخال التلفاز على حياته في مرحلة أبكر من ذلك، متبعاً آراء الجمعية الكندية لطب الأطفال. بحسب ما سأستعرضه تالياً، سيفضي البحث إلى أنه لا بأس بالمشاهدة المعتدلة للتلفاز بدءاً من عيد مولدهم الأول، وربما قبل ذلك أيضاً. وعلى أي حال، فلتستمر في القراءة، لأنك ولا بد تريد التيقن من أنك تعرّض أطفالك لأنواع البرامج التلفزيونية الملائمة.

هل سيسبب التلفاز لطفلي مرض اضطراب نقص الانتباه؟

لطالما تم إلقاء اللائمة على التلفاز لجعل فترة التركيز لدينا جميعاً قصيرة الأمد. وإن كانت هناك دراسة قد جاءت معززة لما ذكرته الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال، فهي تلك التي خرجت نتائجها بأن هناك بعض الصلة بين التلفاز وبين اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط (ADHD). تلك دراسةٌ أجراها مجموعة من العلماء، نشروا بحثهم عام ٢٠٠٤، والذي اعتبره البعض الدليل الدامغ على صواب ما أوصت به الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال بأن يحرّم على الأطفال ممن هم دون السنتين من العمر مشاهدة التلفاز. فعلى حد زعم هؤلاء العلماء، وُجِدَ بأن تعريض الأطفال إلى التلفاز وهم دون سن الثالثة من العمر قاد إلى مشاكل لاحقة في الانتباه، بما فيها الـ ADHD.

لقد وجدوا بشكل خاص، أن «انحرافاً معيارياً واحداً نحو الزيادة في عدد ساعات مشاهدة التلفاز لدى الأطفال في السنة الأولى من العمر، يترافق بزيادة بنسبة ٢٨ بالمئة في احتمال التعرض لمشاكل في التركيز في عمر السابعة».

لا تتصرف بعيداً غير متقبل لما ذُكر! إني أدرك أن غالبية الناس لا يستخدمون حقاً مثل هذه الإحصائيات في حياتهم اليومية. إنما أياً كانت معاني ومضامين هذه الإحصائيات، فهي بلا ريب تبدو لمعظم الناس مروّعة بحق. وعلى الرغم من أن العلماء قد عثروا على علاقة لا يمكن إنكارها بين مشاهدة التلفاز ومشاكل الانتباه، فإن احتمال حصول هذا مع ولدك يبقى ضئيلاً.

إن الإحصائيات المستخدمة من قبل هؤلاء العلماء لمن الصعوبة بمكان لدرجة لا يمكن معها تحويلها إلى وقائع أو أرقام يسهل هضمها. إنما إحدى أساليب شرح نتائج تلك الأبحاث تكون من خلال استخدام قوانين الاحتمالات. فالناس جميعاً يفهمون على سبيل المثال احتمالات الفوز في المناسبات الرياضية. فإن كانت الاحتمالات بأن فريق الباتريوت الانكليزي سيهزم فلاديلفيا إيغلز بنسبة ٢:١، فمعنى هذا أن فرصة فوز فريق الباتريوت هي ضعف فرصة فوز فريق الإيغلز.

بالطريقة ذاتها، وجد هؤلاء العلماء أن احتمال الإصابة بمشاكل في الانتباه هي ١,٠٩ إلى ١ لكل ساعة مشاهدة تلفاز يومياً للأطفال في السنة الأولى من عمرهم. وفي السنة الثالثة كانت الاحتمالات نفسها، فما معنى ذلك؟

حسناً، تذكُر بياناتهم أن عشرة بالمئة من الأطفال في سن السابعة يعانون من مشكلات في الانتباه. بمعنى آخر أن طفلك بغض النظر عن مدى مشاهدته للتلفاز، لديه وسطياً فرصة عشرة بالمئة لأن تنمو لديه مشكلات في الانتباه. والآن لكي نقرّب الاحتمالات من ١,٠٩ إلى ١,١ فإن ذلك يعني أنه مقابل كل ساعة مشاهدة للتلفاز تزيد على الساعات الوسطية اليومية، تكون زيادة فرص إصابة طفلك بمشاكل الانتباه أكثر بنسبة عشرة

بالمئة زيادة على النسبة الموجودة أصلاً لدى الأطفال العاديين. وزيادة العشرة بالمئة على العشرة بالمئة الموجودة لدى الأطفال العاديين تصبح أحد عشر بالمئة. وعليه فعند تبسيطنا الأمور نلاحظ، أنه مقابل كل ساعة واحدة من التلفاز يشاهدها ولدك يومياً، تزيد الفرصة الفعلية لتعرضه لمشاكل في الانتباه واحداً في المئة وحسب.

وحديثاً، قام هؤلاء الباحثون أيضاً بتحري ما إذا كان التلفاز ذو المضامين العنيفة يمكن أن يكون عاملاً رئيساً في تنمية مشاكل في التركيز والانتباه، عوضاً عن فرضيتهم السابقة في أنه الكم بمجمله المشاهَد من التلفاز. لقد وجدوا تأثيراً مفاجئاً في هذا البحث الجديد، وهو أن: كل ساعة مشاهدة للبرامج العنيفة على التلفاز لدى الصبية في عمر ما قبل المدرسة (حيث لم يتم تسجيل أي أثر عند البنات) تزيد بشكل ملحوظ من احتمال حدوث مشاكل في الانتباه في عمر السابعة. فإن تذكرنا الخطوط الأساسية التي لحظناها آنفاً وهي أن عشرة بالمئة من الأطفال سيتعرضون لمشاكل في الانتباه في عمر السابعة، فقد يطرح المرء تساؤلاً عن احتمال التعرض إلى مثل هذه المشاكل فيما إذا كانت مشاهدة البرامج التلفازية العنيفة تصل إلى ثلاث ساعات يومياً. الإجابة عن هذا التساؤل هي أن الفرصة تغدو مضاعفة: أي بنسبة عشرين بالمئة، أو لنقل واحداً إلى خمسة عوضاً عن واحد إلى عشرة.

من المثير للاهتمام أن البرامج التلفازية التعليمية لم يعثر لها على أي أثر على تحفيز مشاكل في الانتباه. فالتلفاز الذي لا يحوي عنفاً (بشكل عام: التعليمي أو سوى ذلك) كان له أثر معتدل على الصبية. وعليه فإنه ليس الكم الإجمالي المشاهد من التلفاز كما اعتقد سابقاً، بل مدى تعرض الأطفال إلى برامج تلفازية غير تعليمية هو ما يحفز تلك المشكلات.

وستُظهر البيانات الإضافية أن ساعة من البرامج غير التعليمية، إنما كذلك غير العنيفة، لن يكون لها أي أثر على نشوء مشاكل التركيز والانتباه.

لذلك إن كان طفلكِ يشاهد يومياً ثلاث ساعات فأكثر من البرامج التي هي ليست تعليمية بشكل رئيس، فيتوجب عليك حتماً أن تفكري ملياً فيما إذا كانت مخاطر تعرض ولدك لمشاكل في الانتباه تفوق المكاسب - أياً كانت - التي يتم إحرازها عند السماح لطفلك بمشاهدة هذا القدر من التلفاز. وحتى إن كانت المخاطر قليلة على طفلك، كما قد تسأل الكثيرات، فهل ترغبين حقاً بأن تخاطري بأي شكل عندما تكون صحة ولدك هي التي على المحك؟

قد تقولين: حسناً، لا يقلقني أن يكون ولدي عرضة للإصابة باضطراب الـ ADHD جراء مشاهدته التلفاز، إنما ماذا عن الافتقار إلى القدرة على البقاء مركزاً بشكل عام؟ ففي النهاية، إن التلفاز ملوم على نحو واسع لجعل قدرتنا على التركيز قصيرة الأمد، أليس كذلك؟ هناك بحث مركب أجري على موضوع فترة التركيز بشكل عام. ففي تجربة أساسية أجراها فريدريش وشتاين تم عرض برنامجين على عينة الأطفال، إما حي السيد روجرز Mr. Rogers Neighborhood، أو الرجل الوطواط Batman. فوجد لدى الأطفال الذين تابعوا الرجل الوطواط قدرة احتمال أقل للتأخير أو التأجيل. وفي دراسة أخرى لجايست وغيبسون تم مقارنة الآثار الناجمة عن مشاهدة حي السيد روجرز بتلك الناجمة عن مشاهدة الحراس الأقوياء Power Rangers. لوحظ أن الأطفال الذين شاهدوا برنامج الحراس الأقوياء ذي التوجه العنيف قد نما لديهم نفاد صبر على تنفيذ المهام التي طلبت إليهم بعد المشاهدة، في حين أن متابعي برنامج حي السيد روجر أظهروا مستويات من الصبر أعلى بقليل.

هنــاك دراســات أخــرى نظــرت في جوانب أخــرى من موضــوع الانتباه والتركيــز، كالافتقار إلى التنظيــم الذاتي. أما جوانب مــن قبيل المواظبة على أداء مهمة واحدة، القدرة على التحكم في الاندفاعات الذاتية، والقدرة علــى احتمال الاضطرار إلى انتظار أمر ما، فإنها قلة تكاد تكون معدومة من الباحثين من استطاعت التوصل إلى الربط بين مشاهدة التلفاز وبينها.

فإذاً بنظرة عامة شاملة نجد أن هناك دليلاً على أن البرامج التعليمية مــن مثل حي الســيد روجر على الأرجــح ليس لها أثر علــى نواحي الانتباه والصــبر، في حين أن البرامج الكرتونيــة ذات التوجه العنيف تخفض من ســويّتيهما. وكما ســنرى في فصول لاحقة ، إنها ليســت مشاهدة التلفاز بحد ذاتها ما يؤدي إلى السلوكيات غير الملائمة، بل إنها «البرامج الفارغة» التي تفعل ذلك.

ولنكــن أكثــر دقة على أي حــال، فقد لاحظ الباحثــون أن البرنامج التعليمي حي الســيد روجر الذي كان في أكثر الأحيان مستخدماً في تلك الأبحــاث يملك صفة مميزة ينــدر وجودها الآن في معظم البرامج العصرية، ألا وهي: أن البرنامج يحدث بزمن واقعي. فما من إيقافات للمشهد أو حذف منــه، وما مــن انتقالات وامضة بــين زوايا التصوير، أو بــين الليل والنهار، أو بــين مشــهد وآخر. وعليه فــإن الباحثــين يعتقدون أن الأمــر ليس منوطاً بوجــود البرامــج التعليمية بحد ذاتهــا أو عدم وجودها ، بل بالســرعة التي يســير بهــا العرض وفيمــا إذا كانت تماثل الزمن الواقعــي أم لا. فإن كان الحال كذلك، فينبغي على الأهل أن يزيدوا من البرامج المصوّرة بـ «الزمن الواقعي» مثل حي الســيد روجر Mister Roger's neighborhood، برنامج المقلوب The Upside Down Show، أو أدلة أزرق Blue's clues.

ماذا يجب أن يشاهد طفلي؟
(أو هل سيجعل برنامج الطفل أينشتاين من ولدي ذكياً؟)

سأجيبك بثلاث كلمات: نحن لا نعلم. لعله من أولى الأسئلة التي تنبثق في ذهن الأهل العاديين، هل سيجعل برنامج الطفل أينشتاين من ولدي ذكياً؟ كما قد تتوقع، إننا حقيقة لا نعلم. وإن كان لنا أن نخمن فسيكون جوابنا هو النفي. إنما هناك أمر واحد مؤكد، وهو أن الأطفال على ما يبدو «يحبون» هذه العروض ويفضلونها على أي نوع آخر من البرامج غيرها. ولكن ماذا نعني بكلمة «يحبون»؟ تحدد هذه الكلمة هنا استناداً إلى مدى متابعة الأطفال للشاشة. إذ يميل الرضع والأطفال في عمر المشي إلى متابعة الشاشة بثبات أكبر أثناء عرض برامج من قبيل الطفل أينشتاين.

فما السبب في أن الأطفال في هذه الفئة العمرية يحبون هذه البرامج؟ السبب في أنها تضم تماماً ما يكفي من المحفزات، ومن دون إفراط. كلّ مشهد في هذه البرامج ينحصر نموذجياً بغرض واحد، أي بؤرة تركيز واحدة. فما من فريق من الشخصيات الداعمة ولا حبكات جانبية ولا حوار.

إلا أنه على أي حال، هنالك تغيير منتظم في المشاهد، انتقالاً من شيء واحد منعزل إلى آخر. أيضاً المهم في الأمر هو أن تغيير المشاهد مؤقّت زمنياً بشكل ممتاز، بحيث يحصل الرضيع النمطي أو الطفل الأكبر قليلاً على منظر جديد قريباً تماماً من الوقت الذي قد يبدأ فيه الاعتياد، ولربما الزهد، في المشهد القديم. فهناك إذاً مزيج من كمٍّ ليس بمفرط من المحفزات، ولكنه في الوقت نفسه الكم المناسب، بالسرعة «المناسبة». غير أنه من المهم ملاحظة أن «المناسب» في هذه الحالة يعبر عن السرعة التي

أحبها الأطفال. قد يجادل البعض بقولهم أن هذه السرعة قد تكون محببة، كالحلوى، لكنها لربما في الواقع ذات صلة بظهور مشاكل في الانتباه في وقت لاحق. ولكن حتى اللحظة تبقى هذه الصلة غير يقينية.

هل يجعل برنامج أطفال أذكياء (Brainy Babies) طفلي أقل ذكاء حقاً؟

لعلك قد سمعت بالقصة التي ملأت الصحف والمجلات لقرابة الأسبوع في منتصف عام ٢٠٠٧، والتي مفادها أن برنامج أطفال أذكياء (Brainy Babies) الذي هو سلسلة أقراص مدمجة DVD، موجهة للرضع والأطفال في عمر المشي، لا يجعل طفلك ذكياً بحسب البحث الذي أجراه تسيمرمان وآخرون. بل في الحقيقة إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، فالبرنامج يمكن أن يجعل الأطفال أكثر صمتاً.

لسوء الحظ لم تكشف معظم المقالات إلا عن القليل من تفاصيل تلك الدراسة، والتي كان لها في هذه الدراسة تحديداً أهمية خاصة: فقد توصل هؤلاء الباحثون إلى وجود صلة سلبية الأثر بين مشاهدة الرضع للأقراص المدمجة والفيديو وبين التطور اللغوي. قبل أي شيء آخر، كان ذلك صحيحاً فقط بين الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثمانية شهور والستة عشر شهراً. في حين أن مثل هذه العلاقة لم يعثر عليها بين الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السبعة عشر والأربعة والعشرين شهراً (ولا أي علاقة إيجابية كذلك). ثانياً، لقد بدا لي أن كل مقالة قرأتها في الصحف أو على صفحات الإنترنت حول هذه الدراسة زعمت أن الباحثين قد وجدوا أن أقراص الـ DVD الموجهة بشكل خاص نحو التطوير اللغوي لدى الرضع والأطفال في سن المشي تضر في الواقع بهذا التطور. في الحقيقة، لقد قام العلماء الذين أجروا البحث فقط بسؤال الأهل عن عدد الساعات التي يشاهد أبناؤهم فيها الأقراص المدمجة المخصصة للرضع والأطفال في عمر المشي، ولحظوا أن معظم تلك الأقراص تميل إلى عدم التأكيد على اللغة بتاتاً. في الحقيقة، كانت اللغة في العديد منها تكاد تكون معدومة.

حالة أخرى تسترعي الاهتمام هي دراسة أجراها فالكنبورغ وفروون، والـتي تم فيهـا مقارنة درجة الانتباه إلى مختلف البرامج، بشـكل خاص التيليتابيز (Teletubies)، الملك الأسد ٢ (Lion King 2)، شارع سمسم (Sesame Street)، إضافة إلى الأخبار والإعلانات الموجهة نحو المشاهدين البالغـين، اعتمـاداً على عمر الطفـل. فبدا جلياً أن الأطفال من عمر سـتة شـهور إلى ثمانية عشر شهراً قد استرعى برنامج التيليتابيز انتباههم أكثر مـن أي برنامج آخر، في حين أن البرنامـج الأكثر صعوبة (بغض النظرعن الأخبـار والإعلانـات التي لم تجـد اهتماماً لدى أي مـن الأطفال) أي الملك الأسـد ٢، قد شدّ إليه الأطفال الأكبر سناً الذين شملتهم الدراسة والذين تـتراوح أعمارهم بين ٤٩ ـ ٥٨ شـهراً. المثير للاهتمـام أنها لم تكن الألوان والضحـكات، أوالصوت الطفولي والأصوات الغريبة هي ما شـد الأطفال الرضـع إلى التيليتابيز، بما أن الباحثين قد قاموا تقريباً بقياس المسـتويات

بالفعل، قد يكون الحال هو التالي: إن الأقراص المدمجة من هذا النوع مسيئة للتطور اللغوي ببسـاطة لأنه آخر ما تؤكد عليه. فعلى عكـس برامج الأطفال التقليدية القديمـة، لا تجـد في هذه الأقراص أي محادثة، ولا أي حـوار، والقليل جداً فقط من المفردات.

ثالثـاً، جديـر بالملاحظـة أنـه على الرغم مـن زعمهم بـأن هناك تأثيرات ضخمة لمشـاهدة التلفـاز علـى بـطء التطـور اللغـوي، يبقـى منطلقهـم مـن وجهـة نظر رياضية تحديداً. فبشـكل عام، تشـكل مشاهدة التلفاز أو قلّتها إسـهاماً صغيراً جداً في التطـور اللغوي عنـد الأطفال. إذ تُظهـر النماذج الإحصائيـة للباحثين بوضوح أن هنـاك عوامـل أخـرى عديدة ذات أثـر أبلغ بكثير فيمـا يتعلق بالتطـور اللغوي لـدى طفلـك، كالقـراءة لـه، والاسـتماع إلى الموسـيقى، إلخ. كمـا لاحظـوا أنه في حـين تعوق سـاعة المشـاهدة لهـذه الأقـراص الـ DVD النمـو اللغـوي إلى حد ما

ذاتها من هذه المعالم في الملك الأسد ٢، بل بالأحرى كان مستوى السرعة وعدم وجود التعقيد في تقديم الأفكار هما ما استجلبا ذلك الاهتمام. بمعنى أن التليتابيز يختلف عن البرامج الأخرى في أن القصص تقدّم بسرعة أبطأ وتداخل أقل فيما بين العناصر المتنافسة. باختصار، عند وجود شخصيات وتسلسل قصصي، يجب أن تكون السرعة بطيئة للرضع والأطفال في عمر المشي كي تحافظ على انتباههم.

يمكن قياسه، فإن قلة فقط من الأطفال هم من يشاهدون هذه الأنماط من البرامج ساعة يومياً. في الحقيقة إنهم وجدوا وسطياً أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثمانية أشهر إلى السبعة عشر شهراً يشاهدون حوالي الخمس عشرة دقيقة من هذه البرامج.

إني لا أقول هنا أن علينا ألا نعد هذه الدراسة مهمة، فهي تظهر بوضوح مرة أخرى أن التلفاز كما يبدو جهاز غير ملائم للأطفال الصغار جداً، وحتماً لا يناسب الأطفال دون عمر السنة. ولعله يوحي كذلك أنك إن احتجت خمس عشرة دقيقة هنا وهناك لتنجز أموراً متفرقة في المنزل، فلربما كان خيارك الأمثل هو برامج الأطفال التقليدية مثل حي السيد روجر، وهي تَفضُل الأقراص المدمجة الرائجة حالياً للرضع.

فإذاً، ما الذي يتعلمونه بأي حال؟

لقد أدرك العلماء منذ أمد بعيد أن كماً هائلاً من التعلم لدى البشر يتم عبر الاقتداء. بتعريف مختصر، الاقتداء هو فعل بسيط يتمثل بمراقبة شخص ما يقوم بعمل ما، ثم تخزين تلك المعلومة للاستعمال لاحقاً، وتقليد ذلك السلوك في نقطة زمنية لاحقة ما. تمثل تجربة دمية البوبو الكلاسيكية لألبرت باندورا الدراسة النموذجية عن الاقتداء، حيث أتاح فيها الباحثون للأطفال مشاهدة البالغين على التلفاز وهم يضربون دمية بوبو بشكل كبير بمضرب، ومن ثم أفسحوا لهم المجال ليلعبوا وحدهم، فلاحظ الباحثون أن الأطفال شرعوا بتمثيل السلوك العنيف ذاته الذي شهدوه قبل قليل على شاشة التلفاز.

لقد مثلت هذه التجربة حامل اللواء لكل من يشجبون العواقب السلبية لمشاهدة العنف على التلفاز. لعل الأثر الذي يحدثه العنف يمثل بلا ريب الهم الأكبر الذي ينبغي أن يقلقنا حيال ما يعلمه التلفاز لأطفالنا، وبشكل خاص حين يغدون في مرحلة ما قبل المراهقة، ومن ثم مراهقين. لكن النقطة الهامة التي قد تفوتهم هنا هي: الأطفال لا يقلدون العنف الموجود في التلفاز وحسب، بل إنهم يقلدون كل شيء تقريباً! وليس الاقتداء الطريق الوحيد الذي يتعلم الأطفال من خلاله من التلفاز، حيث يُظْهِرُ جَمْعٌ من الدراسات وجود تعلم إدراكي أكثر مباشرة عن الأشكال، واللغة، ومعلومات حساسة أخرى.

ولكن هل بمقدور الأطفال في الثانية من العمر أن يقلدوا سلوكاً يشهدونه في التلفاز؟ تتنوع الدراسات في هذا المضمار حتى هذا الحين. ففي إحدى الأمثلة الواضحة على تعلم الأطفال في عمر المشي من التلفاز، أظهر

ميلتزوف أن الأطفال بين الأربعة عشر والأربعة والعشرين شهراً من العمر، والذين يشاهدون ممثلاً يمزق شيئاً ما بسيطاً ومن ثم يعيد تركيبه ثانية، بمقدورهم محاكاة ذاك السلوك. وكانت مستويات النجاح في هذا الأمر متماثلة عند مشاهدة شخص في الواقع يفكك ومن ثم يركب غرضاً، مقابل آخر يفعل الشيء نفسه إنما على شاشة التلفاز.

إلا أن دراسات أخرى مثل تلك التي أجراها شميت ويونغ قد وجدت توجهاً أكثر انتظاماً يميل فيه الأطفال الأصغر (أي الذين أعمارهم بين ١٩ـ٢٤ شهراً) إلى التعلم بشكل أفضل من شخص يعلمهم أمامهم، في حين أن الأطفال الأكبر (٣٦ شهراً) قادرون على متابعة المعلمين على الجهتين ، في الواقع وعلى التلفاز معاً وبشكل متساو. ومرة أخرى توصلت مجموعة أخرى من الدراسات إلى نتائج مماثلة، إنما كانت فئة الأطفال الأصغر سناً فيها هي ما بين ١٢ـ١٥ شهراً، والأكبر سناً هم في الشهر الثامن عشر فأكثر من العمر.

هل العالم داخل التلفاز هو نفسه عالمنا، أم عالم آخر؟

من المثير للاهتمام أن ينحو الأطفال دون سن الثالثة إلى الاعتقاد أن العالم داخل التلفاز ليس كالعالم ذاته الذي نعيش فيه. فقط في حوالي سن الثالثة يبدأ الأطفال بإدراك أن الأشخاص الحقيقيين الذين يظهرون في التلفاز (في مقابل الرسوم المتحركة) يعيشون في واقع الأمر في العالم ذاته الذي يعيشون فيه هم أنفسهم. للأسف، يشكل هذا الأمر إحدى الأسباب الكامنة وراء تعرض الأطفال إلى كوابيس، بما أنهم يبدؤون بتصديق أن الوحوش والكائنات الخيالية الأخرى التي يشاهدونها تعيش جنباً إلى جنب مع الأشخاص الحقيقيين في العالم الواقعي. (اقرأ المزيد في الفصل الثاني).

تعزو أبحاث أحدث عهداً السبب في أن هناك اختلافات في الدراسات المتعلقة بتعلم الرضع والأطفال في عمر المشي من التلفاز إلى أن توجه المهام المتضمنة في تلك الأبحاث قد لا يكون صريحاً بشكل كاف. فعندما يُعرض على الأطفال أفلام تتوجه إليهم بالحديث على نحو مباشر، تكون عندها البرامج أقدر بكثير على استثارة استجابة لديهم. على سبيل المثال، لو قام الممثلون في الفِلم بالتحدث إلى المشاهدين أثناء عرضهم التعليمات الخاصة بتفكيك لعبة ما إلى أجزاء ومن ثم تركيبها ثانية، بدلاً من مجرد توضيح كيفية القيام بهذه العملية، عندها سيحصل المشاهد على نتائج أفضل بوضوح.

يبدو أن عدداً لا بأس به من البرامج يستعمل هذه الاستراتيجية. فبرامج من قبيل دورا الباحثة (Dora the Explorer) وأدلة أزرق (Blue's Clues) وغيرها كثير، كثيراً ما يؤخرون «الحدث» من أجل أن تواجه إحدى الشخصيات الكاميرا وتسأل المشاهدين المساعدة في أمر ما، أو تطلب تزويدهم بالإرشادات، أي إشراك المشاهدين فيما يجري بأي شكل آخر. ويتضح أن هذه الاستراتيجية فعالة حتى مع الأطفال ممن هم دون السنتين من العمر.

وأخيراً، يتجلى بوضوح أن الأطفال الذين تزيد أعمارهم عن السنة يستطيعون التعلم من التلفاز رغم الدراسات القليلة التي تناقض ذلك. في حين أنه لا توجد دلائل قطعية بأي من الاتجاهين فيما يتعلق بالأطفال دون عمر السنة. غير أنه كما يمكن للأطفال أن يقتدوا بالسلوكيات الحية أمامهم، فبإمكانهم كذلك الاقتداء بالسلوك المتلفز وتقليده، على الرغم من أنهم قد يحتاجون إلى مساعدة «إضافية» من الشخصيات الظاهرة في التلفاز يوضحون فيها أنهم يتحدثون إلى الأطفال، ويشجعونهم على التفكير والتعلم.

جهاز تلفاز خاص بهم

فـإذاً هل يملك طفلك الصغير تلفـازاً في غرفته؟ أخرجه، فذاك الجهاز لا ينتمي إلى هناك! بعض الأهل تصيبهم الدهشة بحق لمجرد التفكير في أن أحدهم قد يضع تلفازاً في غرفة نوم طفله الرضيع وحتى سن الثالثة من عمره. غير أن الدراسات تكشف عن أن ٣١ بالمئة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السنتين والخمس سنوات يملكون في الحقيقة جهاز تلفاز في غرفهم.

الصلة مع البدانة:

لقـد أظهرت البحـوث، كذاك الذي أجـراه دينيسـون وزملاؤه، أن وجـود تلفـاز في غرفـة الطفل يزيد بشـدة من احتمـالات أن يصبح طفلك مـن أصحاب الـوزن الزائد. وتحديداً، وجود التلفـاز في غرفة الطفل يزيد بنسـبة ٣١ بالمئة من فرصة جعل مؤشـر كتلته الجسمية في مدى الخمسة والثمانين بالمئة فأكثر.

الصلة مع حالة عدم انتظام النوم:

شـأنها شـأن البدانة، تشـكل حـالات عـدم الانتظام في النـوم إحدى الحصيـلات الناجمة عن وجود التلفاز في غرف نوم الأطفال، على الرغم من أن تلك الصلة تكون في أعلى درجاتها محدودة المدى. ومن المهم التنويه إلى أن المقصـود بـ «النوم غير المنتظم» هو مقدار ثبات توقيت أوقات قيلولته وأوقات نومه ليلاً، وليس ما إذا كان الطفل يعاني بعض المشاكل في النوم ليلاً.

يمكننـا أيضاً التعبير عن الصلة بين مشـاهدة التلفـاز في غرفة النوم وبـين عدم انتظام النـوم عن طريق قانـون الاحتمالات. ولغرابـة الأمر فقد

وجـد ثومبسـون وكريسـتاكيس أن الاحتمـالات هنا تماثـل تلك التي تم التوصل إليها في الدراسة الخاصة بمشاكل الانتباه، أي ١,٠٩ إلى ١. وعليه فمقابل كل ساعة يشاهد فيها ولدك التلفاز في غرفته، يرتفع احتمال عدم تناسق توقيت قيلولته ونومه ليلاً من يوم إلى آخر بحوالي نسبة عشرة بالمئة. وبالتسليم إلى أن ثلث مجموع الأطفال تقريباً لديهم أوقات نوم غير منتظمة عنـد القيلولة وفي الليل، فذلك يعني ارتفاعاً في احتمال عدم انتظام أوقات النوم بحوالي ثلاثة بالمئة لكل ساعة مشاهدة للتلفاز.

التحذيـر الأخيرالمتعلق بنتائج هذا البحـث هو أن حالات عدم الانتظام في النوم تم تعريفها بناء على إجابة الأهل بـ «نعم» عندما طرح عليهم السؤال «هل وقت النوم لدى طفلك، سـواء في القيلولة أو النوم ليلاً، هو نفسـه من يوم إلى آخر؟» المشكلة هنا هي أن هذه الإجابة لا تحدد تعريف الأهل لمعنى كلمة «نفسـه». لمزيد من الإيضاح، فلنتصور طفلاً يذهب إلى سـريره كل ليلة عند الساعة الثامنة، بفارق عشرين دقيقة زيادة أو نقصاناً. فهل يتخطى ذلـك عتبة « عادة في الوقت نفسـه» من كل يوم؟ ذلـك يعتمد على الأرجح على مفهوم الأهل الخاص لتعريف «الوقت نفسـه». القضية هنا هي التالي: هـل ينبغـي لنا أن نقلق حيال أن وجود التلفـاز في غرفة نوم الأطفال يفضي إلى بعض عدم الانتظام في النوم، كما هو معرّف في هذه الدراسة؟ الجواب في أفضـل الحالات غير واضح. فإن كان المثال المدرج سـابقاً (عن الدقائق العشـرين زيـادة أو نقصاناً) يعدّ عدم انتظام، فهو ليس على الأرجح سـبباً للقلق، كونه لم يظهر في أي بحث وجود مشـاكل تنجم عن السماح بهذا القـدر الصغـير من التفاوت في موعد نوم طفلك. من ناحية أخرى، إن كان عدم الانتظام قد لوحظ لدى أهل يصل مدى التفاوت في موعد نوم أطفالهم

إلى عدة ساعات، فلنقل ساعتين فأكثر، عندها تجيز الصلة بين التلفاز والنوم المخاوف. بالنسبة للوقت الراهن، تبقى المعطيات غير واضحة البتة فيما إذا كان يجب على الأهل القلق بخصوص الصلة بين التلفاز وعدم

يا للظرف! استعمال الهاتف الخليوي لِلَّهو

يعشق الأطفال الصغار الهواتف الخليوية. فهم يرون أهلهم يتحدثون عليها طيلة الوقت، وما من أمر أكثر إثارة بالنسبة لهم من التظاهر بالأمر نفسه. إنما هل ذلك آمن؟ لقد أجريت دراسات هائلة حول الصلة المحتملة بين وجود المستويات الخفيضة للطاقة الكهرومغناطيسية قريبة من الرأس، وبين مرض السرطان وآلام الرأس والاضطرابات العصبية. وعلى الرغم من تأليف ما ينوف على المئة دراسة حول الموضوع، فالغالبية العظمى منها كانت نتائجه غير حاسمة، مع أن بعضها قد أوحى بوجود تلك الصلة. إنما حتى يومنا هذا، لا يوجد دليل دامغ على أن الهواتف الخليوية، وهي مولد أساسي للطاقة الكهرومغناطيسية، وبشكل خاص تلك التي تنبعث قريباً من الرأس، تسبب السرطان أو أي مرض رئيس آخر.

ومع ذلك، من المعتقد أنه إن كان هناك صلة من هذا القبيل فعلاً، فإن الأطفال هم الأكثر قابلية للتأثر بها بسرعة. وفي الحقيقة، تطرح بعض الدراسات احتمال قدرة مستويات الطاقة الكهرومغناطيسية الموجودة في الهواتف الخليوية على "تثبيط" الوصلات العصبية في دماغ الطفل، مما يدفع البعض إلى النصح بضرورة عدم تعريض الأطفال إلى مثل تلك الطاقة لكون دماغهم في طور النضج.

إذاً ليبقى المرء ملازماً الجانب الآمن يفضل عدم السماح للأطفال دون سن السابعة باستخدام الهواتف الخليوية. ولعله من الأسلم السماح لطفلك باللعب بهاتفك الخليوي طالما أنه لا توجد مكالمة جارية. وإن كنت تريد الاطمئنان بشكل مطلق، فلتطفئ الجهاز قبل السماح للأطفال باللعب به.

انتظـام النوم. وإنمـا ينبغي على الأهل أن يكونوا يقظـين تجاه هذه الصلة إذا كانوا يعتقدون أن عادات أطفالهم المرتبطة بالتلفاز تعوق حصولهم على الراحـة النوعية المتّسـقة. وبغض النظر عن أي أمـر آخر، تبقى هذه النتائج ضعيفة السند سبباً آخر يجعل من وجود التلفاز في غرفة نوم طفلك فكرة غير مستحسنة.

الأهم من ذلك كله، إن واحداً من العوامل الأقوى التي تتنبأ بمشاهدة طفلـك لكم كبير من البرامج التلفازية، هو حيازته لتلفاز في غرفته. ومن إحدى المشـاكل الحقيقة التي تنجم عن تلك الحيازة أيضاً هي أن مشاهدة التلفـاز في غرفـة النوم تكـون غير منضبطة وغير تفاعليـة إلى حد كبير. بمعنى، أنه يمكن لطفلك أن يغير المحطة (وهي مهارة يطورها الأطفال في حدود سـن الثالثة)، مع ذلك فهو لا يملك القدرة على طلب التفسـيرات إن أثار أمر ما حيرته.

وبوصفـك مـن الأهل فنـادراً ما سـتكون «وسـيطاً»، وهـو مصطلح أكاديمي يعبر عن مشـاركته مشـاهدة التلفاز، حيث تقـوم بالتفاعل مع ولدك وتعينه على التعلم من التلفاز. كما سنرى في الفصل التالي، يمكن لهذه الوسـاطة الوالدية أن تحسّـن إلى حد بعيد جداً مقدار ما يتعلمه طفلك من التلفاز. فإذاً ما من وسـيلة للحد من مشـاهدة طفلك للتلفاز أسـهل من إزالة ذلك الجهاز من غرفة نومه.

الموسيقى

هناك مقولة متداولة بين وسائل الإعلام الإخبارية بأنه «إن نزفت فقد أزفت». والمقصود بذلك أنه بعد قائمة طويلة من الأخبار السيئة تبزغ الأخبار الطيبة. لعله على الأغلب لا يدهشك إذاً، أنه عند التفكير في أثر وسائل الإعلام الجماهيرية على الأطفال، لا يؤتى على ذكر الموسيقى. على الأقل ليس قبل أن يصبحوا مراهقين، حينها نبدأ بالقلق فيما إذا كانت الأغاني من قبيل «قاتل الشرطة» وغيرها من أفعال العنف المتطرف تشكل خطراً محتملاً عليهم. بالنسبة للآن، إليك الخبر الطيب: الموسيقى تفيدك! على الأقل إن كان عمرك (٠-٣ سنوات)، وأستخدم الصفر هنا حرفياً، بمعنى أنك لا تزال على وشك القدوم إلى هذا العالم.

كما قد تعلم، يمكن للموسيقى أن تحفز الأطفال وهم أجنة. فالقدرة على السمع تنضج خلال الشهر السادس من الحمل، وتظهر الدراسات أن الإدراك الموسيقي يحدث في وقت ما قبيل الولادة.

بعد الولادة، يبدأ الأطفال بمحاكاة الإيقاع، الكلمات، ودرجة النغم في سن الثالثة. في دراسة مدهشة أجراها تافوري وفيلا تم إشراك مجموعة

من يعزف الموسيقى؟

ذكرت ثلاثة أخماس الأسر أنهم يعزفون الموسيقى لأولادهم في عمر (٠-٢ سنة) بشكل يومي، وفقاً لإحصائيات مؤسسة كايسر الأسرية. والغالبية العظمى التي لا تفعل ذلك يومياً فهي ما تزال تعزف الموسيقى لطفلها الرضيع مرة أسبوعياً. ونلحظ لدى الأهل ذوي التحصيل العلمي العالي حرصاً وتواتراً أكبر في العزف، في حين أن الأهل الذين يعانون من كدر عاطفي هم الأقل تواتراً.

من الأمهات الحوامل في دروس موسيقية أسبوعية خلال فترة حملهن، في حين لم يتم إدراج مجموعة إحصائية أخرى من الأمهات الحوامل فيها. تضمنت تلك الدروس الغناء والعزف على الآلات الموسيقية.

من المذهل أن اللفظ عند الأطفال الرضع الذي تم تسجيله من عمر الشهرين وحتى الثمانية شهور تبدّى أكثر بنيوية لدى أبناء «أمهات الدروس الموسيقية» مما هو عليه لدى أطفال الأمهات اللاتي لم يشاركن في مثل تلك الدروس. وقد تضمن زيادة في الارتفاع والانخفاض في النغمات الصوتية، فواصل زمنية قابلة للتمييز، وإيقاعات متباينة. وعليه، رغم أن المسألة تحتاج إلى مزيد من البحث، غير أنه توجد مؤشرات على أن التعرض المبكر إلى الموسيقى يفضي إلى موهبة موسيقية مبكرة، أي تبلور مبكر لفهم الموسيقى والقدرة على إنتاجها ذاتياً.

بصورة عامة، كما هو الحال مع التلفاز، فقد واجه الباحثون أوقاتاً صعبة للغاية في محاولتهم اكتشاف ما يمكن أن تفعله الموسيقى بالضبط للطفل الصغير أو للرضيع، والسبب في ذلك ببساطة يعود إلى أن قياس الآثار المحتملة للموسيقى على الأطفال الصغار أمر في غاية الصعوبة. غير أن الأبحاث قد أظهرت بكل جلاء تصنيف الموسيقى الراسخ كمحفز محبب للأطفال، وأنهم كذلك يحملون نزعة طبيعية إلى تعلمها. فالأطفال في عمر المشي قد لا يدركون ما يقولونه، ولكن من المؤكد أن تعلّم أحدهم غناء «المع المع أيها النجم الصغير» لهو خطوة عظيمة نحو التعلم المستقبلي. وقد وضع كم وافر من الأبحاث خطاً تحت قدرة الموسيقى على بث الهدوء، وهو أمرٌ يحتاجه كل طفل من وقت إلى آخر!

النتيجة: استراتيجيات للحفاظ على منزل صحي إلكترونياً لطفلك ذي السنوات الثلاث فأقل

هل أنتم بحاجة إلى المساعدة؟ أستطيع إجابتكم عن ذلك من خلال سؤالين اثنين بسيطين: هل لدى طفلكم تلفاز في غرفته؟ وهل يشاهد التلفاز ساعة أو أكثر يومياً؟ فإن كان جوابك بالإيجاب عن أي من هذين السؤالين، فيتوجب عليك إذاً أن تعيد النظر في عادات طفلك فيما يخص وسائل الإعلام.

ليس الأمر سهلاً، إذ لمَ يخفق الناس بالتقليل من الوقت الذي يصرفه أطفالهم على التلفاز، على الرغم من نواياهم الطيبة؟ باختصار، لأنهم لا يملكون البديل. فإن قام المرء على نحو مفاجئ بإطفاء جهاز التلفاز بينما يتابعه الطفل، فما الذي سيحدث؟ على الأغلب سيحدث الكثير من الصراخ. ذلك لأنه حين يتعلق الأمر بالأطفال فإن الدرس الأهم هو الإلهاء، فالإلهاء، ومن ثم الإلهاء! فإن كان بين يديك محفز جاهز وبديل عن التلفاز، فستجد التحول بعيداً عن التلفاز أكثر سلاسة.

فإذاً إليك فرضك لعطلة نهاية الأسبوع القادمة: عندما يكون طفلك في فترة قيلولته، أو في أي وقت فراغ آخر لديك، أمض ساعة تجهز فيها «أشياء تجذب وتلهي» طفلك. وهي أغراض ونشاطات يرجّح لها أن تحوّل انتباه طفلك لنصف ساعة أو أكثر. وهكذا، حين تجد نفسك على وشك أن تضع ولدك أمام التلفاز فلتجرب واحدة من البدائل التالية:

ملهيات جذابة:

أغـراض المطبخ القديمة: فلتخرج بعض الأغـراض القديمة من المطبخ ولتضعها في مكان ما يسهل الوصول إليه. فكما هو الحال غالباً، تكون هـذه الأغـراض غريبة ومثيرة للاهتمام بالنسـبة لطفل ما دون سـن الثالثة. فعنـد الحاجة أخرج بعضها. سيدهشـك مقدار الوقت الذي سـيمضونه مع مجرد ملعقة بلاستيكة قديمة وعلبة حبوب فارغة!

صنـدوق الألعـاب القديمة: تملك العديد من الأسـر كمـاً فائضاً من الألعـاب. فبين المتوارث منهـا وبين هدايا الأعياد، تحوي الكثير من المنازل فعـلاً على مئـات الألعاب، الصغيرة منها والكبـيرة. فعندما تجدين طفلك قـد ركّز اهتمامه كليـاً بلعبة معينة، اسمحي له أن يلعـب بها لعدة أيام، وعندمـا يبـدأ اهتمامه بها بالانحسـار فغيّبيها عنه لمدة شـهر. ومن ثمّ، في تلـك اللحظة الحرجـة، التي لنقل أنـك تحاولين فيها البدء بإعـداد الغداء وطفلك متشـبث بسـاقك يعانقها، وقـد أصبحت على وشـك أن تديري له التلفاز ليشـاهده، حينئذ أخرجي له تلك اللعبة من مخبئها. إن كان لديك من الألعاب مثل ما هو موجود في منزلي، فسيكون بمقدورك تكرار هذه العملية عشرات المرات بكل معنى الكلمة!

مركز النشـاطات: أتملكين مركزاً للنشـاطات خاصـاً بأطفالك؟ المقصود هو مكان يستطيعون فيه التلوين والرسم واستعمال الطباشير وما شابه. فكل بيت يحتاج شيئاً من هذا القبيل. استخدمي هذا المركز كي تحدّي على المدى البعيد من استعمال التلفاز.

على سـبيل المثال، يبدأ طفلك نهاره يومياً بمشـاهدة التلفاز، في حين ترغبين أنت في كسـر تلك العادة. قومي إذاً ببسـاطة، قبل توجهك للنوم،

بتجهيز طاولة الأشـغال اليدوية للصباح التالـي. فمثلاً غطي طاولة مركز النشـاطات بالأوراق وانثري حولها بعض أقلام التلوين أو الأقلام الملونة ذات الخط العريض.

لا يخطـر على بال الأسـر أن تفسـح لأولادها المجال للقيام بالأشـغال اليدويـة لأنها في تلـك اللحظة المشـحونة بالتوتر العالـي أي عندما يصرخ طفلكم مطالباً بشـيء ما في حين تكونون أنتم منهمكين في أداء عشـرة أمـور أخرى سـيضحي آخر ما يخطر لكم على بـال هو محاولة التفكير فيما يمكن أن يشـغل طفلكم، ومن ثم إيجاد الوقت لتحضيره. فلتعتادوا التحضـير لهـذه الأمور. إن طفلك سـيبكي ويصرخ غداً، علـى الأقل ذاك مـا يفعلـه معظـم الأطفال بين سـني (٠-٣) وبتواتـر منتظم إلى حـد ما. لذا فعندمـا تذهبين إلى المتجر للحصول على مزيـد من الحليب عند قرب نفاد مؤونتـك منـه، فلتجهـزي ما تحتاجه نشـاطاتك قبـل أن تصبحي في أمسِّ الحاجة إليها.

جوهر الأمر هنا هو المحافظة على الهدف. إني لا أقترح عدم تفاعلك مع طفلك، بل افعلي رجاءً! إني أفترض وحسب أنك على الأغلب واحدة من الأهل العاديين الجيدين. بمعنى أنك تتفاعلين مع طفلك، فتمارسين معه النشاطات الفنية والأعمال اليدوية، وتمارسين الحركات الرياضية البسيطة الأساسية معه، وتصطحبينه إلى المتنزه والمكتبة وتتمشـيان معاً حتى نهاية الشارع في نزهة على الأقدام. غير أنها ليسـت الأوقات التي تحتاجين فيها النجدة. أنت بحاجة للنجدة عندما يكون لديك مشاغل يتوجب عليك القيام بها، كدفع الفواتـير، وإعداد الغـداء، أوالتحدث هاتفياً إلى صديقتك الحميمة من أيام الدراسـة الثانوية، أو ارتداء ثيابك للذهاب إلى العمل. هذه هي الأوقات التي

يغدو فيها التفاعل إمكانية مستحيلة ببساطة. إننا نميل إلى السماح لأولادنا بالجلوس لمتابعة التلفاز في الأحيان التي لا نملك وقتاً فيها، فتكمن الحيلة في أن تُحضري لحظتها هذه النشاطات المعدّة سلفاً والتي: أولاً، تحتاج القليل من وقتك فقط لتحضيرها، وثانياً، تتميز بأنها على الأرجح ستأسر اهتمام ولدك لخمس عشرة دقيقة إلى نصف ساعة رائعة.

فإذاً باشروا في الحال. أخرجوا التلفاز من غرفة النوم. أطفئوا التلفاز عندما لا يوجد من يتابعه، وكذلك أطفئوا برامج البالغين (من أخبار وبرامج هزلية وكل ما هو غير موجه تحديداً للأطفال) عند وجود الطفل في الغرفة. فلتدعوا الموسيقى تعزف لأولادكم. وجهزوا بعض النشاطات البسيطة والألعاب سهلة المنال لأوقات الحاجة. إن أياً من البحوث لم يشر إلى أنه كي تكون من الأهل الجيدين فذلك منوط باستئصال التلفاز كلياً من حياة ولدك. إنك تحاول وحسب تقليص وجوده إلى نصف ساعة يومياً فقط، وإلى ساعة في بعض المناسبات. وكلما كانت المدة أقل كان ذلك أفضل على الغالب، وإن كان هناك شيء من الجدل حول هذا. ولكن الجدل يدور أيضاً حول أن غالبية الأسر تعرّض أبناءها إلى التلفاز أكثر مما ينبغي. لذا لا تشعر بوطأة الإخفاق إن وجدت نفسك بعد نصف ساعة فقط من قراءة هذا الفصل، تسمح لابنك ذي السنتين من العمر بأن يتابع أحدث حلقات التيليتابيز. بل افعل كل ما بوسعك لتقلل من تعرضه للتلفاز كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

مراجعة الفصل الأول:	
التلفاز:	
المقدار اليومي	الاستغناء عن وجوده إن استطعت؛ اصمد على الأقل لستة أشهر حتى السنة الأولى من عمر طفلك، ومن ثم نصف ساعة فقط إن استلزم الأمر.
المخاوف الأساسية	احتمال إعاقة تطور القدرة على التركيز.
العلاج	الاستهلاك المنخفض؛ برامج «الزمن الواقعي»؛ برامج تفاعلية إضافة إلى تفاعل الأهل مع الأطفال.
استراتيجيات مواجهة المشاكل	لا تنتظر وقوع القضاء. خطط مسبقاً لإلهاءات أخرى.
الموسيقى:	
المقدار اليومي	بقدر ما ترغبون.
الميزة الأساسية	تعزز من تطور الطفل.
الهواتف الخليوية	
محاذير الاستخدام	الزم جانب الأمان ولا تدع الأطفال الصغار يستخدمونها.

الفصل الثالث

الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة

لقد شهد معظمنا لحظة التعلم لأمر جديد، وخَبِر إشراقة الزهو التي تنتابه عند رؤيته لطفله وهو يتعلم أمراً جديداً بشكل غير متوقع. آمل أن لا يكون مثل هذا الحدث غير مألوف بالنسبة لك نظراً لما يحمله من بهجة للأهل. فبدءاً من تعلم الطفل الحروف الأبجدية وحتى قيادته للدراجة يشكل ذلك بمجموعه منحة للأهل تكافئ تعبهم.

لقد مرت بك يقيناً، لأكثر من مرة، لحظات التعلم هذه من التلفاز. وفعلاً، في دراسة أجرتها حديثاً مؤسسة كايسر الأسرية، أجاب قرابة التسعة أعشار من الأهل عند سؤالهم عما إذا كانوا قد شهدوا أطفالهم وهم يقلدون سلوكاً إيجابياً من التلفاز، بالإيجاب. ومن المدهش بحق أن ستة من أصل عشرة يذكرون بأنهم شهدوا سلوكاً سلبياً (والثلث فقط من أهالي البنات الذين شملتهم الدراسة ذكروا بأنهم شهدوا سلوكاً سلبياً

نابعــاً من التأثــر بالتلفاز). ويعتبر زهاء نصف الأهــل أن التلفاز أداة تعليمية «مهمــة جداً» لتطور أولادهم الفكري (في حين مــا تزال تعتقد الغالبية من الباقين أنه مهم نوعاً ما). ولكن طبعاً إننا لا نريد أن نحكم فيما إذا كان التلفــاز «ذا فائــدة لطفلك» فقط من خلال ما يعتقــده الأهل. بل إننا بحاجة للاطلاع على ما تم اكتشــافه على أســس علمية. والأهم بعد أننا نريد أن نفهــم الكيفيــة التي يمكــن من خلالهــا للتلفاز أن يكون وســاطة تعلم، وكيف يمكن له بالمقابل أن يشكل أحياناً شيئاً من مضيعة الوقت.

هذا ما يسعى وراءه هذا الفصل. إن الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، مــن عمر الثالثة وحتى الخامســة، هم بلا شــك الشــريحة الأكثر تعرضاً لتمحيــص الأبحاث من أي شــريحة عمريــة أخرى، على الأقــل فيما يتعلق بالتعلم والتلفاز. وأطفال هذه المرحلة لا يشاهدون التلفاز وحسب، فما يزيد عــن نســبة النصف قد لعبوا ألعاب فيديو تتصل بجهــاز التلفاز (رغم أن قلة منهم فقط، أقل من واحد إلى عشــرة، هم من يســتخدمونه كذلك في يوم نمطي). وســبعة من أصل عشــرة منهم على الأقل قد استخدموا الحاسوب. وعنــد بلوغهــم السادســة، يكــون معظم الأطفــال قد تعرضــوا إلى قرابة ١٤,٠٠٠ إعلان سنوياً!

الاختبــار الذاتــي لاســتهلاك وســائل الإعلام لدى أطفــال ما قبل المدرسة:

١. يشاهد طفلي ــــــ ساعة يومياً من التلفاز.

٢. يمضي طفلي ــــــ ساعة يومياً على الحاسوب.

٣. إنني ــــ متأكد/ة من أنني أعي ما معنى «تعليمي» بالنسبة للبرامج التعليمية. (من ٠ إلى ٥٠٪، ٥٠ ـ ٧٥٪، ٧٥ ـ ٩٠٪، ٩٠ ـ ١٠٠٪)

٤. ــــ بالمئة من البرامج التي يشاهدها طفلي تعليميّ. (من ٠ إلى ٥٠٪، ٥٠ ـ ٧٥٪، ٧٥ ـ ٩٠٪، ٩٠ ـ ١٠٠٪)

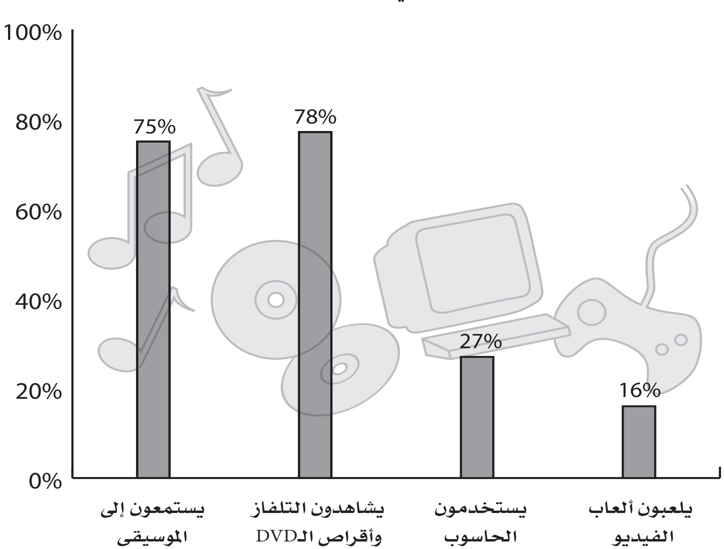
٥. أشاهد التلفاز مع طفلي ــــ بالمئة من الأوقات. (من ٠ إلى ٥٠٪، ٥٠ ـ ٧٥٪، ٧٥ ـ ٩٠٪، ٩٠ ـ ١٠٠٪)

٦. عندما أشاهد التلفاز مع طفلي في هذه المرحلة العمرية، فإني أتفاعل معه/معها بالحديث عما يجري في البرنامج خلاله أو بعد انتهائه، ــــ بالمئة من الأوقات. (من ٠ إلى ٥٠٪، ٥٠ ـ ٧٥٪، ٧٥ ـ ٩٠٪، ٩٠ ـ ١٠٠٪)

طفل ما قبل المدرسة الوسطى :

يندمج أطفال هذه المرحلة مع الكثير من الأشياء، كالرسم والدمى وألعاب الغميضة وركوب الدراجة، وطبعاً التلفاز والحاسوب، وإلى مدى أقل، ألعاب الفيديو. وكما هو بمقدور هذا الطفل أن يدرك سريعاً جوهر لعبة القطع التركيبية المناسبة لعمره، فكذلك بمقدوره أن يكتسب سريعاً المهارات التي يحتاجها للتفاعل مع وسائل الإعلام الإلكترونية. فثلثا الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة والسادسة بإمكانهم استخدام فأرة الحاسوب، وزهاء النصف يستخدمون الحاسوب دون تفاعل والدي. وجميعهم تقريباً في هذه المرحلة قادرون على تشغيل التلفاز وإطفائه بمفردهم، وثلاثة من أصل أربعة باستطاعتهم حتى تغيير المحطات التلفازية أو تشغيل قرص الـ DVD بأنفسهم.

يبقى التلفاز بصورة عامة هو المهيمن على نشاطاتهم الإلكترونية:



المصدر: مؤسسة كايسر الأسرية

في الحقيقة، في حين أن الأطفال من الثالثة فما دون كانوا كثيراً ما يستمعون إلى الموسيقى، فقد بات التلفاز الآن بالنسبة للأطفال من عمر الرابعة وحتى السادسة النشاط الإلكتروني المتوسط الأكثر تواتراً بحسب التوثيق الذي قامت به كايسر. أما نسبة استخدام كل من الحاسوب وألعاب الفيديو فقد ارتفعت بشكل ملحوظ.

ونظراً إلى هذا التزايد في استخدام وسائل الإعلام، نجد كثيراً من الأهل يضعون القواعد لضبط استهلاك أطفالهم لها. علينا أن نتذكر أن فهم ما يجري على شاشة التلفاز والحاسوب وألعاب الفيديو، والتفاعل

معهـا بشـكل كامـل، يحتاج إلى الكثير مـن قوة التفكـير. إذ غالباً ما تتضمن وسـائل الإعـلام تلك ألوانـاً وأصواتاً إضافة إلى المسـار القصصي والتفاعلية. وعلى الرغم من أن البعض قد يدفعك إلى التفكير بأن الأطفال ليسـوا بأكثر من مخلوقات زومبية مسلوبة الإرادة تذوي أمام التلفاز، فإن الحقيقـة أن الأطفال في هـذ العمر يصلون إلى مراتب عاليـة من التفاعلية. يـزداد انتبـاه الأطفـال عندمـا يكـون هناك حركـة، أصـوات عالية أو مضحكة، أو أطفال على الشاشـة. وحتى عندما يكونون غير متابعين لما يجري على الشاشة فإنهم ينصتون إلى الصوت، ويعودون إلى التركيز ثانية عندما توحي إليهم بعض الإشـارات السـمعية أن عليهم الانتباه أكثر. يولي الأطفـال اهتمامهم إلى المواد التي يمكن فهمهـا، ولا يكترثون بالعناصر عصية الفهم عليهم. كما سنرى لاحقاً، هذه نقطة هامة للغاية، لأن الأهل الذيـن يرغبون بتشـجيع أطفالهـم على متابعـة البرامج التلفازيـة التعليمية عالية المستوى قد يجدون اهتمام أطفالهم ينصرف عنها، ببساطة لأنها غير مفهومة بالنسبة لهم.

النجدة! سيحول التلفاز ولدي إلى زومبي مسلوب الإرادة!

أعتقـد أنه مـن الضروري قبـل المضـي في التبحر في موضـوع التلفاز والأطفـال في مرحلـة مـا قبل المدرسـة، أن نزيل الشـوائب الناجمة عن أي أفـكار خاطئـة يمكن أن يملكهـا المرء حيـال التأثير الإجمالـي للتلفاز علـى الأطفال الصغار. فلتغض الطرف الآن عن ماهية البرنامج الذي يتابعه طفلـك، فالسـؤال هنا ما إذا كان فعل المشـاهدة بحد ذاتـه له آثار رهيبة على أطفالنا.

بعض الكتب التي حظيت بالترويج الجيد لها ستدفعك للاعتقاد أن الجواب هو: بلا ريب! ولكن عليك أن تحذر من تلك الكتب التي تحمل عناوين مخيفة لتحملك على شرائها. لب الحقيقة هنا، هو وجود الكثير جداً من الحقائق التي لا نعرفها عن أثر التلفاز على الأطفال الصغار جداً من تلك التي توصّلنا إليها فعلاً. معنى هذا أن أي كاتب عن الموضوع هو أمام خيارين، إما أن ينقل وحسب ما تم التوصّل إليه فعلاً، أو أن يملأ الثغرات في الأبحاث بأفضل ما لديه من توقعات. فإن كان الكاتب مقتنعاً بالأثر الرهيب للتلفاز على أطفالنا، فإنه سيسد الفراغ بأسوأ الحالات التي يمكن تصورها.

الآثار المعتدلة:

تشير غالبية الدراسات التي تبحث في العلاقات بين التلفاز وأثره على أولادك إلى أن هذه الآثار معتدلة على أحسن تقدير. هل سيجعل التلفاز من ابنك بديناً؟ هل سيعلمه الحروف؟ هل سيخرب فترة التركيز لديه؟ هل سيبيّن التلفاز له كيف يصبح مواطناً صالحاً (وهو ما يدعوه الأكاديميون «السلوك الاجتماعي»)؟

الإجابة عن تلك الأسئلة كلها، صدّق أو لا، هي النفي على الأرجح. النفي؟! ماذا يفترض أن يعني هذا؟ يعني، على سبيل المثال، أن العلماء حين يجرون دراسة ويجدون صلة بين مشاهدة التلفاز وزيادة الوزن بين الأطفال الصغار، يقومون بما يفعله أي عالم: يكتبون مقالةً يذكرون فيها «التلفاز يجعلنا من أصحاب الوزن الزائد!» فمثل هذه المقالات بالنتيجة تضمن لصاحبها نشرها وتمهد له طريق الشهرة. ولكن تذكر التالي: لمجرد أن العلماء قد عثروا على صلة، فليس هذا معناه أن عليك أن تقلق بالضرورة.

ففـي العلم هناك العثـور على أي صلة، والعثور على صلة فعلية. المشـكلة تكمن في أن العلماء ينحون إلى التركيز على إيجاد الصلة بحد ذاتها بدلاً من التوقف والإمعان في أثرها الواقعي بأسلوب عادي وبسيط.

دعونا نورد مثالاً على ذلك. هل سـيجعل التلفاز من طفلك الذي يتراوح عمره بين الثالثة والخامسة، من أصحاب الوزن الزائد؟ مرة أخرى سيطيب لتجّار الوهم أن يجيبوك بنعم. إنما كما سنرى، فإن الإجابة هي لا بالنسبة لعدد هائل من الأطفال. فسـاعة مشاهدة واحدة للتلفاز يومياً قد تم ربطها بشكل رئيس بزيادة بنسبة ١ بالمئة من فرصة تحول طفلك إلى الوزن الزائد. فـإذاً الصلـة موجودة حتمـاً، إنما هل لها حقـاً أن تحرمك النـوم قلقاً؟ من المؤكـد أن لدى الأهـل الكثير من الأمور الأكثر أهمية ليقلقوا بشـأنها. فلنقـل إنه إن كان ولدكم من أصحاب الوزن الزائد أو أنه يصبح كذلك باستمرار، عندها يجب أن تتساءلوا فيما إذا كان يشاهد التلفاز أكثر من اللازم. أما بالنسـبة لبقيتنا، فينبغي علينا أن نقلق حيال أمور أخرى أكثر أهمية قد تحمل في طياتها تأثيرات سلبية على أولادنا.

هل يجفف التلفاز الدماغ؟

فـإذاً لعلك أصبحـت حتى الآن تعتقد بأنك تعرف الإجابة عن السـؤال المتضمَّـن في بداية هذا المقطع وهو «هل سـيحول التلفاز ولدي إلى زومبي، أي مخلوق مسلوب الإرادة؟» الجواب هو مرة أخرى على الأرجح لا لن يفعل، وإن كان بعـض الكتـاب مقتنعين بعكس ذلك. فلتحـذر عند تعاملك مع العلم من الأشـياء التي تعطيك «الشـعور» بأنها صحيحة: فهل تلك الطريقة في المشاهدة التي نَصِفُها بأنها زومبية، تجعل دماغ المشاهد بشكل أساسي في إجازة، وكأنه سلم القيادة إلى الطيار الآلي؟ أم أنها على العكس تعني

أن الدماغ في غاية التركيز على الاندماج مع المحفز الذي يقدمه له التلفاز لدرجة يضحي معها العالم الخارجي في استراحة مؤقتة؟ ما يزال على العلماء حقيقةً أن يبرهنوا وأن يدحضوا إحدى الحالتين. لكن إن كنت تفترض سلفاً أن التلفاز شيء رهيب فالإجابة إذاً أوضح من اللازم! بوصفي عالماً باحثاً فإني لا أستطيع أن أسلك ذاك السبيل. لا يمكنني افتراض أي أمر ما لم يدعمه البحث. الكثير والكثير جداً من القرارات السيئة تم اتخاذها في الحياة لأننا نشعر بأننا نعتقد بأننا نعلم الجواب الصحيح، في مواجهة علم غالباً ما يقترح بقوة العكس.

فكرة «الزومبيّة»، وهي وجهة نظر المتعلمين الذين يعتقدون أن التلفاز يدمر المجتمع، توحي بأن التلفاز يقدم لنا عبر شاشته عالماً سريع الخطو، وآسراً إلى درجة هائلة، تجعلنا نفقد كل اهتمام في عالمنا الواقعي. فلمَ الذهاب إلى المتنزه في حين أننا نستطيع أن نرى تلك المناظر الطبيعية المذهلة على التلفاز؟ لا بد أن المتنزه سيبدو مملاً إن وضع في المقارنة.

للأسف، هؤلاء الباحثون أنفسهم يجادلون بالحدة ذاتها أن التلفاز ليس ببديل عن الخبرات الواقعية. فهي أكثر إثارة للاهتمام بكثير، أضف إلى أنها تفاعلية، شخصية، وحسناً أنَّها واقعية! لهذا السبب تكشف معظم الدراسات أن التعلم عبر التلفاز لم يتضح قط بشكل قاطع أنه يتفوق على التعلم بشكل شخصي.

فهل التلفاز إذاً يمتص اهتمامنا بالحياة الواقعية، وكذلك التلفاز غير قادر على مضاهاة الحياة الواقعية؟! إنني شخصياً لا أعرف الكثير من الأطفال الذين لا يسحرهم العالم الخارجي، بغض النظر عما يشاهدونه على التلفاز. وعليه فنحن أمام حالة يفتقر فيها البحث إلى البراهين على أن

التلفاز يقود إلى «الزومبيّة»، حيث يفقد الأطفال اهتمامهم بعالم الواقع، فإن الكتّاب المعارضين للتلفاز يوردون نوادر الحكايا كيفما اتفق ليدعموا وجهة النظر السلبية عن التلفاز. هذا ليس بعلم، إنه رأي شخص واحد.

هؤلاء الكتّاب أنفسهم يساوون بين التلفاز و«المشعوذين القدماء» الذين يلقون علينا تعويذة سحرية، جاعلين اهتمامنا كله منصرفاً إليها دوناً عن أي محفز آخر. ما تتنساه هذه المناقشة هو أنه عندما يصادف المرء تجربة قابلة للمشاهدة تماماً، سواء كانت ذهاباً إلى حديقة الحيوان أو مشاهدةً لمسرحية، فهو يتصرف شأنه شأن جميع الناس بالطريقة نفسها: إذ يتوجه الانتباه كلية إلى ذاك الأمر الذي يتطلب مثل ذلك الانتباه.

فإذاً، يتوجب على هذا النقاش الخاص «بالزومبيّة» إما أن ينطبق على التجارب القابلة للمشاهدة جميعها بشكل أساسي، أو ألا يُتخذ كدليل ضد أي تجربة قابلة للمشاهدة بشكل منفرد ودوناً عن غيرها.

يتحسر هؤلاء الكتّاب أنفسهم أيضاً على حقيقة أن التلفاز يزوّد الأطفال بكم كبير من المحفزات هم غير جاهزين لاستقبالها ومعالجتها. غير أنهم يلفتون النظر كذلك إلى الدراسات التي تفيد بأن الأطفال يعدّلون استجاباتهم للمحفزات سريعاً بناءً على التوقعات. بمعنى أنهم إن كانوا يعلمون أن التلفاز سيحيطهم ببيئة عالية المحفزات، فسرعان ما يخفضون حد العتبة لديهم للمحفزات الآتية، ليأخذوا منها فقط بقدر ما يرغبون.

ومرة أخرى، لا يمكن لهذين التصريحين أن يصدقا في آن واحد معاً. مهما يكن، فكما يعترف حتى بعض من هؤلاء الكتاب، فقد قام عدد لا بأس به من برامج الأطفال التلفازية، بما فيها الطويلة الأمد كبرنامج

شـارع سمسـم (Sesame Street)، بتعديل سـرعة تقديـم عرضها كي تلائم على نحو أفضل قدرات مشاهديها الصغار.

وفي النهاية، لا شـك أن مشاهدة التلفاز يمكن أن تحمل تبعات سلبية علـى الأطفـال الصغار. إلا أن الأبحاث قد أظهرت أنه يمكن أن يكون لها أثر إيجابي أيضاً. إنما أهم من ذلك كله، أن الدراسات جميعها تقريباً قد أجمعت على أن تأثير التلفاز يعتمد في الأغلب على عامل واحد، وهو مقدار ما يشـاهده الأطفال منه. هل سـيتحول طفلك إلى زومبي بتأثير مشـاهدته للتلفاز؟ هذا أمر وارد تماماً، إن كان يشاهد خمس ساعات يومياً فأكثر. فماذا إن كان يشـاهد سـاعتين أو أقـل يومياً؟ يؤيد البحـث بقوة في هذه الحالة الجواب «لا».

ختاماً، يتوجب على الأهل أن يعرفوا أولادهم وأن يحيطوا علماً بنوعية التلفاز الذي يستهلكونه بانتظام. ففي نهاية الأمر، يبقى الاكتشاف الذي لا مـراء فيـه من مجمـوع الأبحاث على الأطفـال والتلفاز، هـو أن الأطفال يسـتجيبون على نحو متفاوت. وبما أن إمكانية اسـتعمال الأبحاث بالنسبة إليـك تبقى في حدود اسـتخدامها كدليل يرشـدك إلى فهـم: أولاً، ما إذا كان التأثير وارد الحدوث، وثانياً، إن كان كذلك فحتى أي مدى؛ يصبح عندها واجبك أن تعتمد في حكمك فيما إذا كان التلفاز يؤثر على طفلك بطريقـة معينة، على هذا دليلاً، وأيضاً على ملاحظاتك الخاصة لمشـاهدة طفلك له.

ما الذي يعلمه التلفاز لأطفالنا في هذه السن؟

لعل السؤال الأهم الذي ينطوي عليه هذا الفصل هو: ما الذي يعلمه التلفاز لطفلي بين سني الثالثة والخامسة؟ بإجابة مختصرة سنقول: كل شيء، على الرغم من وجود بعض الدلائل على العكس. وإن كان ذلك التعلم لا يتم حتماً بالشكل الفعال الذي نرجوه .

هناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى اتساع المفردات بفضل التلفاز. ففي تجربة أجراها وودسمول ورايس تم عرض برنامج توجيهي على أطفال من مرحلة ما قبل المدرسة، لمدة ١٥ دقيقة، حوى ٢٠ كلمة جديدة. فتبين أن الأطفال في سن الثالثة كانوا وسطياً يعرفون ٥,٨ كلمات قبل مشاهدتهم البرنامج، و ٧,٦ كلمات بعد البرنامج. وللمقارنة، لم يتم عرض البرنامج على مجموعة أخرى من الأطفال، فكانت النتيجة كما هو متوقع أن معرفتهم بالكلمات لم تتغير. أما التأثر فكان أبعد لدى أطفال الخامسة من العمر، الذين كانوا وسطياً يعرفون ست كلمات قبل البرنامج، وصلت إلى ١٠,٧ بعده. فإذاً من الواضح أن للتلفاز القدرة على تعليم المفردات.

التلفاز مقابل التعلم بشكل شخصي:

بأي حال، ما لم يتضح من خلال هذه التجربة هو ما إذا كان التعلم بشكل شخصي سيكون ذا فعالية أكبر في الإطار الزمني ذاته. إذ من المهم أن نطرح ذاك التساؤل على أنفسنا لنتبين ما إذا كان التلفاز ذا قدرة على تعليم أطفالنا بشكل أفضل من التوجيه الشخصي. فقد توصلت غالبية الأبحاث إلى أن التلفاز ليس فعالاً تعليمياً كما هو التعليم الشخصي، على الرغم من أن بعضها قد توصل إلى مستويات من التعلم متساوية بين

الطريقتين. ونرى أنه في حين يفتقر التلفاز إلى اللمسة الشخصية التي يرى كثيرون بأنها حاسمة في عملية التعلم، إلا أنه يملك القدرة على استخدام التأثيرات الخاصة كالانتقال عبر الزمن، والجمع بين المرئي والصوتي على نحو أكثر إثارة. نستخلص إذاً أن للتلفاز ميزة نختصرها بكلمة واحدة ألا وهي البهرجة، ونقطة سلبية رئيسة تتمثل في الافتقار إلى التفاعلية واللمسة الشخصية، وذلك بالمقارنة مع التعليم الشخصي.

بالرجوع إلى ما هو متوافر حول هذا الموضوع، يمكن بالتأكيد القول أن التلفاز ليس أجدى إلى درجة كبيرة من التعلم الشخصي. يبدو بلا شك أن ما دُوِّن حول هذا الأمر يُظهر في كثير من الأحيان أن الأطفال يتعلمون بالطريقة الشخصية بفعالية أكبر من التلفاز. على سبيل المثال، أجرى عالمان عدداً من التجارب بغية المقارنة بين التعلم من الفيديو والتعلم المباشر.

تعليم الفتيات أن يكن فتيات

إن وضع أفكار نمطية لدور كل من الجنسين هو أمر يتعلمه الصبيان والبنات في سن مبكر، إذ يستقونه بشكل رئيس من والديهم. فالأهل الذين يشجعون بنيّاتهم على تعلم الرياضيات والعلوم يعارضون التوجه الشائع لتربية فتاة لا تأبه بتلك المهن «المناسبة للرجال». أما الأهل الذين يؤنبون بشدة صبيانهم إن هم بكوا لأن «الصبية لا يبكون»، فهم سيميلون إلى تنشئة أولاد يطمرون مشاعرهم في داخلهم أكثر من غيرهم. وقد يعتقد البعض أن بعضاً من تطور دور الجنسين موجود سلفاً لدى الصبية والبنات. وبغض النظر عما إذا كان تطور مثل هذه الأدوار عائداً للطبيعة أو التنشئة، فمن الواضح أن

فقد قسم ميلتسوف الأطفال إلى مجموعتين، مجموعة التعلم الشخصي، ومجموعة التعلم عبر الفيديو. وفي مجموعة التعلم الشخصي أخذت سيدة تلعب بدمية متحركة ترتدي قفازاً، وفي داخل قفاز كفها الأيمن جرس. قامت السيدة بشرح كيفية وضع الدمية في يدها، ثم نزع القفاز، وأخيراً رن الجرس من خلال هزها للقفاز. تم تسجيل هذه الأفعال ذاتها على الفيديو، كي لا تختلف المشاهد التي يطالعها أطفال مجموعة الفيديو في شيء عن تلك التي رآها الأطفال الذين شاهدوا من يشرح لهم تلك السلوكيات بشكل مباشر. ومن ثم، بعد مضي ٢٤ ساعة، أُعطي الأطفال الدمية المتحركة، ثم بدأ مجرو التجربة بقياس كم من الأطفال سيضع الدمية فوق يده، سينزع عنها القفاز، ويهز الجرس. بشكل عام كانت فرصة الأطفال الذين شهدوا هذه السلوكيات بشكل مباشر، مضاعفة في الاقتداء وبالتالي تقليد بعض من هذه السلوكيات، أو كلها.

التلفاز يمكن أن يلعب دوراً رئيساً في تطور الهوية والشخصية المرتبطة بكل من الجنسين. على الأغلب لن يدهشك العلم بأنَّ العلماء قد وجدوا أن البنات اللاتي يشاهدن برامج تلفازية تحوي تلميحات أقل للأدوار النمطية المرتبطة بالجنسين بصورة «تقليدية»، قد سجلن نقاطاً أقل في الاختبارات المصممة لقياس مدى معرفة الأطفال بهذه الأدوار النمطية المرتبطة بكل من الجنسين. باختصار، هناك برامج مثل دورا الباحثة (Dora the Explorer)، التي تعارض التوجه السائد إلى تنميط الجنسين في أدوار محددة. فإن كنت ترغب في الحد من تعرض أطفالك لمثل هذه الأفكار النمطية، فلتحرص إذاً على الإكثار من مشاهدتهم للمزيد من أنماط البرامج تلك.

أهمية التفاعل:

من الأهمية بمكان التذكير بأن الباحثين قد وجدوا أن التفاعل جزء حاسم من العملية التعليمية لأطفال ما قبل المدرسة. فمن المحتمل إذاً أنه كان يمكن تقليد الإرشادات المبثوثة عبر التلفاز عن الدمية المتحركة والقفاز بتواتر أكبر، فيما لو كان الشخص على التلفاز أكثر تفاعلاً بشكل مباشر مع من يشاهدونه.

ومع ذلك، فلو كان للمرء أن يختار لكان التعلم الشخصي هو خياره المفضل. أما حين يعجز الأهل عن توفير التعليم المباشر، يضحي التعلم عبر التلفاز في المرتبة الثانية بين خياراتهم البديلة. إنما كن حذراً، فليس كل ما يبث عبر التلفاز في سوية واحدة. كما سنطلع بعد قليل، هناك برامج أكثر فعالية بكثير من غيرها.

التلفاز والتخيّل:

يزود التلفاز أطفالنا بجوانب كثيرة تفوق بكثير مجرد جانب التعلم. ولعل المجال الأكثر بحثاً وتمحيصاً بعد التعلم هو أثر التلفاز على التخيّل، وهو الأمر الذي يحشد مرة أخرى المؤيدين والمعارضين للأثر الإيجابي للتلفاز على التخيّل عند الأطفال. فمن ناحية، يقدّم التلفاز للأطفال الكثير مما لن يشهدوه بأنفسهم غالباً (أو على الأقل إن فعلوا فسيكون ذلك نادر الحدوث جداً). فعلى سبيل المثال، قد يشاهد الطفل إقلاع طائرة مروحية عبر التلفاز، ولكن فرص مشاهدته لحادثة كهذه مباشرة، قبل سن الخامسة، تبقى ضئيلة. كما قد يُحرِّض التلفاز الخيال على إنتاج أفكار تنبع من التجربة التي تمت مشاهدتها، كلعبة تخيلية عن الطائرات المروحية. من ناحية أخرى، يجادل البعض في أن التلفاز يقتطع من وقت

اللعب التخيلي، مما يسبب أن يصرف الأطفال وقتاً أقل على رعاية خيالهم، بما أن مشاهدة التلفاز تبتلع الساعات على حساب وقت اللعب.

لقد توصلت غالبية الدراسات إلى وجود آثار إيجابية للتلفاز على اللعب التخيلي. وعندما تصل الأمور إلى التخيل، يصبح من الأهمية بمكان نوعية البرامج التي تسمح لطفلك بمشاهدتها. فقد وجد أن البرامج التي تحوي كماً كبيراً من الحركة والعنف لا تنطوي على أي أثر على اللعب التخيلي؛ في حين أن البرامج ذات الحركة الأقل، والقليل فقط من العنف لها أثر إيجابي على اللعب التخيلي.

في إحدى الدراسات التي أجراها سينغر وسينغر، تم عرض برنامج حي السيد روجر لمجموعة من الأطفال، في حين صرفت مجموعة أخرى الوقت ذاته في ممارسة نشاطات لعب غير محددة مع أحد البالغين. فجاءت النتيجة مثيرة للاهتمام، حيث أبدت المجموعة التي أمضت الوقت في مشاهدة حي السيد روجر لعباً تخيلياً أكثر لدرجة بالغة في جلسات لعب لاحقة، من أولئك الأطفال الذين لعبوا مع الشخص البالغ. ولكن حين شاهدت مجموعة ثالثة برنامج حي السيد روجر مع شخص بالغ أخذ يبيّن بفعالية أحداثاً وعناصر محددة يعرضها البرنامج، كانت تلك المجموعة هي ذات النصيب الأوفر بين الجميع من حيث إظهارها للعب التخيلي.

وقد وجدت دراسة أخرى أن البرامج ذات سرعة العرض الأبطأ قد تعزز التخيل بشكل أكبر أثراً، إضافة إلى مقاييس أخرى إلى جانب التخيل كالتركيز مثلاً، وذلك بالمقارنة مع البرامج السريعة العرض. كذلك وجدت هذه الدراسة أن للتلفاز أثراً صريحاً على اللعب التخيلي لدى الأطفال الذين كانت النزعات التخيلية لديهم من البدء منخفضة قبل التجربة.

باختصار، تشير الدراسات إلى أنه يمكن أن يكون للتلفاز أثر إيجابي على اللعب التخيلي. إنما لا نغفل ثانية، أن هذا ينطبق على أنماط محددة من البرامج، وهو أكثر صحة بالنسبة لبعض الأطفال دوناً عن غيرهم، وبشكل خاص أولئك الذين يشاهدون البرامج بالتفاعل مع والديهم. فنحن ـ الأهل ـ لا سبيل لنا للخلاص قط!

التلفاز والسلوك الاجتماعي:

يتعلق مجال الأبحاث الأخير عن الآثار التربوية للتلفاز على الأطفال بما يطيب للباحثين تسميته بـ «السلوك الاجتماعي». ويتضمن هذا الإيثار المتزايد، التفاعل الاجتماعي بالإضافة إلى النقص في المواقف العدوانية والأفكار النمطية تجاه الآخرين. في استعراض لتسعة عشر مشروع بحث تختبر العلاقة بين التلفاز والسلوك الاجتماعي، وجد وودارد وميرز أن ثمانية عشر من مشاريع الأبحاث قد وثّقت وجود صلة إيجابية بين التلفاز وجوانب السلوك الاجتماعي كافة باستثناء الجانب العدواني الذي لم يضعف نتيجة لمشاهدة السلوك الاجتماعي. بمعنى آخر، وجد الباحثون في دراسة تلو أخرى، تعزيزات قصيرة المدى للسلوك الاجتماعي لدى الأطفال الذين شاهدوا برامج تؤكد على السلوك الاجتماعي.

ما البرامج المفيدة للأطفال؟

عبر تكاثر برامج الأطفال التي تبث أربعاً وعشرين ساعةً من خلال قنوات مثل نيكيلودين، بي بي أس سبراوت، نوجين، وقنوات ديزني وغيرها، بات همّاً ضخماً معرفة ما إذا كانت البرامج جميعها قد أحدثت

على نحو متساو. في الحقيقة لا ، إنها ليست كذلك. فبصورة عامة ، البرامج التي صممت لتكون تعليمية أولاً وترفيهية ثانياً تمتاز إلى حد بعيد على تلك التي وضعت بشكل أولي لغاية ترفيهية محضة.

البرامج التوجيهية مقابل الرسوم المتحركة (وما العمل عندما تعجز عن التمييز بينها):

تقارن كثيرٌ من الأبحاث المتوافرة حول أثر التلفاز، بين البرامج التعليمية وبرامج الرسوم المتحركة ، أو أي برامج أخرى تعتمد على الحركة. وكما أسلفنا في الفصل الأول، لم يكن للبرامج التعليمية من قبيل حي السيد روجر أي تأثير على الصبر لدى الأطفال. في حين أن مشاهدة برامج كالحراس الأقوياء جعلت من صبرهم ينخفض بشكل ملحوظ. وكما ذكرنا قبلاً فقد وجد أن البرامج التعليمية ذات أثر إيجابي على اللعب التخيلي، بينما تؤثر الرسوم المتحركة بشكل مضاد سلباً على الإبداع واللعب التخيلي.

من المؤكد أنَّه قد يكون صعباً على الأهل عدم الخضوع عندما يفضل أولادهم مشاهدة البرامج الأكثر بهرجة على البرامج التعليمية. غير أن الدليل واضح هنا: على الأهل أن يتأكدوا من كون حصة الأسد من البرامج التلفازية التي يشاهدها أبناؤهم هي برامج تعليمية. فعند وضعهم أمام خيارين اثنين لا ثالث لهما ، وهما إما مشاهدة البرامج التعليمية أو الاستغناء عن التلفاز كلية ، فلا مناص من أن يختاروا البرامج التعليمية.

ولكن ما البرامج التعليمية على أي حال؟ أو ليست بعض برامج الرسوم المتحركة تعليمية؟ بلا ريب، إنما هناك البعض الآخر منها ليس كذلك.

فيجب على الأهل أن يعرفوا مضامين البرامج التي يتابعها أبناؤهم على التلفاز ويقرروا بأنفسهم، وهذا أمر جوهري. فالبرامج التعليمية همها القيام بمحاولات واضحة لسكب جانب من المعرفة في عقول الأطفال، كالمفردات، مهارات التفكير، العد، إلخ. في حين أن البرامج الترفيهية يسودها المسار القصصي والعناصر المرئية التي تخطف البصر. ذاك هو الاختبار الكاشف لمعرفة ما إذا كان البرنامج تعليمياً: يجب أن يكون هناك محاولات واضحة ومتعاقبة لتعليم الأطفال السلوك الاجتماعي، تعزيز الخيال لديهم، أو توجيه الأطفال فيما يتعلق بالحروف والكلمات والعالم من حولهم.

من حسن حظكم فقد قام العلماء سلفاً بأداء المهمة لتحديد ما إذا كانت بعض البرامج تعليمية أم لا. كذلك نقّب هؤلاء الباحثون فيما يمكن لهذه البرامج أن تعلّمه للأطفال، وهو ما تصفه المقاطع التالية:

شارع سمسم (Sesame Street):

لا شك في أنه ما من برنامج قد استجلب مزيداً من الاهتمام بسبب آثاره على الأطفال في عمر المشي، وأطفال المرحلة ما قبل المدرسية، أكثر مما فعل شارع سمسم. ينطوي هذا البرنامج، الذي بات من الكلاسيكيات الآن، على تركيز خاص على التنوع العرقي. مما استدعى العلماء، نظراً لتأثيره الواسع على الأطفال، للقيام بالتحري لإثبات ما إذا كان لذلك التركيز أي أثر لدى الأطفال.

في تجربة أجراها فريق بحث شارع سمسم، عرضت على الأطفال مجموعة من حلقات شارع سمسم تحوي إما خليطاً عرقياً من الأطفال الممثلين، أو أن يكون الأطفال الممثلون كافتهم من الأقليات العرقية. وأخذت مجموعة

أخرى بمشاهدة النسخة نفسها من برنامج شارع سمسم، غير أن الأطفال الممثلين فيها كانوا جميعاً من القوقازيين. طُلب بعدها من الأطفال أن يشيروا إلى صور أطفال لا على التعيين، ثم يطرح عليهم السؤال ما إذا كانوا يرغبون باللعب معهم. فقام الأطفال الذين شاهدوا النسخة المتنوعة عرقياً من شارع سمسم بانتقاء صور أطفال ذوي بشرة غير بيضاء بنسبة سبعين بالمئة، بالمقارنة مع الأطفال الذين شاهدوا نسخة بيضاء فقط من شارع سمسم، والذين انتقوا صوراً لأطفال ذوي بشرة غير بيضاء بنسبة ٣٣ بالمئة. فإذاً تقودنا هذه الدراسة للاعتقاد بقوة أن مشاهدة التلفاز الذي يحوي شخصيات ذات تنوع عرقي يغرس في النفس مواقف منفتحة أكثر تجاه الأشخاص الآخرين ذوي الأصول العرقية المختلفة.

لقد أجريت العديد من الدراسات الأخرى على برنامج شارع سمسم، فتوصلت الغالبية العظمى إلى أن للبرنامج آثاراً إيجابية. ففي إحدى الدراسات التي أجراها رايس وجد أن مشاهدة شارع سمسم تزيد من القدرة على التعرف على الحروف، وأجزاء الجسم، والأشكال، إضافة إلى مهارات الفرز والتصنيف.

لقد تمت دراسة أثر شارع سمسم بشكل خاص على الأطفال المحرومين، كالبحث الذي أجراه باولسون. وقد عثر على صلة بين مشاهدة شارع سمسم وصرف الوقت في القراءة بدلاً من أي نشاطات أخرى. وقد وجدت الدراسة نفسها أن متابعي البرنامج يسجلون نقاطاً أعلى في اختبارات تتعلق بالرياضيات والمفردات والاستعداد للمدرسة، من أولئك الأطفال الذين لا يتابعونه.

كان من الملفت للنظر بالنسبة للمدرسين أنهم في الامتحانات التي قاموا فيها باختبار الاستعداد المدرسي لدى التلاميذ، لاحظوا بانتظام

أن الأطفال المتابعين لبرنامج شارع سمسم يبدون استعداداً أكبر. وحتى أنه في الدراسات الطويلة الأمد التي أجرتها خدمات الفحص التربوية Educational Testing Service، وغيرها من الباحثين تم التوصل إلى أن مشاهدة شارع سمسم خمسة أيام في الأسبوع خلال مرحلة الطفولة، تؤدي إلى تحسن يبلغ حتى الثلث في علامة الأدب في كثير من صفوف المدرسة الثانوية (وكان ذلك ملحوظاً بشكل خاص لدى الصبيان أكثر من البنات). كذلك المراهقون الذين كانوا يشاهدون هذا البرنامج في صغرهم، أبدوا أنهم يمضون وقتاً أطول في القراءة، وكان لديهم ثقة أكاديمية أكبر في أنفسهم، وتقدير أعلى لأهمية التحصيل العلمي من المراهقين الذين لم يكونوا يتابعون شارع سمسم بشكل منتظم.

إلا أن الأبحاث الإيجابية لم تتوقف هنا. فقد عمد كثير من العلماء إلى البحث لا في المكاسب التعليمية بل في وجود صلة محتملة بين مشاهدة شارع سمسم والسلوك الاجتماعي، والتطور الاجتماعي بصورة عامة.

أما بالنسبة لموضوع اللعب التعاوني (أي اللعب الذي يقوم فيه الأطفال بإيجاد الحلول للمشاكل التي تتضمن العمل معاً أو التشارك مع أطفال آخرين)، فقد جاءت الأدلة متنوعة. ففي حين وجد معظم الباحثين صلة بين مشاهدة شارع سمسم والتزايد في اللعب التعاوني، إلا أن هذه الصلة كانت عادة مقتصرة على المهام التي يطلب القائمون على التجربة من الأطفال القيام بها بعد مشاهدة العرض مباشرة. وتلك المهام كانت مماثلة لما قد شاهدوه أثناء العرض. أما قلة متواضعة جداً من الأبحاث هي التي وجدت النوع ذاته من السلوك التعاوني عند مراقبة الأطفال لاحقاً أثناء لعبهم بحرية وبشكل عام.

من وقت لآخر، قام كتاب شارع سمسم بكتابة عروض وتنظيم مواسم خاصة بمواضيع معينة. ففي عام ١٩٨٣، توفي الممثل المؤدي لشخصية مستر هوبرن فخصص البرنامج عرضاً بمناسبة رحيله. وفي عامي ١٩٨٨ و ١٩٨٩ قرر الكتاب إظهار شخصيتي ماريا ولويس على أنهما تتحابان ومن ثم تتزوجان وترزقان بعدها بطفل. وأخيراً، بدءاً من عام ١٩٨٩ وضع البرنامج منهاجاً يستمر أربع سنوات يتناول علاقات الأجناس. وتبدّى في الدراسات اللاحقة كافّة التي أجريت على هذه المواضيع من قبل فريق بحث شارع سمسم، أن مشاهدي هذا البرنامج قد اكتسبوا منه معرفة لافتة للنظر، وقد بلغتهم الرسائل الصحيحة حول المواضيع التي طرحها.

أيُّ البرامج تعليمية؟

على الرغم من أنه من السهل الاعتقاد أن برامج الأطفال تعليمية أو أنها ليست كذلك، إلا أنه بالممارسة نجد بعضاً من البرامج تعليمية على نحو علني أكثر من غيرها، وبعضها يتساوى فيه الجانب الترفيهي مع الجانب التعليمي، في حين أن البعض الآخر يطغى عليه الجانب الترفيهي أكثر بكثير من التعليمي. للأسف فإن قوائم البرامج التعليمية الجيدة تبقى قليلة ومتباعدة. لقد نشأت منظمة قومية تدعى الإعلام المتعقل (CommonsenseMedia.org) من مجموعة من الأهالي والمربين ومديري المؤسسات الإعلامية. وهي تقوم بعمل طيب تماماً في تحديدها لأي من البرامج الموجهة للأطفال تعليمي. وإليكم القائمة التي أصدرتها عام ٢٠٠٧ لبرامج تناسب الأطفال من عمر الرابعة فما دون:

قوس قزح القارئ- Reading Rainbow

أووبي- Oobi

حي السيد روجر- Mister Roger's Neighborhood

عالم الكلمة- WordWorld

لماذا الخارقة!- Super Why!

العب معي يا سمسم- Play with me Sesame

بينكي دينكي دو- Pinky Dinky Do

نادي ميكي ماوس- Mickey Mouse Clubhouse

عرض جاك الموسيقي الكبير- Jack's Big Music Show

بارني والأصدقاء- Barney and Friends

روايات التنين- Dragon Tales

بين الأُسُود- Between the Lions

شارع سمسم- Sesame Street

وقت الغناء- Singing Time

أفلام ماما ميرابيلا المنزلية- Mama Mirabelle's Home Movies

أقدام فراني- Franni's Feet

فطائر الخردل- Mustrdard Pancakes

موطن الباحة الخلفية- backyeard habitat

ويلبور- Wilbur

هاري النطّاط- Hip hop Harry

كما أحثكم في مواطن كثيرة أخرى من الكتاب، عليكم أن تحرصوا على مشاهدة كل من هذه البرامج بأنفسكم لمرة على الأقل، لتحددوا مدى ملاءمتها لطفلكم. فمن المؤكد أنه حتى ضمن القائمة السابقة بعض البرامج هي أكثر تقدماً بكثير من غيرها، لذا فيتوجب على الأهل أن يقرروا، بناء على تقديرهم الشخصي، ما إذا كان ولدهم ابن الثالثة مستعداً لأي من هذه البرامج.

أدلة أزرق (Blue's Clues):

أدلة أزرق هو برنامج صمم منذ انطلاقته الأولى ليقوي ويحث على تعزيز تقدير الذات لدى أطفال ما قبل المدرسة، بالإضافة إلى تعليمهم مهارات التفكير، ومهارات حل المشكلات، والسلوك الاجتماعي. توضح الأبحاث أن البرنامج في الواقع يحقق هذه الأهداف إلى درجة ما. إذ بعد كل عرض منه يتم تعلم الكثير بشكل ملحوظ. وليس ذلك وحسب، بل يبدو أن الأطفال يتعلمون طرائق التفكير بعينها التي يؤسس لها البرنامج.

في تجربة أجراها أندرسون وآخرون، اختبر الباحثون قدرات كل من مشاهدي برنامج أدلة أزرق والأطفال الذين لا يتابعونه، على حل الألغاز. إن إحدى الأهداف الرئيسة من البرنامج هي جعل الأطفال يحلون لغزاً والمتمثل فيما تفكر فيه شخصية أزرق عن طريق الاستعانة بثلاثة أدلة. وكما هو متوقع، أبدى مشاهدو البرنامج قدرة على حل تلك الألغاز تزيد على غيرهم بنسبة عشرين في المئة، والتي تزايدت باطراد عند متابعة المزيد من حلقاته. وعلى نحو مماثل، وجد الباحثون زيادة في القدرة على التعرف على شيءٍ من خلال رسم غير مكتمل له. ففي حين أن الأطفال غير المتابعين للبرنامج تمكنوا من تحديد ماهية ثلاثة عشر رسماً بشكل صحيح، فقد استطاع الأطفال المشاهدون له تسمية سبعة عشر رسماً. وأكثر من ذلك، لقد استطاع مشاهدو أدلة أزرق بشكل أفضل مطابقة صور الغرض الأول مع صور غرض آخر ذي صلة، بالاعتماد على بعض التشابه بينهما، وذلك من بين عدد من الصور الموجودة.

حي السيد روجر (Mister Roger's Neighborhood):

هذا البرنامج الجليل قد تمت دراسته لأجل عدد من الآثار الإيجابية، قد ربطت مشاهدة حي السيد روجر مع اللعب التخيلي والزيادة في التنظيم الذاتي.

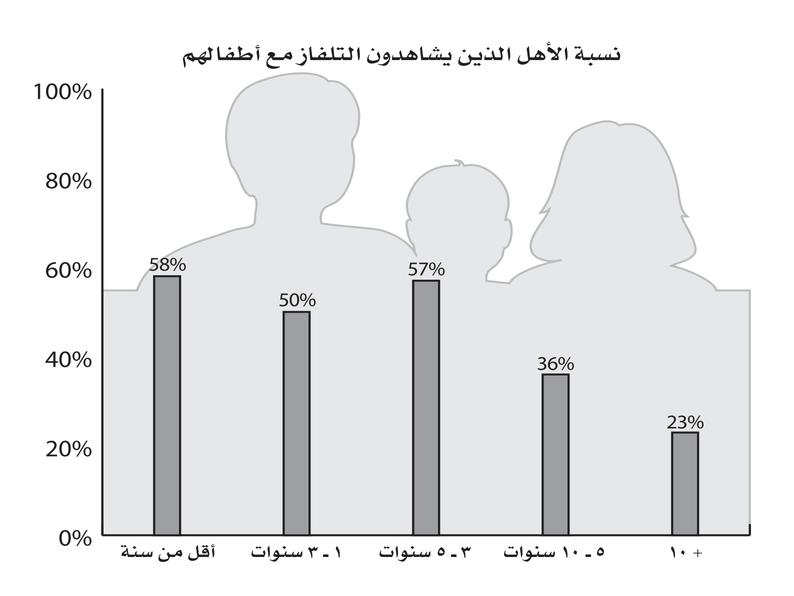
فقد سلط الباحثون اهتمامهم بشكل خاص على ناحية تطويره للتخيل لدى الأطفال بسبب ما يعرف عن البرنامج من تباطؤ في سرعة عرضه عن بقية البرامج الأخرى، بالإضافة إلى تشجيعه على البناء الفكري. وبغض النظر عن الأسباب الجذرية، يعتبر حي السيد روجر بالإجماع راعياً لبعض أشكال اللعب التخيلي، والتخيل بشكل عام. هذا التزايد في الخيال يبدو واضحاً لدى الأطفال ذوي السويات التخيلية المنخفضة من الأساس.

إني أشاهد التلفاز مع أطفالي... أهذا «أفضل» من أن أدعهم يشاهدونه وحدهم؟

نعم! فكما أثبتت بعض الأبحاث التي ذكرت قبلاً، بما فيها تلك التي أجراها ولينغ ووارن، فإن مشاهدتكِ للتلفاز مع أطفالك وكذلك تفاعلكِ معهم ومع التلفاز يؤدي إلى تحسن مهم في ما يحصّله أطفالك من التلفاز. وعلى الرغم من عدم اتضاح السبب في ذلك، إلا أنه هناك بعض التفسيرات المعقولة له. فبداية، معظم ما يشاهده الأطفال على التلفاز يكون «للمرة الأولى» بالنسبة لهم، ولذلك فهو كثيراً ما يتطلب من أحدهم وضعه في سياق معين، أو توضيح المشاهد الخلفية، أو يقدم لهم التفسيرات حول أي ما كانوا يكتشفون. وثانياً، من الحقائق الراسخة في عملية التعلم أن التكرار عامل حاسم فيها. ومن خلال تفاعلك مع طفلك فإنك تزودينه بسوية من التكرار تقوم مقام «المراجعة» لما خبره حالاً.

من سوء الحظ أن قرابة نصف الأهالي فقط هم من يشاهدون التلفاز، عادة أو دائماً، مع أطفالهم. وعلى اعتبار أن هذا الفعل يمكن أن يشكل هبة كبرى لأطفالهم، فحبذا، لو يمضي مزيد من الأهل الوقت بثبات مع أطفالهم أمام التلفاز، لكان ذلك رائعاً لهم بحق!

تقترح بعض الدراسات أن التفاعل الوالدي يمكن له أن يرفع بنسبة أكثر من الضعف سوية التعلم الذي يكتسبه الطفل من التلفاز. ومن المهم التنويه إلى أن ذاك التعلم له جانبان. فمساعدتك لطفلك لا تتوقف عند إحراز الأهداف التعليمية التي يصورها التلفاز، بدءاً من حل المشكلات وحتى الأرقام والحروف. بل إنها تتعدى ذلك إلى مساعدته في تعلم ما هو السلوك المقبول من غير المقبول، من خلال وضع السلوك الذي يشاهده في سياقه المناسب.



المصدر: شينغ، برينير، رايت، ساكس، موير، وراو.

هناك عدد من منتقدي وسائل الإعلام ممن يرون أن حقيقة الأمر هي أن التفاعل يجسد الخبرة التي يراها الطفل على نحو يكافح النزعة إلى الزومبيّة التي تمت ملاحظتها آنفاً، بحيث يبقي التفاعل على حالة ذهنية أكثر تيقظاً لدى الأطفال. إنما ما من دليل على أن الحال كذلك فعلاً.

مما لا شك فيه أنه لا يوجد ما تخسرينه، بل على العكس هناك الكثير من المكاسب التي تجنينها وطفلك عند تفاعلك معه أثناء مشاهدته التلفاز. فبالنسبة للأهل تمنحهم هذه المواقف علاقات أقوى مع أطفالهم وقدرة أكبر على تفهم طريقة تفكيرهم.

هل هناك برامج رديئة بالنسبة للأطفال؟

من الأهمية بمكان إدراك أن الغالبية العظمى من البرامج ليست مناسبة لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة. فإن كان البرنامج موجهاً إلى البالغين، فهو إذاً غير موجه إلى الأطفال. وبالتأكيد هناك القليل من برامج البالغين التي «لا بأس بها» بالنسبة للأطفال، كتلك التي تتحدث عن أحدث ما اكتشف عن عظمة الطبيعة، إنما عند التفكير بالأمر مرة أخرى، هل أنت مستعدة لأن يشاهد طفلك الأُسُودَ وهي تتناول غداءها؟ لذا فمن الآمن التزام القاعدة البسيطة: إن كان البرنامج مخصصاً للكبار، فهو إذاً ليس لأطفالك.

من الواجب تجنب البرامج المخصصة للمراهقين ولأطفال المرحلة الابتدائية على حد سواء. إذ إنَّها تحمل موضوعات متقدمة أكثر بكثير مما هو ملائم لأطفال ما قبل المدرسة. كما أنها تنزع إلى احتواء كم أكبر من العنف الكرتوني وغيرها من السلوكيات السلبية غير المعاقب عليها. (تذكروا أن وجود السلوك السلبي ليس بالضرورة أمراً سيئاً، طالما

أن البرنامج يظهر الطرف المذنب وهو يتعرض سريعاً وبخشونة إلى العقاب بطريقة ما). ولتبقوا في بالكم ما ذكرناه في الفصل السابق: الأطفال لا يستفيدون الكثير من البرامج التي تتجاوز قدرتهم على فهمها بأي حال. لذا فما من فائدة ترجى في تعريفهم على برامج أكثر تقدماً.

وفي هذه المرحلة المبكرة من العمر، يجدر بالأهل الاحتراس من البرامج التي قد تعد مخيفة بالنسبة لأطفال ما قبل المدرسة. تلك في الواقع واحدة

عندما أشاهد التلفاز بصحبة طفلي، فما الذي يتوجب علي قوله؟

إن الهدف من وجود الأهل كوسطاء هنا هو تقليص الآثار الضارة للتلفاز، وتضخيم الأثر الإيجابي. وأنت ترغبين في منح طفلك المساعدة في الأمور التي يحتاج المساعدة فيها. لذا فقد اقترح العالم روبرت أبيلمان بشكل عام أن تركزي على التالي:

١. **ما هو واقعي، وما هو ليس كذلك: حين تدعين طفلك يعلم أن أمراً ما واقعي ييسر من عملية التعلم عن موضوع ما، في حين أن ذكرك أن أمراً ما لا يوجد حقاً سيخفض التعلم إلى حده الأدنى.**

٢. **التأكيد على العواقب: ضخمي أثر المكافأة والعقوبة التي تقع في البرامج التلفازية لترفعي حتى الحد الأعلى محاكاتهم (للسلوك الإيجابي) وامتناعهم (عن السلوك السلبي). إذ يضمن هذا أن طفلك يفهم فعلاً إلى أي مدى هي جيدة الأعمال الحسنة، وأيضاً إلى أي مدى هي سيئة الأعمال الرديئة.**

٣. **زوديه بالحوافز: تحدثي إلى طفلك عن سبب قيام الشخصيات التلفازية بالتصرفات التي شاهدها. فلتضخمي تبريرات الأفعال الحسنة، وشككي في أي مبررات للأفعال السيئة.**

٤. **عبري لفظياً عما هو مقبول: أي عبري لأطفالك عندما ترين أمراً تودين منهم تقليده، وكذلك أخبريهم عند مشاهدتك أمراً لا سبيل لك للقبول به في منزلك.**

من أكبر المخاطر التي تنشأ من تعرض أطفال ما قبل المدرسة إلى البرامج المعدة لأطفال المرحلة الابتدائية المبكرة؛ لأن هذه البرامج على الأغلب أكثر احتمالاً لأن تكرس مواضيع كالهالوين، أو أن تحوي قصصاً عن الوحوش وما شابه.

ألن يمضي الأطفال أوقاتهم بشكل أفضل بعيداً عن مشاهدتهم للتلفاز؟

الإجابة المختصرة عن هذا السؤال هي «نعم» دون أي تحفظ. إذ تظهر الدراسات، كتلك التي أجراها هيوستن وغيره، أن مشاهدة التلفاز، سواء كانت بحضور الأهل أم لا، تقلص الوقت الذي يمضيه الأطفال دون سن الخامسة مع أهلهم في أداء مهام أخرى. كما يقلل من الوقت المصروف على «اللعب الإبداعي» أي كالرسم والتلوين، أو التظاهر والتأنق، أو اللعب بالدمى. إنما المثير للاهتمام أن مشاهدة التلفاز لا تقلل من الوقت المصروف على اللعب النشط، أي الألعاب التي تتضمن نشاطاً جسدياً.

سيقول نقاد وسائل الإعلام، إن أي وقت ينفق في مشاهدة التلفاز لهو مضيعة ؛ لأنَّ الوقت يمثل ما يدعى بـ «نقطة التعادل»[1]، بمعنى أنه لا يمكنك الإفادة منه أكثر، فما تكسبه فيه هو كل ما ستحصل عليه. وفي حين أن هذا صحيح بلا أدنى ريب، يظل من المهم تذكر أنه ما زال من غير الواضح تماماً ما يمكن أن يكسب الأطفال الذين يقومون بنشاط واحد مقابل آخر، أو أن يخسروا.

حتماً من المفيد هنا أن ننوه على ضرورة الحرص على ألا يشاهد طفلك من التلفاز حداً يتعدى الاعتدال، لأنه حقيقةً هناك الكثير من الوقت خلال

١ـ نقطة التعادل (Zero Sum): **مفهوم اقتصادي وسياسي لموقف يتساوى فيه ما يحققه المرء من مكاسب، مع الخسائر، فتكون النتيجة دائماً صفرًا. [المترجمة]**

اليـوم الواحد. فعلى الأهل أن يتسـاءلوا عما كان يمكن لطفلهم أن يفعله فيمـا لو لم يكن يشـاهد التلفـاز الآن. يزعم الكتاب المعارضـون للتلفاز مهما كلف الأمر، أنه يشـكل بوضوح نشـاطاً من النخب الثاني بالمقارنة مـع اللعب الإبداعي. قد يكـون هذا صحيحاً، إنمـا في الوقت الراهن من غـير الواضح ما إذا كان هذا التعبير دقيقـاً. فلعل اللعب الإبداعي والتلفاز «الجيـد» (أي التفاعلـي والتعليمـي) يؤثـران بصورة مختلفة علـى الطفل، لكنها تبقى إيجابية.

هل سيجعل التلفاز من ولدي بديناً، حتى في هذه السن المبكرة؟

كيفية التعامل مع الرعب القادم من التلفاز

قـد يصيـب الخـوف الأطفال من جـراء العديـد من الأشـياء التي يشـاهدونها على التلفاز وغيره من وسـائل الإعلام. لذا تعـرض الكاتبة جوان كانتور هنا عدداً من الاستراتيجيات لخفض الخوف عند أطفال المرحلة ما قبل المدرسية:

١. **العناق:**

تذكـر أن الخوف هو رد فعل جسـدي، كما هـو رد فعل انفعالي. وللأطفال في هذه الفئة العمرية يشكل العلاج الجسدي واحداً من الوسائل الأنجع لتهدئة مخاوفه. فالخوف يحقن الجسـم بهرمونات ترفع من سوية الضغط والإجهاد، فيأتـي العناق ليسـهم في تبديد هـذه الهرمونـات. وليس بالضـرورة أن يأتي العنـاق منـك، إذ يمكن للأخوة الأكبر أن يقوموا بهـذه المهمة، أو حتى دميته المفضلة أو أي دمية قريبة جديرة بالعناق ستفي بالغرض.

٢. **الأطعمة المواسية:**

نعم، إنك لا ترغب باسـتخدام هذا الخيـار في كل مرة يخاف فيها طفلك. لذا فلتحتفظ به لحين الحاجة الحقيقة له.

بتنا نعلم أن وجود التلفاز في غرفة الطفل سيزيد باعتدال من فرصة أن يصبح هذا الطفل من أصحاب الوزن الزائد. إنما أضف إلى ذلك أن مجرد مشاهدة التلفاز، بغض النظر عن مكانه، قد تم ربطه بزيادة الوزن لدى الأطفال، رغم أن الصلة بين الأمرين معتدلة على أحسن تقدير، كما يظهر غورتميكر وغيره. كما يبين لنا الجدول البياني في الأسفل، أن هذا ليس بأمر يثير القلق حقاً، مالم يكن طفلك الصغير يشاهد التلفاز لوقت طويل جداً:

كما يبين الجدول، فقد وجد العلماء صلة بين مشاهدة التلفاز لدى الصغار وبين الوزن الزائد لكن أثرها صغير جداً. في الحقيقة، إن نحن قربنا هذه الأرقام لوجدنا أن هناك زيادة واحد بالمئة فقط في احتمال أن يصبح طفلك بديناً مقابل كل ساعة يمضيها في مشاهدة التلفاز.

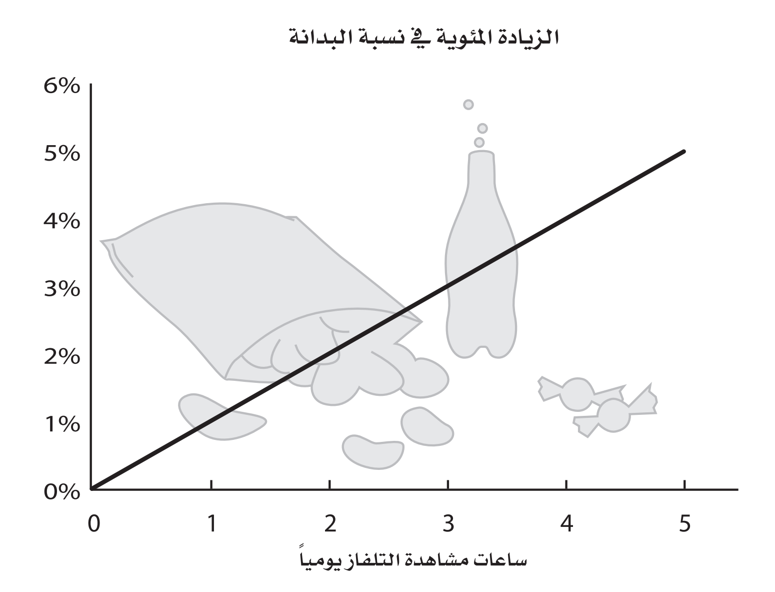
---

٣. إخلاء الغرفة:

إنك على الأغلب قد سمعت بهذه التقنية من قبل، وذلك لأنها فعالة بحق. تفقد تحت السرير، وفي الخزانة، إلخ، لتتأكد من خلو الغرفة من المزعجات.

٤.الوقاية: كما سبقَ وأسلفت، فإن الطريقة الأمثل للتعامل مع الخوف هي بالوقاية منه من خلال الحرص على عدم مشاهدة أطفالك أي شيء غير مناسب لعمرهم.

وأخيراً، يتوجب على الأهل تقييم جدول نشاطات الطفل اليومي، واختيار الطرائق التي يمضي بها الطفل وقته. إذ إنه لدى الأطفال الذين يمارسون اللعب الإبداعي بوفرة في برنامجهم اليومي، يضحي موضوع إزاحة التلفاز أقل احتمالاً لإثارة القلق.



المصدر: الجدول يستند إلى بيانات من غورتميكر

١٠ خطوات لتصبح من الأهل الصالحين لطفلك ذي ٣-٥ سنوات، في سياق مشاهدة التلفاز

١. تعرّف ماهية البرامج التي يشاهدها طفلك:

فلتدرك الفرق بين برنامج تعليمي، وبين برامج الأطفال «العادية». هناك مشكلتان تتعلقان بتعريف البرامج على أنها تعليمية. الأولى، أن الدراسات قد أظهرت أن الأهل متفائلون كثيراً جداً في تصنيفهم للبرامج على أنها تعليمية. فقد لاحظ الباحثون أن غالبية الأهل يعتبرون الكثير من برامج

الألعاب وبرامج المقابلات مثل أوبرا Oprah وحتى السلسلة الكوميدية التي تدعى آل سيمبسون The Simpsons تعليمية بالنسبة لأطفالهم. إنها ليست كذلك! واعتبر أن برامج البالغين جميعها غير تعليمية!

المشكلة الثانية هي أن كثيراً من البرامج هذه الأيام تحوي شيئاً من الجانبين معاً. وفعلاً، ترى أن الدراسات الأولى كانت قادرة تماماً على تعريف نتائج تجاربها على أنها إما «برامج تعليمية»، أو «برامج كرتونية». أما اليوم فقد تماهى الخط الفاصل بينهما. إذ نجد في العديد من البرامج، بما فيها شارع سمسم، عناصر كرتونية. وكذلك نلحظ في البرامج الكرتونية من قبيل آرثر Arthur وجورج الفضولي Curious George عناصر غير كرتونية، فهل هذان البرنامجان الأخيران تعليميّان؟ هناك حتماً ما يمكن الإفادة منه من مثل هذه البرامج. إنما من المؤكد كذلك أنها لا تظهر توجهاً صريحاً نحو تعليم الأطفال الأرقام والمفردات وما شابه. ولكنها مع ذلك تعلم السلوك الاجتماعي مثلاً، وبالتالي فإنها تزود المشاهدين الصغار بعواقب السلوك السيء. «الزمان السهل» قد ولّى، عندما كان هناك عدد محدود جداً من برامج الأطفال، والتي بدورها كانت تبدو بكل جلاء إما تعليمية أو غير تعليمية.

فمثلاً، هل يعلم برنامج ماكس وروبي Max and Ruby الديناميكيات الشخصية بين الأفراد، أو داخل المرء نفسه كما تدعي مقدمته التي تعرض على محطة نوجين التلفزيونية؟ حسناً لنتأمل الأمر. إن كان الأطفال يتعلمون من خلال المحاكاة والتقليد، فإذاً أي برنامج يظهر شخصيتين تتفاعلان معاً سيعلم الأطفال الديناميكيات الشخصية بين الأفراد.

فإذاً كيف سيقرر الأهل؟ أحد الحلول هي أن تقتصر مشاهدة الأطفال للتلفاز على البرامج التعليمية بشكل صريح. أما البرامج التي لا تحوي عناصر تعليمية واضحة، فيتوجب على الأهل عندئذ أن يستند حكمهم إلى ثلاثة عوامل، أولها: هل الغالبية العظمى من السلوك الذي تعرضه الشخصيات في البرنامج «سلوك نموذجي»؟ وهل هناك نوع من «العقاب» المنوط بالسلوك السيء؟ وثانيها، هل بمقدورك استشعار وجود دروس متضمنة في التسلسل القصصي، رغم أنها قد لا تبدو «تعليمية» بشكل صريح إلا أنها تبدو على المسار الصحيح؟ وأخيراً، هل العمر الذي يتوجه إليه البرنامج مناسب لعمر طفلك؟ لفترة من الزمن، كان ولدي البالغ من العمر ثلاث سنوات، مهتماً ببرنامج آرثر. لكني كثيراً ما كنت أتساءل عما كان يفهمه منه، بما أن الشخصيات كانت في المدرسة الابتدائية، ودعاباتها كانت بلا تردد متقدمة بالنسبة لطفل في الثالثة من العمر. أشك بأنه كان يفهم أياً منها، ولست واثقاً من أني كنت مستعداً لأن يرى أطفالاً «سيئين» كما يمكن لبعض شخصيات البرنامج أن تكون. وفي النهاية، قررت أن أوقف مشاهدته للبرنامج بالتدريج. فإذاً بنظرة شاملة، ينبغي على الأهل أن يفكروا في مثل هذه الأسئلة، ويتخذوا القرارات الأنسب بناء على أجوبتها.

النقطة الأخيرة التي ينبغي التنويه عنها فيما يخص التلفاز التعليمي، هي أن التلفاز قد تغير بشكل ملحوظ في العقود الأخيرة. كثير منا يذكر القنوات الست المتنامية التي كانت لدينا. أما اليوم فقد باتت الخيارات لا حصر لها. فطفلي الأول لم يعجب يوماً بشارع سمسم، فلو كانت تلك حالي عندما كنت طفلاً لكنت فقدت حوالي ٢٥٪ من البرامج التعليمية المتوفرة بالنسبة لي! أي بتعبير آخر، كان هناك قرابة الأربع برامج تعليمية عندما

كنت طفلاً في الرابعة من العمر. أما اليوم فقد أصبحت الخيارات متعددة، فصحيح أن ولدي لم يحب شارع سمسم لكنه مغرم بعالم الكلمات، لماذا الخارقة، وغيرها كثير من البرامج التعليمية برمتها، ومع ذلك كان يستظرفها.

٢. تحدَّ طفلك، إنما ليس كثيراً:

لدى الأطفال نهم للتعلم، وكشأننا جميعاً، يُتعلم من خلال التكرار على أحسن وجه. معنى ذلك أن أفضل نموذج مشاهدة لطفلك هو بدايةً التقديم للمادة الجديدة والصعبة، يليه مشاهدات متكررة بمرور الوقت للبرنامج ذاته. غير أن هناك تحذيرين يجدر الانتباه لهما. الأول، هو أن الطفل في مرحلة معينة سوف «يستوعب القصة»، وهي النقطة التي قد تجد عندها أن طفلك لم يعد يلقي بالاً للبرنامج، أو حتى قد يطلب إليك مشاهدة شيء آخر. فالبرنامج قد اضمحل فيه عنصر التحدي، وبالتالي لم يعد مشوقاً بالنسبة له. التحذير الثاني: لا تبادر إلى برنامج يفوق بأشواط قدرات طفلك على الاستيعاب؛ إذ سيؤدي ذلك إلى زهده به على نحو أسرع، ويطرح احتمال تشكل نفور لديه منه. ومن ثم، عندما يصبح الطفل قابلاً لتناول ذلك البرنامج، فينبغي التغلب على عدم مبالاته المبرمجة آنفاً، لاستعادة الاهتمام به. والأبلغ أهمية، أن هناك بعض الأبحاث التي تشير إلى أن مشاهدة البرامج البالغة التعقيد بالنسبة للطفل قد يكون له أثر سلبي على تطور الإدراك لديه. فإذاً، فلتتحدَّ طفلك... إنما من خلال برامج تعلم أنه قادر على استيعابها، وفي نهاية الأمر، السيطرة عليها.

٣. يجب ألا يمتلك طفلك أو طفلتك جهاز تلفاز في غرفته/ها:

يزعم بعض الأهل أن التلفاز هو الوسيلة الوحيدة لاستجلاب طفلهم إلى الفراش. والبعض الآخر يفضلون تمضية طفلهم لوقت مشاهدته للتلفاز في غرفته لأن ذلك أكثر ملاءمة لهم. وأياً كانت الحال، فلا يفترض بالتلفاز أن يكون هناك. وعلى طفلك العثور على طريقة أخرى لينام.

وعلى الرغم من أن الأمر سيستلزم بضع ليال من الاضطراب، فإن تعليمه الذهاب إلى النوم بمفرده هو وسيلة تعينه على النضج وحسب. وإني لأضمن لكم، أنه بمجرد خروج التلفاز من غرفته ستنخفض أيضاً ساعات مشاهدته للتلفاز بمجملها.

٤. فلتعمل على تمضية بعض الوقت على الأقل مع طفلك أثناء مشاهدته للتلفاز:

على الرغم من أن العلماء لا يعوّلون كثيراً، لكن الدلائل كلها تشير إلى أن تعليمك لطفلك كيفية مشاهدة التلفاز أمر مهم جداً. قد يبدو هذا الكلام غريباً، فكل ما عليك فعله هو أن تديره، وتشاهد! ولكن كما سيتكشّف في الفصول اللاحقة، فقد أضحى التلفاز بمثابة الراوي الرئيس لثقافتنا، والأطفال بحاجة أن يخبرهم ذووهم عن السبب وراء ما يذكره ذاك الراوي هنا أو هناك. أضف إلى أن التلفاز قادر على عرض جملة من الأشياء المتباينة تماماً، وكثير منها في الوقت نفسه. ولا شك بأن طفلك يرى الكثير مما لا يستطيع إدراكه، ووجودك يمكن أن يأخذ بيده. تذكر أن تفاعلك معه هو العنصر الأبلغ أثراً في مساعدتك له على التعلم من التلفاز.

٥. فلتطفئ التلفاز عندما لا يشاهده أحد:

حتى اليوم هناك منحى واحد من مناحي البحث يفتقر إلى البيانات على نحو فادح، وبالتالي لم تتم مناقشته سابقاً في هذا الفصل. فالسؤال المطروح هنا: هل يشكل التلفاز الذي يعمل و كأنَّه خلفية في الغرفة مصدر إلهاء للأطفال؟ هل يعوق قدرتهم على التركيز؟ لا بد أن هناك الكثير من الشواهد التي تقترح بأن الأطفال على الأقل سيتابعونه «بعين واحدة»، حتى وإن كان يبث برامج للبالغين لا للأطفال. وعلى الرغم من أنه هناك حتماً عوز إلى فهم الكيفية التي يمكن لهذا الأمر أن يؤثر بها على الطفل، إلا أنه من الأسلم إبقاء التلفاز مطفأً قدر الإمكان أثناء وجود الأطفال. إن هذا التصرف على أقل تقدير، سيظهر للأطفال قدرة الأهل على ضبط أنفسهم. وهذا بحد ذاته سلوك جيد جداً، يضربونه لهم مثلاً ليقتدوا بهم.

والنقطة الأهم التي يجب إثارتها هنا، أن فرصة طفلك لمشاهدة أمور لا يجدر به مشاهدتها، تكون الأعظم عندما يوضع التلفاز على برامج البالغين، ثم يترك ليعمل و كأنَّه خلفية. فقد تكون أوبرا في برنامجها الشهير تناقش حادثة وفاة أحد الوالدين. وهو موضوع متقدم جداً بالنسبة لطفل في الثالثة من العمر. أو أن يعرض إعلان عن المشروبات الكحولية بصورته التقليدية، متمثلاً في امرأة ترتدي القليل فقط من الثياب، ومجموعة من الرجال يحثون بعضهم على استفزازها. كذلك الأخبار يمكن أن تبث على الدوام عنفاً مصوراً بأشكال متنوعة. باختصار، الاحتمال أكبر بكثير أمام الأطفال أن يشاهدوا أشياء غير مناسبة إن كان التلفاز يعمل. لذا فلتجعلها عادة لديك أن تطفئ التلفاز عندما لا يتابع ما يعرضه أحد. وشاهد برامجك فقط عندما يكون الأطفال في غرفة أخرى.

٦. الكثير جداً مما هو جيد يبقى على الدوام أكثر من اللازم:

لدى الأطفال الكثير من الأمور التي يتوجب عليهم القيام بها كل يوم: كالقيلولة، واللعب، والتعلم، والتفاعل مع محيطهم. ويبدو أن كماً معتدلاً من مشاهدة التلفاز له آثار محتملة مفيدة جداً (على فرض أن طفلك يشاهد البرامج المناسبة طبعاً). غير أن المغالاة في مشاهدة تلك البرامج قد ينجم عنها تفشٍّ أكبر للعواقب السلبية، بدءاً بمشاكل الانتباه وحتى البدانة.

٧. راجع مع طفلك خبراته:

تماماً كما قد تسألين طفلك عما تعلّمه في الروضة، فبإمكانك أيضاً سؤاله عما شاهده، أو بالأحرى تعلمه من التلفاز. سيعطيك هذا فكرة عما هو مهم بالنسبة لهم. كما يتيح لك الفرصة بأن تسمعي عن أمر لم يكن حسناً، أمر كنت ترفضين أن يشاهدوه. ومن منطلق تربوي، فإن مراجعتك للبرامج التي شاهدها طفلك على التلفاز، بفرض أنها تعليمية، سيفسح المجال لعملية التكرار، التي بت تعرفين الآن أنه قد ثبت أنها حاسمة لأجل التعلم.

وختاماً، أن تكوني من الأهل الجيدين معناه أن تكوني مشاركة لطفلك. وكما يسأل الأهل الجيدون أطفالهم عما تعلموه في المدرسة، فلتسألي ولدك عما تعلمه من التلفاز. وأخيراً، تأكيدك على جانب التعلم من التلفاز يرسخ فكرة أنه أداة تعليمية، كما هو أداة ترفيهية.

٨. تذكروا بأن كل طفل يختلف عن الآخر:

إن لحظت أن طفلك ذا السنوات الثلاث على ما يبدو لا يفيد كثيراً من شارع سمسم أو من غيره من البرامج التعليمية، فلا يقلقنّك ذلك أكثر من اللازم. ففي نهاية الأمر، أظهرت الأبحاث كافة أن المكاسب التي يمكن

أن يجنيها الأطفال من هذه البرامج تبرز بشكل رئيس بين أطفال السنة الخامسة من العمر أكثر بكثير منها بين أطفال السنة الثالثة. بمعنى أنه قد يفيد بعض الأطفال في سن الثالثة من البرامج التعليمية بشكل ممتاز، وآخرون قد لا يكونون مستعدين لها بعد. فما من صلة ثابتة بين استيعاب تلك البرامج في هذه السن المبكرة وبين الإنجازات المستقبلية. قد يكون طفلك منشغلاً بالعمل على أشياء أخر، أو أنه يستوعب البرامج فعلاً وإنما يفعل بصمت. لست مضطراً لأن تفرض التلفاز على طفلك، فهناك الكثير من النشاطات الأخرى التي يمكنه ممارستها.

٩. عليهم أن يطلبوا الإذن:

إن واحدة من أكثر أساسيات الحد من التعرض لوسائل الإعلام أهمية، هي أن تحرص على جعل أطفالك يدركون أنه لا يسمح لهم بتشغيل التلفاز، أو أي وسيلة إعلام أخرى، دون الحصول على إذن منك.

١٠. ضع القواعد لمشاهدة التلفاز:

لدى غالبية الأهل قواعد لمشاهدة التلفاز. وأنت كذلك احرص على وضع قواعد تناسبك وتستطيع الالتزام بها. ولتتضمن: الوقت الكلي الذي يسمح بمشاهدة التلفاز فيه، البرامج المسموح مشاهدتها، والمدة الزمنية المسموحة في الجلسة الواحدة. بإمكانك أيضاً أن تضع قاعدة لنفسك بأن تحضّر لأطفالك ما ينتقلون إليه ليشغلوا به أنفسهم، ما إن ينتهي وقت مشاهدتهم للتلفاز.

كما راجعنا في هذا المقطع، يقدم التلفاز إمكانيات وافرة للتعلم، وكذلك فرصاً متعددة لسوء الاستخدام. إنما أرجو أن يكون واضحاً

كفايـة، أنه ليـس من الضروري الإلقاء بجهاز التلفـاز من النافذة لنكون أهلاً صالحين. بل الأحرى أن يكون الهدف هو أن نسـيطر عليه. استخدمه بحكمـة، باعتدال، وبطريقة تفاعلية وعندها سـتزيد إلى الحد الأعلى ما سيفيده أطفالك منه، وتقلل أقصى ما يمكن أي مخاطر محتملة منه.

الحاسوب والانترنت

وفقاً لدراسة (من صفر إلى ستة) أجرتها مؤسسة كايسر الأسرية، فإن ستة بالمئة من الأطفال في عمر ٣ سنوات فما دون، يستخدمون الحاسوب في يوم نموذجي. غير أن هذا الرقم ينطلق صاروخياً حتى نسبة السبع وعشرين بالمئة لدى الأطفال بين سني الرابعة والسادسة. وفي حين أن ثلث الأطفال فقط، من الفئة العمرية الأصغر سـناً، قد سـبق لهم استخدام الحاسوب، فمع بلوغهم سن السادسة، يضحي ثلاثة من أصل أربع أطفال قد سبق واستخدموا واحداً. ومن بين هؤلاء الأطفال الذين يستخدمون الحاسوب فعلاً، فإن الأطفال بين سني الرابعة والسادسة يجلسون إليه ساعةً في اليوم وسطياً.

كثـير مـن الأطفـال في الرابعة من العمر يسـتخدمون الحاسـوب في الحقيقة يومياً. أما بالنسبة لي فقد كنت في بدايات مرحلتي الثانوية عندما جلسـت للمرة الأولى أمام حاسـوبي من نوع الآبل! يجد كثير من الأهل أن ليـس لديهـم أي فكرة عـن معنى أن يكـون المرء في السادسـة من عمره ويسـتخدم الحاسـوب. (فقط انتظروا إلى أن نصل في الحديث إلى الهواتف المحمولـة وأجهزة الآيبود iPod). بالفعل لقد تنامى اسـتخدام الحاسـوب بشـكل ملحوظ جـداً خلال السـنوات القليلة الأخيرة . فقد عثرت دراسـة حديثة على تزايد بنسـبة ١٢ بالمئة لاستخدام الفأرة بين أطفال السنة الثانية

من العمر (أي ازدادت من خمسة إلى سبعة عشر بالمئة)، وذلك فقط خلال السنوات الأربع الماضية. وفي المسح عينه تبيّن أن عشرة بالمئة على الأقل من الأطفال في عمر السنتين قد زاروا موقعاً إلكترونياً، في حين أن أحداً من أطفال السادسة من العمر لم يسبق له قط الدخول إلى موقع إلكتروني عندما كان/كانت في عمر السنتين.

وطبعاً، بما أن لدينا أطفالاً يستخدمون الحاسوب لفترة تتجاوز الساعة يومياً، فقد انبرى بعض النقاد ليطلقوا على استخدام الأطفال للحاسوب اسم «نهاية الطفولة». فالطفولة أمر ليس بمقدور أحد استعادته، والحاسوب يقوم باختلاسها كما يقول البعض.

فهل من حقيقة تدعم هذا الادعاء؟ حتى اليوم، هناك القليل جداً من الأبحاث حول استخدام الحاسوب لدى الأطفال ما بين السنتين الرابعة والسادسة. وتلك المتوافرة منها قد توصلت إلى أن بمقدور الأطفال في هذه السن التعلم إلى حد لا بأس به من الحاسوب. ومع ذلك، فإنها لمخاوف مشروعة تلك التي يثيرها المؤلفون المناهضون لتعاظم استخدام الأطفال للحواسيب، لولا أولئك الأسوأ إزعاجاً.

من الضروري الانتباه على أنه في حين أن الغالبية العظمى من الأطفال بين سني الرابعة والسادسة يشتغلون على الحاسوب على سبيل الهواية، فإن ذلك الربع من مجموع الأطفال المستخدمين للحاسوب يجلسون إليه لمدة ساعة وبشكل يومي. فإذاً مرة أخرى لدينا المشكلة ذاتها التي تحريناها مع التلفاز. فقد اتضح أن واحداً بالعشرة من الأطفال يستخدمون الحاسوب لأكثر من ساعة، يومياً. وعلى الرغم من أنه من غير الجلي ما إذا كان مستخدمو الحاسوب بإفراط في سن الخامسة، سينقلبون إلى مستخدمين

مفرطين للحاسوب في سن الخامسة عشرة، إلا أن الاحتمال يبدو وارداً. فإذاً من جديد، هناك أسر يتوجب عليها أن تلقي بالاً إلى جرعاتها اليومية من وسائل الإعلام، وهذه المرة فيما يتعلق بالحاسوب.

ما من خطوط إرشادية واضحة لاستخدام الحاسوب في هذه السن. ولكنه على ما أعتقد مقياس عادل للجميع إن توصلنا إلى حالةٍ، يتم فيها رفع التعلم الإيجابي إلى أعلى سوية له، وتجنُّب الآثار السلبية المحتملة، وحيث يصرف القسم الأعظم من الوقت في اللعب مع الإخوة والنظراء والتفاعل مع الأهل. وبناء عليه، فلكي نكوّن فكرة عن كمية الوقت المناسبة، علينا بداية أن ندرك الآثار الإيجابية والسلبية لاستخدام الحاسوب. في نظرة شاملة، نجد أن الشكاوى المتعلقة باستخدام الأطفال للحاسوب تتمحور في التالي:

١. المخاطر الجسدية: إصابات في العضلات والهيكل العظمي، وتوتر بصري بسبب تمضية ساعات طويلة على الشاشة ولوحة المفاتيح. إضافة إلى السمنة الناجمة عن طول الجلوس.

٢. الأثر الانفعالي: يزعم النقاد أن الاستخدام المطوّل للحاسوب يمكن أن يؤدّي إلى نقص في القدرة على ضبط النفس، وفي الدافع الذاتي. إضافة إلى الانفصال عن محيط الشخص.

٣. محدودية في التواصل الاجتماعي: فقد يفضي استخدام الحاسوب إلى عزلة اجتماعية.

٤. أخطار فكرية: تتضمن هذه افتقاراً للإبداع، إعاقة للتخيل، مشاكل في القدرة على التركيز، ونقصاً في الصبر.

٥. فساد أخلاقي: يتضمن هذا البند التعرض للعنف، التعصب، والإباحية. وكذلك التعرض لمعلومات تفتقر إلى المضمون الأخلاقي.

هل تحمل انتقادات استخدام الحاسوب هذه أي مصداقية؟ إن كتاب ذهبُ المغفلين Fool's Gold ، وهو النبع الذي انبثقت منه كثير من هذه الشكاوى، يزوّدنا بالعديد من التأكيدات الصادرة عن هيئات من الأطباء وغيرهم من «أهل النخبة» ، إلا أن حجم الأبحاث العلمية الفعلية التي يقدمونها دعماً لمزاعمهم محدود للغاية. ومع ذلك فقد قمت بمراجعة تلك الأبحاث، ووجدت فعلاً أن بعضاً من المخاوف يستند إلى استحقاق علمي. فمما لا ريب فيه أن أي طفل قد يعاني من أيّ من العلل المذكورة آنفاً. ذاك أمر لا يمكن إنكاره. إنما هل سادت أي من هذه المشكلات لدرجة تجيز المخاوف التي تنتاب غالبية الأهل؟

الآثار الجسدية لاستخدام الحاسوب:

يدّعي النقاد أنه يكاد يكون من المستحيل إعداد مكان للحاسوب يوفر الراحة والأمان وسهولة الاستخدام للأطفال بشكل خاص. ومن ثم يستشهد بأمثلة من أشخاص عانوا الكثير من المتاعب الجسدية نتيجة الاستخدام المفرط للحاسوب. إننا ـ نحن البالغين ـ على الأرجح معتادون تماماً على السماع عن المشاكل المحتمل أن تنجم عن الاستخدام المفرط للحاسوب. كُبريات الشركات ستعلن في وقت ما عن إرشادات تتعلق بوضعية الجلوس الملائمة. ومعظم الأطباء ينصحون بالتمشي لعشر دقائق بعد كل ساعة استخدام مفرط للحاسوب. ومما لا شك فيه أن حالات من قبيل متلازمة النفق الرسغي، وغيرها من إصابات الإجهاد المتكررة، قد وصلت حدوداً عالية جداً خلال السنوات الأخيرة.

إنما من سوء الحظ أن هناك قلة في الأبحاث التي تدور حول الأثر الجسدي للاستخدام المفرط للحاسوب على الأطفال. فبالفعل، إجراء مثل

هــذا البحث ســيكون صعباً وغير عــادل (إذ تخيل أن تجمــع عينة من مئة طفل، حيث تتاح الفرصة لخمســين منهم ليلعبوا خارجاً لمدة أربع ســاعات متواصلة ولمدة أســبوع، فيما يتوجب على الخمســين الباقين أن يجلسوا إلى الحاســوب يستخدمونه بالقدر ذاته من الوقت!). من الثوابت التي بين أيدينا أن الجلوس بوضعية ســيئة يمكن أن يفضي إلى مشــاكل عضلية وعظمية لدى البالغين. وأيضاً لقد وجدت الدراســات أن معظم الحواســيب الفرعية لا توضــع بمقاييس مناســبة للأطفال. وعليه فإن الأطفال الذين يســتعملون الحاســوب، حتى لفــترة معتدلة من الزمــن، لعلهم في خطــر أعظم ؛ لأنهم ببساطة يحاولون العمل في مكان قد هيئ لقياسات الكبار.

صَمِّمْ مكان العمل الخاص بالحاسوب ليلائم طفلك

إن تصميم مكان عمل على الحاسوب ملائم للطفل يشابه في خطوطه العامة إعداد مكان عمل على الحاسوب للكبار. إليكم بعض الخطوط الإرشادية:

- **أن تكون القدمان على الأرض، والظهر مســتقيماً مع مســاند للظهر، والكوعان بزاوية تسـعين درجة. هذه معايير هندسـية قياسـية، وتتطلب طاولة أصغر وكرسياً يناسب قياس الطفل.**
- **يجب أن تكون الشاشــة على ســوية العينــين، وتبعد عنها مســافة ١٨-٣٠ إنش. لوحة المفاتيح الخاصة بالبالغين كبيرة بالنسبة للأطفال، رغم أنه في السن ما بين الثالثة والخامسة معظم نشاطاتهم لا تكون مركزة كثيراً على استخدام لوحة المفاتيح. وأخيراً، جرب استخدام الكرة عوضاً عن الفأرة لأن إدارتها أسهل بالنسبة للطفل.**
- **ليــس بالضــرورة أن تصل قدما الطفــل إلى الأرض. يمكن لأي شــيء صلب أن يقــوم مقامهــا ويكون كافيــاً، كمســاند القدمين أو حتى كدســة من دفتر الهواتف. أما مسند الظهر فيمكن أن يكون واحدة من وسائد الأرائك.**

فليس هناك أي دراسات من عام الـ ٢٠٠٢ قد ربطت بشكل علمي بين استخدام الحاسوب لدى الأطفال وأي اضطرابات جسدية، على الرغم من أنه لا يزال مرجحاً أن الاستخدام المفرط يزيد من المخاطر، حيث وجد أنه قد ارتبط لدى طلاب الجامعة بآلام وتعب.

الأثر العاطفي:

هل يؤدي استخدام الحاسوب إلى نقص في القدرة على ضبط النفس، والحافز الذاتي، إضافة إلى الانفصال عن المجتمع المحيط؟ الجواب بكلمة واحدة هو: لا. هل يمكن للاستخدام المفرط جداً أن يكون عاملاً مساهماً في هذه الحصيلات؟ هذا وارد. فإذاً يمكننا قول الأمر نفسه عن العكس تماماً أي أن الأشخاص الذين يميلون إلى الانعزالية والانفصال العاطفي سيعلقون في شرك الاستخدام المفرط للحاسوب أيضاً. إنما مرة أخرى نذكّر أنه حتى اللحظة ما من مادة مكتوبة تظهر صلة عرضية (علمية) بين استخدام الحاسوب وهذه الحصيلات. فالحقيقة أنه خلال سنوات ما قبل المدرسة، كثيراً ما يكون استخدام الحاسوب بدافع ذاتي من الأطفال، بمعنى أنه ليس الأهل هم الذين يدفعون أطفالهم إلى استخدام الحاسوب، وإنما الأطفال هم من يرغبون في ذلك. يتراءى لي هذا نوعاً من الحافز الذاتي لا افتقاراً له.

محدودية في التواصل الاجتماعي:

في هذه المرحلة المبكرة من العمر، إن كان طفلك يمضي ساعة يومياً جالساً إلى الحاسوب، فإن نصف هذا الوقت تقريباً يصرفه في اللعب خارجاً الأطفال الذين يستخدمون الحاسوب بشكل أخف. ففي النهاية،

هناك ساعات عديدة في اليوم. ويترك إلى الأهل إلى حد بعيد تحديد ما إذا كانت تمضية أطفالهم نصف ساعة إضافية من الوقت في اللعب خارجاً داعياً للقلق أم لا. فالأطفال الذين يمضون أربع ساعات في اللعب خارجاً على الأغلب لن يؤثر بهم كثيراً خسارتهم لنصف ساعة إضافية. ولكن إن كان طفلك لا يمضي في اللعب سوى ساعة أو ما شابه، فتضحي ساعة في استخدام الحاسوب بالموازنة كثيرة جداً.

مخاطر فكرية:

إذاً حسب رأي نقّاد الحاسوب فهو يؤدي إلى نقص في الإبداع، ويعيق نمو الخيال، ويشكل بديلاً مكافئاً للمهارات اللغوية ومهارات القراءة والكتابة. كما أنه يفضي إلى مشاكل في القدرة على التركيز، ونقص في الصبر. للأسف، إن هذه المزاعم تستند إلى الآراء المعتادة غير العلمية، والتي يتم جمعها من نخبة من الناس. يعترف أحد النقّاد، وهو العضو في اتحاد الطفولة الذي يتألف من مجموعة من الأختصاصيين الذين يهدفون لاستعادة اللعب الإبداعي لدى الأطفال، أنه: «للأسف ما من أبحاث قد أجريت لدراسة إمكانية أن يقيد استخدام الحاسوب جوانب الإبداع والخيال لدى الأطفال». بل عوضاً عن ذلك يقع النقاد في شرك نظرة «لا بد من أن يكون ذلك صحيحاً» للأمور. وهم يبنون نقاشهم على الآتي: إن وسائل الإعلام قد باتت تقوم بعمليات التخيل كافة بدلاً عن طفلك الذي لم يبق له شيء ليتخيله. يبدو وقع هذا عظيماً، وإني لأقر أنه ربما يحوي نواة الحقيقة. فبالفعل، بوصفي كنت موسيقياً لمعظم سنوات مراهقتي، لم أكن أرغب في مشاهدة تسجيلات الفيديو الموسيقية لأني كنت أفضل أن أشكّل بنفسي صوراً تعبّر عما تعنيه الأغنية بالنسبة لي.

من جهة ثانية، هناك وجهة نظر أخرى في النقاش مفادها أنه لا حدود لخيال الطفل. فبعد مشاهدة ولدي لبرنامج قامت فيه طائرة مروحية بإنقاذ شخص عالق على حافة الجرف، فقد قرر أن «ينقذ الديناصورات» بأن يرفعها عن طريق الجو بوساطة طائرة مروحية. وانطلق ليباشر فكرته على ألعابه. الفكرة هنا، أن الأطفال كثيراً ما يأخذون ما يُقدم إليهم وينطلقون من هناك. فلمجرد أن التلفاز والحاسوب يزودهم برؤية أكثر غنى للأشياء، ومحددة بصورة دقيقة (مقارنة مع الأمثلة الأخرى، كالكتب)، فإن ذاك لا يعني بالضرورة أن هناك من يقوم بالتخيل عنهم. بل من الممكن فقط أن يعطيهم معلومات أكثر لتغذي خيالاتهم.

النتائج المسيئة للحاسوب:

من الحجج الغريبة الأخرى التي يسوقها المناهضون للحاسوب هو أنه، شأنه شأن التلفاز، يخرّب حس الانبهار بالعالم الواقعي لدى الطفل. ملخص هذه الفكرة أن الطفل قد شاهد كل شيء سلفاً على التلفاز أو الحاسوب، فَلِمَ الخروجُ إلى خبرات العالم الواقعي؟

رجاءً! ليس هذا الزعم غير مدعم بأي دليل يوحي بمثل هذا الاستنتاج وحسب، بل أيضاً إن التلفاز والحاسوب في كثير من الحالات يلعبان دور المادة المحفّزة التي تدفع المرء للخروج ومشاهدة الأشياء بأم عينه على أرض الواقع. فمقابل كل طفل قد يرفض الخروج لزيارة حديقة الحيوان لأنه قد سبق له أن «شاهد كل شيء سلفاً»، هناك الكثيرون ممن تضاعفت حماستهم لرؤية الحيوانات عن قرب بسبب وسائل الإعلام التي حفّزت شهيتهم لذلك.

هناك حجة أخرى غريبة مفادها أن الحاسوب يعيق النمو اللغوي. وجوهرها هو أن اللغة تتطور بأعلى مستوى من الفعالية عند التفاعل الشفهي مع الآخرين. فإن أمضى الطفل اليوم بطوله أمام الحاسوب، فكيف سيتسنى له التفاعل مع الآخرين؟ لا ريب في أن هذه العبارة لا تقبل الجدل، غير أنها تفترض أنه لولا الحاسوب لكان أمضى الطفل ١٠٠٪ من وقته الذي يمضيه جالساً إليه، في تبادل الحديث مع الآخرين. بالمقابل، ترى الدراسات التي تهدف إلى تحديد النشاطات التي يمارسها الطفل عند «استبدالها» بالحاسوب، هي عبارة عن مجموعة متنوعة من اللعب خارجاً، القراءة، والاستماع إلى الموسيقى. وفي حين أفضل شخصياً لأولادي أن يصرفوا وقتهم في اللعب خارجاً والاستماع إلى الموسيقى والقراءة، أجد أن هذا الادّعاء بأن الحاسوب يعيق التطور اللغوي لا يمكن أن يصمد أمام النقد والتحليل؛ لأن استخدام الحاسوب «لا يحل محل» التفاعل الشفهي مع الآخرين.

طبعاً إن هذه الحجج تتجاهل أيضاً البرامج المصممة حاسوبياً والمعدّة لتعليم كيفية تطوير كل من اللغة والرياضيات. فعندها يستخدم الحاسوب بشكل يضحي معه أداة تعليمية مفيدة. وتظهر الدراسات التي أجراها لي وأتكينز وغيرهما تحسناً في التطور اللغوي، التمثيل الفراغي، الانتباه البصري، المهارات الرياضية، والتحصيل الأكاديمي الإجمالي. وقد وُجد أن التعرض إلى الحاسوب بين الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، مرتبط بفهم أسرع لمعرفة مفاهيم ما قبل المدرسة. أي باختصار، يمكن للحاسوب أن يعلّم أطفال ما قبل المدرسة الأشياء التي يحتاجون إلى تعلمها في مثل هذه السن بفعالية، فضلاً عن تهيئة أذهانهم للتعلم في الروضة وما بعدها.

كيف أساعد طفلي على استعمال الحاسوب بالطريقة الصحيحة؟

لا مـراء في أن الحاسـوب قـادر على التعليـم، إنما مثار التسـاؤل هو فيما إذا كان يبزّ الإرشـادات المقدمة بشـكل شـخصي مباشر. في إحدى الدراسـات، تم التوصل إلى أن الحاسـوب يعطي نتائج أقل من المدرسين في تعليم الأطفال الأرقام، وتحديداً الأطفال الذين لا يبرعون فيها. لكن المثير للاهتمام أن الأطفال الذين كان لديهم ألفة سابقة مع الأرقام قد تعلموا في الواقع مع الحاسوب بشكل أسرع من تعلمهم مع المدرسين.

لقد ظهر أن الحاسوب والبرامج الحاسوبية نفسها تقوم بعمل المدرسين بشـكل أفضـل عندما تبرمـج تحديـداً للأطفـال الصغار. وهـذا يتضمن تلميحـات بصرية لربـط النتائج على الشاشـة بالعمل على لوحـة المفاتيح، وكذلك استخدام الرسومات التعليمية ذات المغزى. تكشف الدراسات أن تغييرات بسـيطة يمكن أن تحدث فرقاً في الكم الذي يتعلمه الأطفال من الحاسوب، حيث إنَّهم سيصرفون جهداً أقل في محاولة النجاح فيما يفعلون. فـإذاً ما المجالات الـتي يتوجب على الأهـل التركيز عليها عند اسـتخدام أطفالهم لحواسـيب المنزل؟ لقد وجدت الباحثة سوزان هاوغلاند ذات الباع الطويل في شؤون الحاسوب والأطفال، خمس مجالات تتلخص في:

١. اختيار البرامج الحاسوبية.

٢. الوقت المخصص للحاسوب.

٣. استعمال الإنترنت.

٤. تفاعل الأسرة.

٥. الإشراف.

اختيار البرامج الحاسوبية:

إن كان هناك مشكلة واضحة تتعلق بالحاسوب والأطفال، فإنها تتلخص في أن الغالبية العظمى من البرامج الحاسوبية التي يستخدمها الأطفال لا تعد تعليمية. وحتى إن تواجدت البرامج التعليمية الحاسوبية في المنزل فإنها تميل إلى التهميش وعدم الانتفاع منها.

هناك فئتان واسعتان تندرج تحتهما البرامج التعليمية الحاسوبية. برامج «التدريب المكثف والممارسة»، وهي مصممة لاختبار الأطفال في مهارات محددة بعينها. وبرامج «الاكتشاف»، والتي ما تزال تعليمية إنما تأتي في سياق لعبة أو غيرها من بنى غير محددة. وقد تجلى أن هذه الأخيرة ذات قيمة أكبر بكثير للتعلم في هذا السن. تشجع هذه البرامج الأطفال على حل المشكلات دون أن تدفعهم دفعاً إلى ذلك. إنها تجعل الحاسوب أكثر مرحاً وتفاعلاً، فيضحي بذلك أكثر قدرة على تعزيز عملية التعلم.

الوقت المخصص للحاسوب:

كما هو الحال مع التلفاز، يجب وضع خطوط إرشادية لاستخدام الحاسوب. ففي هذه السن، من المحتمل أن تشكل ساعة مدة أطول من اللازم. غير أن الوقت الذي يصرف على استخدامه يجب أن يتفاوت بحسب مدى تفاعلك معهم، وتزويدك لهم بالبرامج التعليمية.

فإن كان منزلك يحوي برنامجين حاسوبيين مفيدين لطفل في الخامسة من العمر، فينبغي ألا تضعهما على الحاسوب بلا انقطاع لفترة طويلة. فالهدف هنا هو التدرج باستمرار في مرحلتين: الأولى، تحديهم من خلال برامج جديدة. والثانية، أن نتيح لهم الفرصة لإتقانها. ولكن حتى وإن كان

طفلـك مقبلاً بشـراهة على التحديات التي تقدمها له، هناك حد سيشـعر عنده بالتعب، ويجب أن تخشى عليه من الإرهاق الجسدي.

مـن الهموم الأخرى المتعلقة بهذا الشـأن، هـي أن يبدأ الأهل التفكير في الوقـت الإجمالـي لأطفالهـم أمام الشاشـة، بما في ذلك ألعـاب الفيديو والتلفاز والحاسـوب. فإن كان طفلك يسـتخدم الحاسوب ساعة يومياً ولا يشـاهد التلفـاز مطلقـاً، فالحال هنا يختلـف تماماً عمـا إذا كان يمضي

البرامج الحاسوبية التعليمية

- **أصـدرت منظمة الإعلام المتعقـل (Commonsensemedia.org) قائمة حسـنة بالبرامـج الحاسـوبية التعليمية. تجد في الأسـفل الألعـاب ذات التقييم الأعلى بحسب الفئة العمرية:**

من سن الثانية فما فوق:

- **ألعـاب المرح الحاسـوبية من جيغلـز للأطفال الصغـار: الأشـكال ـ** Giggles Computer Funtime for Baby: Shapes.

من سن الثالثة فما فوق:

- **العثور على نيمو: التعلم مع نيمو ـ** Finding Nemo: Learning with Nemo

من سن الرابعة فما فوق:

- **صيد الآنسة كاسحة العنكبوت ـ** Miss Spider's Scavenger Hunt
- **الأرنـب القـارئ، نظـام التعليـم والقـراءة ـ** Reader Rabbit Reading Learning System
- **صوتيات كليفورد ـ** Clifford Phonics
- **أبطال الإنقاذ، البعثة المختارة ـ** Rescue Heros Mission Select
- **بيل الصغير يفكر بشكل كبير ـ** Little Bill Thinks Big
- **روضة ديدي وديتو ـ** Didi & Ditto Kindergarten

ثلاث ساعات تراكمية بين وسائل الإعلام الإلكترونية كافة. إنك تريد لأطفالك الاستمتاع والتعلم من كل وسيلة إعلامية، إنما ليس إلى الحد الذي يمضون معه ثلاث ساعات يومياً بين الحاسوب والتلفاز وألعاب الفيديو. فكما أن الحواسيب هي وسائل رائعة للتعلم، كذلك اللعب غير المنظم خارج المنزل، واللعب التخيلي داخل المنزل. لذا فلتحرص على أن يحصل طفلك على نظام «متوازن» من النشاطات خلال مسيرة يومه.

من سن الخامسة فما فوق:

- **سماع الموسيقى** – Hearing Music
- **ميا: مزحة الخطف** – Mia: The Kidnap Caper
- **حكايات التنين: تعلم وحلق مع التنين** – Dragon Tales: Learn & Fly with Dragons

من سن السادسة فما فوق:

- **برمجيات ألعاب الأحاجي** – Puzzle Play Software
- **أنا أراقب، غموض وخيال** I Spy Mystery/Fantasy
- **ديدي وديتو للصف الأول: الملك الذئب** – Didi & Ditto First Grade: The Wolf King
- **الأرنب القارئ، نظام التعليم للصف الأول** – Reader Rabbit 1st Grade Learning System
- **أنا أراقب، قصراً منيفاً مخيفاً** – I Spy Spooky Mansion Deluxe
- **المساعد على دراسة وتقوية الرياضيات** – JumpStart Study Helpers Math Booster

استخدام شبكة الإنترنت:

استخدام الإنترنت؟ وهل سأسمح لطفلي ذي الرابعة أن يتصفح الإنترنت؟ بالطبع لا. وحتى إن سمحتِ له بذلك، فإن طفلاً في الرابعة من العمر لن يكون لديه أي فكرة عن كيفية القيام بذلك، اللهم فيما عدا العباقرة طبعاً.

غير أن شبكة الإنترنت تقدم مَعيناً ثرّاً من المصادر لتعليم طفلك. فلتجربي التمرين التالي المثير و البسيط : اسألي طفلك عن أمر يحبه، أو عن شيء يرغب في أن يراه أو يعرف المزيد عنه. وأياً ما أتاك جوابه فاطبعيه في محرك بحث شهير وأمض خمس عشرة دقيقة في استكشاف النتائج. ستجدين أن الإمكانيات لا حصر لها. حيوانات، شاحنات، مخلوقات تظاهرية، أو حتى نشاطات كالتلوين والأحاجي. إنها فرصة لا لطفلك كي يتعلم وحسب بل لك أيضاً كي تتفاعلي معه، وكي تعلميه أيضاً شيئاً عن متعة التعلم والاستكشاف.

الإشراف والتفاعل الأسري:

إحدى الأمور البديعة المتعلقة بتفاعل الأطفال في هذا العمر المبكر مع الحاسوب هي أنهم غير قادرين على الإتيان بالكثير بأنفسهم. إنهم بحاجة إليك لتعليمهم كيفية استخدام الفأرة ولوحة المفاتيح، ومن ثم كيفية لعب كل لعبة حاسوبية على حدة. فإذاً في هذه المرحلة العمرية، يشكل الحاسوب واسطة ممتازة لتعزيز التفاعل الأسري.

الإعــلان

وأخــيراً وصلنا موضوعاً بإمكاننا جميعاً الاتفاق حوله! فما من شــيء يجعل الطفل يكبر ويتطور كالإعلانات. فكلما زادت كان ذلك أفضل.

لــو أن الأمــر كان كذلــك لكانت مــدارس آيفي ليــغ الآن تغرق في سيل من الأطفال العباقرة المنتظرين قبول تسجيلهم المبكر فيها. للأسف، يتشــاطر الأطفال والإعلانات علاقة متداعيــة. حتى وإن كان طفلك الذي لم يدخل المدرســة بعد، لم يســبق له أن شاهد ولا ســاعة من التلفاز، فإنه قد ســبق له وتعرض على الأرجح إلى آلاف الإعلانات. أما بالنســبة لأولئك الذين يشاهدون التلفاز فإن الأطفال بين عمري الثانية والسابعة يستهلكون وسطياً سبع عشرة دقيقة من الإعلانات يومياً.

هل يدرك أطفال ما قبل المدرسة ما هي الإعلانات؟

يميــز الأطفال الإعلانات، فهم يلاحظون أن أمــراً مختلفاً يجري على شاشــة التلفاز. ووفقاً لعدد من الدراســات من قبيل تلــك التي أجراها ليفن وزمــلاؤه، فقد وجد أن نســبة وصلت إلى ثمانين بالمئة من الأطفال في ســن الرابعة والخامســة يتعرفون إلى الإعلانات بشــكل صحيح على أنها مميزة ومنفصلة عن البرنامج المعتاد. وعندما عرض على أطفال سن الثالثة، الرابعة والخامســة لقطات مختلفــة من الإعلانــات والبرامــج التلفزيونية، تمكن معظمهــم من التمييز بشــكل صحيــح بين الإعلانات علــى أنها إعلانات، والبرامج على أنها برامج.

إننا لا نقول بذلك أن الأطفال يفهمون أن الإعلانات ذات مقصد يختلف عــن البرامج. فمــن الصعوبة بمكان قيــاس ما إذا كان الأطفال من ســن

الثالثة وحتى الخامسة يعون أن الإعلانات قد صممت لتحثهم على شراء الأشياء. إلا أن آخر ما توصلت إليه دراسات من قبيل تلك التي أجراها دونوهيو وآخرون يقترح بأن الكثير من الأطفال بين سني الثالثة والخامسة يدركون هذه الوظيفة.

في إحدى الدراسات التي أجراها دونوهيو وآخرون، انتقى الباحثون إعلاناً تجارياً لعصير الفواكه فروت لوبس Fruit Loops، والذي بثّ عام ١٩٧٢. وكان سبب اهتمامهم بهذا الإعلان بشكل خاص أنه لم يحوِ مطلقاً أي نوع من الإيحاءات للأطفال ليحاولوا الحصول على المنتج، أو ليطلبوا إلى ذويهم إحضاره. ومع ذلك، طلب إلى الأطفال تحديد «ما الذي يريد منك طائر الطوقان سام أن تفعله؟»، وقدّم إليهم لوحتين ليختاروا بينهما الإجابة عن السؤال. كانت اللوحة الأولى تمثل صورة أم في المتجر وهي تأخذ علبة فروت لوبس من على الرف. أما اللوحة الأخرى فتظهر طفلاً يتفرج على شاشة التلفاز. فكان أن اختار أطفال سن السادسة جميعهم تقريباً اللوحة الأولى، وكذلك كان شأن ثلاثة أرباع الأطفال ما بين سني

يا لها من مجموعة شخصيات!

توني النمر، رونالد مكدونالد، ديغوم، وبالطبع سكوبي دو، والمئات غيرها من الشخصيات التلفزيونية الأخرى. فلمَ كل هذا العدد؟ ببساطة لأنها تنجح في غاياتها. فهذه الشخصيات لا تضمن وحسب أن الأطفال سيميزون المنتجات عند رؤيتها على رفوف المتاجر، بل إنها في الواقع تشكل مُعيناً كبيراً لأطفال ما قبل المدرسة ليكونوا قادرين على تذكر المنتج حتى عندما لا يرونه. وعليه فإن وجود شخصيات ملونة مرتبطة بالمنتج تضمن بأن يطلب الأطفال إلى ذويهم الحصول عليه قبل حتى أن تطأ أقدامهم المتجر.

الثانيــة والثالثة. ومع هذا، فإني لا أرى بجلاء أن هذه التجربة مثلت اختباراً عادلاً حقاً للمقاصد الإعلانية.

وفي رد على تلك الدراسة، عندما حاول الباحثون جعل الاختبار أكثر صعوبــة بأن جعلــوا الخيار من بين أربع لوحات، لم يجدوا أي دعم لاحتمال أن يكــون الأطفال قد فهموا المقصد من الإعلان. ولكنه يقترح أن أطفال مرحلة ما قبل المدرســة يدركون أن الإعلانات تطلب إليهم شــراء الأشياء. الأبحــاث كافــة وجدت هــذا صحيحــاً على الأقــل لدى الأطفال في ســن الخامسة، إن لم يكن في الفئة العمرية الأصغر أيضاً.

وعلى نحو مشــابه، نجد أن غالبية الأطفال في ســن الخامســة يفهمون التصريحات التي ترد في الإعلانات من مثل: «جزء من فطور مغذّ»، أو «تباع كل منها على حدة». إلا أن قلة فقط من أطفال سن الثالثة هم من يدركون ما تعنيه هذه العبارات.

هل تنجح الإعلانات في أهدافها؟

الإعلانــات ذات مفعول على الأطفال، فمــن الواضح أن أطفال ما قبل المدرسة يستجيبون للعناصر المرئية والسمعية في الإعلانات. وتميل الإعلانات إلى إظهار المنتج الفعلي فيها، كيما يســتعيد الأطفال الإعلان في أذهانهم عنــد رؤيتهم للمنتج على رفــوف المتاجر. وأكثر من ذلك، يتذكر الأطفال الفئــة الــتي ينتمي إليها المنتج المعلــن عنه. فهم بذلك على الأغلب ســيطلبون على سبيل المثال الحبوب لمدة من الزمن بعد مشاهدتهم لإعلان عن الحبوب في التلفــاز. كما أكدت الأبحاث على ما هــو واضح، ألا وهو أن الأطفال سيحاولون بنشاط وبتكرار أن يقنعوا ذويهم بشراء العلامات التجارية التي شاهدوا في الإعلانات.

إن الإعلانات تقنع الأطفال، وهناك أمثلة لا تعد ولا تحصى على هذه الظاهرة. بعضها يستغل رغبة الأطفال الصغار في أن يكونوا أكبر، ولو حتى بسنوات قليلة. فالطفل في الرابعة يريد أن يصبح في الخامسة، أو حتى السادسة أو السابعة. ومهما حاولنا الإيضاح لهم، تبقى لدى الأطفال على الدوام الرغبة في أن يكبروا أسرع مما يفعلون حقيقة. وفي بحث أجراه ستونمان وبرودي على الإعلان والأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة تبين أن الإعلانات التي تحوي أطفالاً أكبر بسنوات قليلة من أطفال ما قبل المدرسة أنفسهم، لهم قدرة أكبر بكثير على الإقناع من أولئك الذين هم في مثل سنهم، وأثر أعمق بكثير من أولئك الذين يصغرونهم سناً.

أما فيما إذا كان الأطفال يدركون الطبيعة الإقناعية للإعلانات، بمعنى الكيفية الدقيقة التي تحركهم بها وتدفعهم لشراء الأشياء، فهذا أمر غير مفهوم بوضوح بعد. إلا أن معظم الدراسات قد أخفقت في العثور على أي دليل يقترح قدرة الأطفال ممن هم دون سن الثامنة على فهم الهدف الضمني للإعلان.

قام الباحثان باين وناش بمقارنة الرسائل التي كتبها الأطفال لمن سيقدمون لهم الهدايا. وكانت المقارنة بين فئة الأطفال الذين يتعرضون بكثافة لوسائل الإعلام، وبين من هم أقل تعرضاً لها. فوجدوا أن الأطفال بين سني الثالثة والرابعة ممن يتعرضون كثيراً إلى وسائل الإعلام تقدموا بطلبات أكثر في رسائلهم، والعديد من تلك الطلبات كان أسماء منتجات لعلامات تجارية شهيرة. باختصار، تعطي الإعلانات مفعولاً: فحتى في سن الثالثة يبدأ الأطفال بتعلم أن يريدوا الأشياء، وأن يطلبوها من ذويهم ومِمَّن سيقدم لهم الهدايا.

فـإذاً كمـا وضّح لنـا هذا الفصل، وسـائل الإعلام هـي أداة يمكن الإفادة منها إلى أقصى درجة من النجاح، أو أن يسـاء اسـتخدامها لتحدث أذى بعيد المدى. مفتاح التوازن هنا هو بالطبع المراقبة:

- اعرف ما يستهلكه أطفالك منها.
- اجعل تعرضهم لها معتدلاً.
- والأهم من كل شيء، خطط الأمور مسبقاً.

فمـن خلال بعض التخطيط البسـيط للغاية، يمكن ترويض كل من التلفاز والحاسـوب بشـكل فعال ليرفعا إمكانيـة التعلّم لدى أطفالك إلى أقصى حد ممكن. لذا فلا تقلق، يمكنك أن تصبح من الأهل الفعّالين في تلطيف مدّ وسائل الإعلام في هذه المرحلة العمرية، من خلال بضع خطوات بسـيطة. إنما تذكّر، حالها كأيّ أمر آخر، سـيكون من الأسهل إيقاف مـدّ وسـائل الإعلام لاحقاً إن كان لدى أطفالـك نوع من مفهوم التوازن في عمر مبكر. لذا فإن الخطوات التي ستتخذها معهم في هذا السن، ستُؤتي أُكلها أغلب الظن في السنوات اللاحقة كذلك.

مراجعة الفصل الثاني:	
التلفاز	
المقدار اليومي	ما من عذر لديك في أن تكون شخصاً مهتماً بمصلحة أبنائك بشكل كاف لأن تبتاع هذا الكتاب ومع ذلك أن لا تكون جرعة مشاهدة التلفاز اليومية دون المعدل: أي .أقل من ساعتين، ويفضل ساعة أو حتى أقل
الميزة الرئيسة	التلفاز التعليمي.
العلاج	فلتصبح خبيراً في برامج أطفالك التلفازية؛ ولتعرض فقط البرامج التعليمية؛ ولتتفاعل مع طفلك أثناء مشاهدته للتلفاز كي تحصل على الفائدة القصوى.
الحاسوب	
المخاوف الرئيسة	هناك الكثير منها. على الرغم من وجود القليل من الأبحاث حالياً التي تدعم الانتقادات الضخمة له.
الميزة الرئيسة	يتطلب بادئ ذي بدء تفاعلاً من الوالدين؛ وكذلك، معظم البرامج الحاسوبية لمرحلة ما قبل المدرسة هي تعليمية.
الإعلان	
المخاوف الرئيسة	أطفال ما قبل المدرسة لديهم القدرة على مشاهدة الإعلانات، إنما تنقصهم القدرة على إدراك الغرض منها. أضف إلى ذلك أنهم بكل تأكيد غير قادرين على التفاعل معها من منظور انتقادي.
العلاج	استخدم أجهزة التسجيل الخاصة بك، وغيرها من الخدمات التي تحت الطلب، وتفاعل معهم وتخطى الإعلانات حين ظهورها.

الفصل الرابع

مرحلة السنوات الأولى في المدرسة الابتدائية

كما قد يتوقع المرء، يغطي هذا الفصل ما يمثل أكثر المواضيع تعرضاً للبحث المتواتر والمناقشة على الإطلاق، فيما يخص الأطفال ووسائل الإعلام الجماهيرية، ألا وهو: أثر العنف التلفازي. إلا أن استهلاك وسائل الإعلام الأخرى يغدو حتى هماً أكبر للأهل، حينما يصل أولادهم إلى السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية. هل سمعت بموقع مساحتي (ماي سبيس) MySpace؟ لعلك ستجيب بنعم، لكنَّ ولدي ذا الربيع السابع من العمر ما تزال تفصله سنون عن أن يصبح له أي علاقة بمثل هذا الموقع. لعل هذا هو الحال مع موقع ماي سبيس، إنما ما كل هذا الذي تفعله ابنتك وهي تتفاعل مع أصدقائها كلهم على موقع نادي البطريق Club Penguin؟ هل سمعت حتى بنادي البطريق من قبل؟

إنما هذا ليس كلَّ شـيء. فهذه هي السنوات التي يتوجب على الأهل فيها أن يشرعوا بالتفكير في ترشيد استهلاك التلفاز (إن لم يكونوا قد فعلوا حتى الآن)، وفي ترشيد استخدام الانترنت، وفي ضبط سلوك الأولاد عبر صفحات الإنترنت، وتصنيفات ألعاب الفيديو، على سبيل المثال لا الحصر. لكن الأخبار ليست كلها سيئة، بل هي فعلاً أبعد ما تكون عن ذلك. فما يزال بمقدور وسائل الإعلام أن تعلّم الكثير، وليس الأهل مضطرّين لأن يكونوا «أهلاً خارقين» كيما يتمكنوا من حماية أولادهم بنجاح من وسائل الإعلام الإلكترونية. الأمر فقط يتطلب تسلحاً بالمعرفة، وتجسيداً لبعض القواعد والأنظمة.

التلفـاز

طلبتُ إلى أحد أصدقائي مؤخراً أن يسمي لي أول برنامج يطرأ على باله مما كان يشاهده في سني طفولته في المرحلة الابتدائية. فأجابني بسرعة أدهشتني: باغز باني.

عليّ أن أقرّ أن إجابته كانت جيدة! فمن منا يقدر أن ينسى باغز وداڤي، سكوبي دو، وتوم وجيري؟ لكن لحظة... تلك الذكريات كلها... جميعها تحوي عنفاً إلى حد ما. بعضها يظهر فيه الكثير من العنف. وطبعاً إنما ذكرت فقط ثلاثة برامج كرتونية من أصل مئات البرامج الكرتونية للأطفال التي تم إنتاجها في الخمسين عاماً الأخيرة. فالبرامج الكرتونية اليوم أكثر عنفاً بكثير، كما هو حال العديد من برامج الإثارة.

التلفاز بوصفه قاص (حكواتي) القرية:

حين ذكرت هيلاري كلينتون عبارتها المشهورة: «تحتاج تنشئة طفل إلى جهود قرية بأكملها»، كانت محقة بلا ريب. إننا للأسف، كما يبين العديد من منتقدي وسائل الإعلام نعيش في قريتين: تلك التي ننام ونأكل ونتنفس فيها، والأخرى التي نتفرج عليها ونهرب إليها. بمعنى آخر، أن القرية الأولى تتألف من كياننا الجسدي المرتبط بالحياة اليومية. أما القرية الثانية فهي بالفعل عالمٌ من التلفاز ووسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى.

فكر في الأمر لثوان. كيف سيكون الحال في قاعة المحكمة مثلاً؟ بالنسبة لأكثريتنا لم نخرق أي قانون، ولعلنا بقليل من الحظ لم نستدع كذلك يوماً إلى أداء واجب العضوية في هيئة المحلفين! لكننا جميعنا نعرف ما تكون عليه قاعة المحكمة، أليس كذلك؟ فقد سبق أن شاهدناها على شاشة التلفاز ملايين المرات.

وماذا عن فترة المراهقة وكيف يكون حال المرء حينها؟ كيف نسبر غورها؟ إن كان لدى الطفل أخ أو أخت أكبر منه فإنهما بلا شك سيرفدانه بنافذة يطالع من خلالها العالم. كما أن الأطفال جميعاً يتسنى لهم مشاهدة كيف يتصرف الأطفال الأكبر سناً في المدرسة. ولكن حقاً بالنسبة لتلميذ في مراحل أعلى من المدرسة الابتدائية، من أين له أن يعرف كيف ينبغي له أن يتصرف عندما يصبح في المرحلة المتوسطة؟ أو حين يلتقي بأصدقاء حميمين؟ أو كيف يتفاعل مع نظرائه؟

إن القريتين تزودانه بالأجوبة، لكن النقطة المهمة هنا هي أن إجابات هذه الأسئلة من الأسهل إلى حد بعيد الوصول إليها عن طريق التلفاز على الرغم من أنها قد لا تكون دقيقة بشكل فعلي.

التلفاز هو قاص القرية، وسواء قبلنا بما يقصه علينا أم لا فإنه سيرويه لنا على كل الأحوال. إنه يمنحنا قرية شئنا قبولها أم أبينا.

قد تقول بأننا حادو الذكاء بشكل كاف لأن نرفض تلك الواقعية التي يقدمها في سبيل الواقعية «الحقيقية». هناك على أي حال مشكلتان تنطوي عليهما هذه الفكرة. أولاهما، أن الكثير مما يقدمه لنا التلفاز «لا يلقيه في وجهنا مباشرة». إننا طبعاً نرى الشخصيات الرئيسة على حقيقتها، الممثلون والممثلات قد يسهل رفضهم بوصفهم شخصيات خيالية. إنما قلة من الناس هم من يتأملون دقة المشاهد الخلفية. فلنمعن النظر في مختبر تحليل الجرائم في المسلسل الجماهيري CSI. إضاءة بارعة بالهالوجين (تشبه حتى إضاءة النوادي الليلية)، جدران زجاجية، معدات بتقنيات عالية جداً. فهل سبق أن شاهدت مختبر تحليل جرائم حقيقي من الداخل؟ قلة هم من فعلوا. الواقع هو أن كثيراً من مخابر تحليل الجريمة في ضيق مادي، وتحوي الأساسيات من معدات تميل إلى القِدم أكثر بكثير منها إلى الجِدَّة. فما تصوراتك الخاصة عن مختبر تحليل الجريمة؟ أغلب الظن أنها تعكس إلى حد بعيد ما شاهدته في مختبر الـ CSI. وطبعاً سوف تكون كذلك، لأنه ليس لديك من خبرات حياتك الواقعية ما ينقض تلك الصورة. إضافة إلى أننا نادراً ما نقاوم صور الخلفيات التي يقدمها التلفاز، مهما كنا قادرين على ردم الفجوة بين ما تتصرفه الشخصيات في التلفاز، وما هم عليه أشخاص الحياة الواقعية.

لكن الإشكالية ذات البعد الأهم هي أننا لا نتحدث عنك وعني في هذا الكتاب... إننا نتحدث عن الأطفال. فالأطفال أقل تجهزاً بكثير بما يلزم لنبذ ما يقدمه لهم التلفاز. انس أمر الخلفيات، في معظم الحالات إنها مقدمات ما

يطالعونه، من شخصيات وما تأتي به، هي التي نادراً ما يُرتاب بها. إنها تماثل في واقعيتها بالنسبة لهم غرفة المعيشة التي يستقر فيها التلفاز.

فإذاً من المهم تذكر أن التلفاز ليس وسيلة ترفيه وحسب، بل هو واقع (لأننا نعامله على أنه كذلك). ومع تكاثر البرامج المستندة إلى الواقع هذه الأيام فقد أضحى احتمالاً أقل وروداً أن نقوم نحن أو أبناؤنا بالاعتراض على مدى مصداقية ما تعكسه تلك البرامج على أنه حياة واقعية.

لألخص هذه الفكرة يتوجب علي العودة إلى عبارة هيلاري كلينتون، التي كان القصد منها التأكيد على أن الأهل لا يمكن أن يضطلعوا بالمهمات كافة لوحدهم. فنحن لا نملك الوقت الكافي لنعلم أطفالنا الدروس كافة التي سيختبرونها، كيما نزودهم بالدعم الذي سيحتاجونه، ونعلمهم كل ما يمكن لهم تعلمه. وفي عالم السيدة كلينتون، تتضمن تلك القرية المدرسين، ومشرفي المخيمات، والجيران. إنما لا يسعنا أن ننسى، أنه بالقدر الذي يتفاعل به أولئك الأشخاص مع أولادنا، فكذلك يفعل التلفاز. إنه يروي لهم القصص، يشرِّبهم القيم (الصالح منها والطالح). إنه يعلّمهم، سواء أدركوا ذلك أم لا، وقد يكون هذا في مصلحة الأهل أو ضدها. ولهذا السبب، وأكثر من أي سبب آخر، يتوجب على الأهل أن يكونوا يقظين حيال ما يشاهده أولادهم، وبشكل خاص خلال مرحلة المدرسة الابتدائية. إن هذا الفصل يزود الأهل بالخطوط الإرشادية والعبر التي تم اكتسابها، ليساعدهم على استعمال وسائل الإعلام بحكمة، ليرشدوا أولادهم إلى الطريق الذي يتم من خلاله اكتساب القيم والعبر المناسبة من التلفاز.

عنف التلفاز: ما هو؟ وما مدى وجوده؟

إن الآثار الإيجابية التي وجدنا أنَّ التلفاز يتركها في الفصل السابق، من طرح إمكانيات للتعلم، الإيثار، السلوك الاجتماعي، وحتى تسهيل اللعب التخيلي، جميعها تنطبق على سنوات المرحلة الابتدائية كذلك. وفعلاً، كما يقول ميرز وودارد، إن الأثر المحتمل للتلفاز على السلوك الاجتماعي «يجب أن يعمل ترياقاً مضاداً لأولئك الذين يعتبرون التلفاز مجرد مصدر أذى محض». (علماً أنه من المهم معرفة نوعية ما يبثه التلفاز من برامج، إذ يجب أن تكون تعليمية، وذات تقدم زمني مضبوط، ومناسبة لأطفالك).

ومع ذلك، للتلفاز وجهه القاتم. وفي حين أن ملامحه التي طالعتنا في الفصل السابق تمثلت في إمكانية وجود أثر سلبي معتدل على الانتباه، أنماط النوم، والبدانة، فإننا في هذا الفصل سنراجع ما يعد المظهر الأكثر خطورة للتلفاز، ألا وهو أثر مضامينه العنيفة.

لعلك تقول، إن طفلي في المرحلة الابتدائية لا يتابع مشاهد العنف على التلفاز؛ فهذا سيحدث لاحقاً عندما يصبح في المرحلة المتوسطة والثانوية. لكننا طبعاً حين نستعيد طفولتنا، سنذكر حتماً باغز باني. ومرة أخرى سنجد أن البرامج الكرتونية للإخوة وارنر هي مجرد ملمح للمشكلة: فهناك الكثير جداً من البرامج التلفازية التي تحوي عنفاً تستهدف ولدك، تلميذ الصف الثالث الابتدائي.

ما هو كم العنف الذي يرونه؟

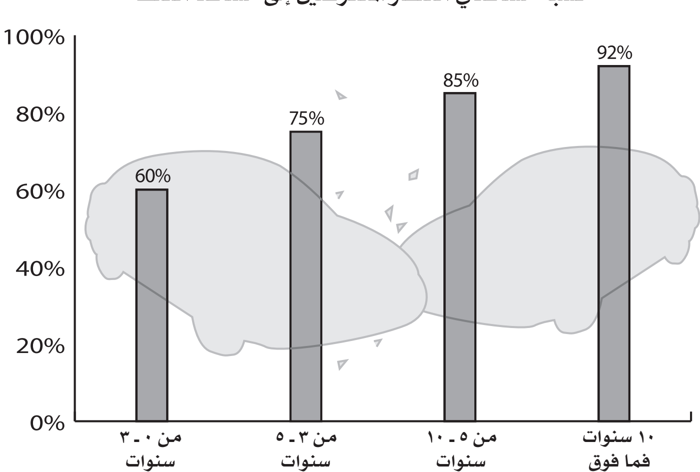
فإذاً ما هو كم العنف الذي يشاهده الأطفال؟ من المحتمل أن يكون التعرض الأساسي للعنف المتلفز واسع الانتشار إلى حد يفوق ما يتصوره

المرء. ولنتذكر أن أغلب البيانات التي لدينا مبنية على ما أبلغ به الأهل، وهو يكاد يكون دون الحقيقة بكثير. ففي النهاية، بوصفك واحداً من الأهل النمطيين المهتمين، سيحرجك جداً أن تقر أن طفلك ذا السنة الواحدة من العمر يشاهد برامج تلفازية عنيفة. فلطالما توصلت الأبحاث باستمرار إلى أنه عند سؤال نسبة معينة من الأشخاص عن سلوكيات يخجلون من قيامهم بها، فإنهم سيكذبون بشأنها كي يظهروا أكثر صلاحاً مما هم عليه فعلاً.

إن مسألة كون التلفاز ينضح عنفاً أمر لا نقاش فيه. فمن عام ١٩٩٤ وحتى عام ١٩٩٧، أجري التحليل الأضخم على الإطلاق لمحتوى التلفاز عبر الجمعية الوطنية لبرامج تلفاز الكيبل. فوجد أن اثنين من أصل كل ثلاثة برامج يحوي «أفعالاً عنيفة». ومن منظور شامل، تم التوصل إلى أن التلفاز يحوي ستة مشاهد عنيفة كل ساعة. لكن الأكثر إثارة للاهتمام هو أن هذه الدراسة قد وجدت أن برامج الأطفال تحوي عنفاً أكثر من برامج البالغين.

في الحقيقة، بالكاد أقل من ثلاثة برامج أطفال من أصل كل أربعة حَوَت عنفاً. بالنتيجة، توصل الباحثون إلى أن الطفل سيشاهد قرابة الثلاثة آلاف تصرف عنيف كل عام!

تواجه هذه الأنماط من الدراسات على أي حال نقداً شائعاً يفيد بأنها تغفل التمييز بين أنماط الأفعال العنيفة. فمن المؤكد أن مشاهدة الطفل لذئب البراري المخادع وقد أوقعت به النعامة بالشرك ليسقط من أعلى جرف ارتفاعه ألف قدم، هو أقل ضرراً على الطفل من مشاهدته لمطاردة عنيفة معتادة بالأسلحة النارية بين رجال الشرطة والسارقين، والتي تشيع في برامج البالغين.



المصدر: تشينغ، برينر، رايت، ساكس، موير، وراو

حقــاً هناك الكثير الكثير من أنواع العنف، وكثير من الفوارق التي تجعــل مــن أحدها يختلــف على نحو نوعي عــن الآخر. تتضمــن بعض هذه الفوارق التي تم تسجيلها في الماضي، مايلي:

١. هل هو متعمّد؟ وإذا كان العنف يحصل بنتيجة تصرف غير مقصود، فهل له الأثر السلبي نفسه الذي كان سينجم عن العنف المتعمّد؟

٢. هل هناك أذى دائم؟ من الانتقادات التي توجه إلى الأشخاص الذين لا يفرّقون فعلاً عنيفاً من آخر، هي أنه في كثير من المشاهد الكرتونية العنيفة، قد تقع إحدى الشـخصيات ضحية للعنف، لتصبح على أتم ما يرام خلال ثانيتين. فمثلاً، نرى في مشـهد نمطي من برنامج باغز باني، أو تــوم وجيري الكرتونيين إحدى الشـخصيات وهي تدهس

من قبل العربات راصفة الطريق فتسويها بالأرض، ويضحي جسمها بسماكة الورق. ولكن بعد ثانيتين، تنهض تلك الشخصية عن الأرض وتتصرف كمنفاخ للعجلات، وتنفخ نفسها عودة إلى أبعادها الثلاثة السابقة. فهل تعد هذه المشاهد عنيفة بقدر غيرها مما يعرض من عنف أكثر واقعية على التلفاز؟

٣. وماذا عن العنف الهزلي؟ هل برنامج المضحكين الثلاثة أمثاله من البرامج على الدرجة نفسها من السوء كبرامج العنف الواقعي الأخرى؟

لسوء الحظ، لقد وجدت الدراسات التي فصلت بين العنف الواقعي و«العنف الوهمي» (أي العنف غير الواقعي على نحو واضح)، وقد عثرت بالرغم من ذلك على الآثار ذاتها لنمطي العنف كليهما، مع أنها كانت في مستويات أقل لدى الأشخاص الذين يتعرضون إلى العنف الوهمي دوناً عن الواقعي.

فإذاً ما الآثار التي يتركها عنف التلفاز؟ كما نُوّه في فصل سابق، فإن دراسة هذه الظاهرة قد بدأت مع تجربة دمية بوبو الشهيرة، التي أجراها ألبرت باندورا وزملاؤه. ونذكر مرة أخرى، أن الأطفال الذين عرضت عليهم مقاطع تلفازية عن شخص يضرب دمية بحجم بشري، كانوا أكثر قابلية لأن يقلدوا مثل ذلك السلوك، بالمقارنة مع الأطفال الذين لم يشاهدوا تلك المقاطع.

الجدير بالاهتمام، أن الأطفال شرعوا بتقليد ذاك السلوك أكثر فأكثر عند مكافأة الممثل الذي يؤدي المشهد التلفازي على تصرفه. وبناء

على مجموعة التجارب الأولية تلك، استنبط العلماء وجود أثر أساسي جداً لعنف التلفاز ألا وهو، وبتعبير مبسط: العنف يولّد العنف.

العنف أمر طبيعي:

للأسف، لقد تم إثبات النتيجة التي توصلت إليها الأبحاث في أن عنف التلفاز يمكن أن يؤدي إلى العنف في الحياة الواقعية، مرة تلو أخرى. والجانب الأكثر أهمية، هو أن هذه الصلة لا تحدث فقط في التجارب التي تستخدم أفلاماً معدة سلفاً لبالغين يضربون دمى بحجم بشري. فعلى سبيل المثال، هناك التجربة التي أجراها بوياتزيس، ماتيللو، ونسبيت، وقارنوا فيها بين أطفال لم يشاهدوا التلفاز، مع آخرين عرضت عليهم حلقة كاملة من برنامج الحراس الأقوياء Power Rangers. فوجدوا أن الأطفال الذين شاهدوا الحراس الأقوياء أبدوا تصرفات عنيفة (كالضرب، والتدافع، والإهانات اللفظية لأطفال آخرين) أكثر بسبع مرات من أولئك الأطفال الذين لم يشاهدوا البرنامج.

وفي دراسة أخرى، طلب بوكانان إلى أطفال في الصف الثالث وحتى الصف الخامس الابتدائي أن يحددوا زملاءهم في الصف الذين يعتبرون أنه قد بدر منهم في السابق أفعال خبيثة تجاه الآخرين، من خلال التنمر، أو الشجارات الجسدية، أو الاعتداءات اللفظية. وفي عمليات مسح لاحقة شملت أطفالاً خبيثين، وغيرهم أقل عدوانية، أو غير عدوانيين أصلاً، تبين أن الأطفال الذين اعتبرهم أندادهم أنهم «خبثاء»، قد سبق وشاهدوا برامج تلفازية عنيفة أكثر من غيرهم على نحو ملحوظ. وهنا نصل إلى السؤال الذي يجب على هذه الدراسة أن تطرحه على الأهل جميعاً، ألا وهو: أتريد

لولدك أن يكون «خبيثاً» لأنك لم تعمل على الحد من تعرضه للتلفاز الذي يحوي عنفاً؟

فإن كان هذا التساؤل لا يشكل دليلاً كافياً لوجود الصلة بين التلفاز الحافل بمشاهد العنف والعنف الواقعي، فإن هناك دراسة أجراها هوزمان امتدت ما يزيد على العشرين عاماً توصلت إلى أن الصبية الذين شاهدوا التلفاز الحاوي على العنف في سن الثامنة قد غدوا أكثر قابلية لارتكاب الجرائم عندما أصبحوا بالغين. إن الغالبية العظمى من أطفال الثامنة الذين شاهدوا تلفازاً حاوياً على العنف، أضحوا بأحسن حال. إنما في الوقت ذاته، أهذا أمر ترغب حقاً بتجربة حظك فيه؟

لقد بحث الباحثون في تأثيرات أخرى محتملة للعنف المعروض على التلفاز، وقد أبدعوا في ابتكار طرق الوصول إلى تلك التأثيرات. إحدى التجارب الخلاقة (على الرغم من أنها ليست الأولى التي تجرب مقاربة الموضوع على هذا النحو) إلا أنها تتطلب شرحاً وافياً لمجرد ما يحمله تصميمها من قدرة محضة على الإبداع (فعلاً لقد استخدمتُ هذه التجربة كمضرب مثل لسنوات عدة في صف طرائق البحث الذي أدرسه، فقط كي أظهر إلى أي درجة يمكن أن يكون خيال بعض العلماء نشطاً). في التجربة التي قام بها موليتور وغيره، قسم الأطفال إلى مجموعتين. شاهدت الأولى نسخة مكثفة لمشاهد العنف التي احتواها برنامج فتى الكاراتيه The Karate Kid. أما الثانية فقد شاهدت مقاطع من المنافسات الأولمبية (لماذا؟ بغية عرض مشاهد تقترب ما أمكن من مشاهد القتال الشكلية التي تعرض في فتى الكاراتيه، إنما دونما عنف).

كان مسرح أحداث التجربة مرتباً على النحو الآتي: غرفة مدرسة، هيئت بالألعاب وانتصبت فيها آلة تصوير فيديو تستند إلى منصب ثلاثي القوائم، ويخرج منها أسلاك تمتد إلى غرفة ثانية. وفيها وضع تلفاز وُصلت إليه الأسلاك من الغرفة الأولى. أجريت التجربة على الأطفال كل على حدة. وطبعاً لم يكن لدى أي منهم فكرة عن أنه جزء من تجربة. إذ أخبرهم الشخص المساعد في التجربة بينما كان يمضي بهم من الغرفة الأولى إلى الثانية، أن شخصاً في العادة يستخدم آلة التصوير لمراقبة الأطفال في الغرفة الأولى ليضمن حسن سلوكهم. وما إن يخطو الطفل والشخص المساعد الغرفة الثانية حتى تعرض شاشة التلفاز صوراً لأطفال يدخلون الغرفة الأولى، ويأخذون باللعب بالألعاب الموجودة في الغرفة.

بالطبع كل ما يجري مفتعل: فما يشاهده المساعد والطفل عبارة عن شريط مسجل. لكن المساعد يكذب على الطفل مخبراً إياه أن «هذا التلفاز يرينا ما يجري في الغرفة الأخرى». وفجأة، يستدعى الشخص المساعد إلى غرفة الإدارة، فيطلب إلى الطالب البقاء في الغرفة ومراقبة الأطفال الآخرين على شاشة التلفاز، فإن وقع أمر ما فعليه أن يلتمس العون من أحد البالغين. وبعد مغادرة الشخص البالغ يبدأ الأطفال على الشاشة بالجدل حول الألعاب. وسرعان ما يتحول ذلك الجدل إلى مشادة مع شد الشعر والتدافع. وفي النهاية يصدم الأطفال آلة التصوير فيوقعونها لتتحول الصورة بعدها إلى حالة ثبات.

ما الذي تثبته هذه التجربة؟ هل كان هناك أي فرق بين الطفل الذي تابع مشاهد القتال العنيف في برنامج فتى الكاراتيه، وبين من تابع اللقطات الأولمبية المثيرة إنما غير العنيفة؟ حتماً، بإمكانك المراهنة على ذلك: لقد استغرق الأطفال المشاهدون لفتى الكاراتيه ٣٧ ثانية ليطلبوا

المساعدة منذ بداية مشاهدتهم لأطفال «الغرفة المجاورة» وهم يتجادلون ويتصارعون. في حين استغرق الأطفال المتابعون للمشاهد الأولمبية ٢١ ثانية للقيام بالأمر ذاته.

بالمختصر، لقد برهنت التجربة على أن العنف في التلفاز يضعف حساسية المرء تجاه عنف «الحياة الواقعية». إننا باختصار نغدو أكثر تحملاً للعنف، وأقل اكتراثاً عندما نراه. لقد قدمت أيضاً تجارب مماثلة «مواقف صراع» افتراضية للأطفال لنناقشها بعد التجربة، وكان الهدف منها اكتشاف كيف يمكن أن يتفاعل معها الأطفال على نحو متباين. فكان أن قدّم أولئك الأطفال الذين يشاهدون عنفاً على التلفاز حلولاً أكثر عدوانية لتلك المواقف، مما فعل الأطفال الذين يشاهدون تلفازاً لا عنف فيه.

العنف جزء من الحياة اليومية:

الأثر الهام الآخر للعنف على التلفاز يرتكز إلى حقيقة أن التلفاز بات قاصّ القرية الخاص بنا. غدونا نملك واقِعَيْنِ يُخْبِرانِنا عما هو واقعي، الخبرات الحياتية الفعلية، والخبرات المتلفزة. ولأننا نميل إلى عدم «الاقتناع» في حياتنا الواقعية بالقدر الذي نفعل مع التلفاز، فإننا نميل إلى الأخذ بما نراه على التلفاز، لا في الحياة الواقعية، على أنه انعكاس للحياة الواقعية. فبالعودة إلى مثال مختبر تحليل الجريمة الذي لم نره يوماً، إننا ننزع إلى الاعتقاد بأنه يبدو كما يعرضه المسلسل التلفازي الشهير CSI.

إحدى كبرى الإشكاليات المتعلقة بهذا الأمر أن الناس (لحسن الحظ!) يتجهون إلى عدم مشاهدة جرائم العنف بشكل شخصي أبداً. لكننا نرى

كماً هائلاً منها على التلفاز، فيؤدي ذلك إلى ما يدعوه الباحثون بـ «متلازمة العالم الوضيع». ألا وهي أننا ننزع إلى الاعتقاد بأن العالم الواقعي يمور بالعنف كما العالم المتلفز. لحسن الحظ فإن العالم الواقعي أقل عنفاً إلى أبعد حد من عالم التلفاز، إنما ما نفع ذلك إن كنا نعامل العالم الواقعي كما لو أنه بالعنف نفسه المتمثل في صورته المتلفزة الزائفة؟

فإذاً بالنتيجة، كلما شاهدنا المزيد من التلفاز، كلما اطلعنا على المزيد من العنف، وكلما توطن لدينا الاعتقاد بأن العالم الواقعي مترع بالعنف. وقد يفضي هذا إلى جعلنا أقل اجتماعية مع الآخرين، وأكثر خوفاً من العالم الخارجي، وأكثر ميلاً إلى العدوانية نحن أنفسنا. وهذه ليست بالمواقف التي نكافح لغرسها في نفوس أطفالنا.

من المؤكد أن بمقدوري تكريس المزيد من الصفحات لمناقشة دراسة تلو الأخرى بخصوص العلاقة بين العنف والتلفاز، فقد أجري ما ينوف على الألف دراسة حول هذا الموضوع. لكن الفكرة باعتقادي قد اتضحت بما يكفي. فقد كشف العلم عن أن لعنف التلفاز العديد من الآثار على الناس، وهي سيئة جملة وتفصيلاً، وعموم الناس يعون تلك الحقيقة إلى حد بعيد. فخمسة وسبعون بالمئة من الشعب الأمريكي يعتقدون بأن عنف التلفاز يسهم في الجرائم والعدوانية المنتشرة في العالم الواقعي. عند بلوغه الثامنة عشر، يكون المرء قد شهد ما يناهز الـ ٢٠٠,٠٠٠ فعلاً عنيفاً من قتل واغتصاب وغيرها من الجرائم الجسدية. وإن هذا الرقم لا يتضمن حتى العنف المتخيَّل، أو العدوان غير الجسدي. أضف هذين الجانبين إلى المزيج فيمكن أن يصل الرقم حينها إلى نصف المليون من هذه الأفعال.

«مكافحة» العنف:

إن هذا العنف كله لا يحوّل الطفل العادي إلى قاتل. وما من أحد جادل حقاً في هذا الأمر. فمما لا شك فيه أنه لكي يصبح المرء مجرماً، لا بد من أن تحدث في حياته أمور شتى، تفوق بكثير مجرد مشاهدته لمسلسل رامبو على التلفاز. ولكن المسألة بالنسبة لنا - نحن الأهل - تتجاوز ما إذا كان أطفالنا سيستحيلون قتلة بسبب التلفاز. إذ ما يزال هناك الكثير من العواقب الناجمة عن مشاهدة التلفاز، والتي وإن كانت ليست مريعة إلى تلك الدرجة، غير أنها تبقى مربكة تماماً للأهل المهتمين بنشأة أولادهم. هل أريد لولدي أن يخشى العالم الواقعي؟ هل أريد لطفلي أن يجلس متفرجاً على طفل آخر وهو يتعرض للأذى، ولا يطلب المساعدة؟ وأخيراً، هل أريد لولدي أن يكون هو الشخص المعتدي، أو لربما أيضاً المتنمر على أنداده؟ لا بالطبع. مرة أخرى، من المهم أن نشير إلى أن عنف التلفاز وحده عادة لا يثير مثل هذه السلوكيات لدى الطفل. ولكن مراجعة الحجم الضخم من الأبحاث التي تم إجراؤها تفيد بأن مشاهدة العنف على التلفاز يزيد من احتمالات أن يغدو طفلك عدوانياً على الأقل بنسبة عشرة بالمئة. وهذا مستوى ينبغي على الأهل جميعاً أن يقلقوا بشأنه، حيث ما من أحد بيننا يريد لولده أن يكون هو التفاحة العطنة. فما العمل إذاً؟ إليكم بعض الخيارات:

١. حرم على طفلك مشاهدة التلفاز: إنها الإجابة التي لا ينفك يتحفنا بها نقّاد وسائل الإعلام. ولكنها ليست واقعية. قلة من الأهل فقط هم من استطاعوا على الإطلاق تحقيق ذلك. ومن ناحية أخرى يبقى إنجازهم رهين منازلهم فقط. لذا فانس أمر هذا الخيار، ولننتقل للتالي!

٢. امنع طفلك من مشاهدة العنف على التلفاز: يا للفرحة! ألا يبدو هذا حسناً؟ أتعتقد أن بمقدورك القيام به؟ المشكلة هي أن العنف يعم

البرامـج جميعها. صحيح أن هناك برامج أطفال لا تحوي عنفاً، غير أنها تميل إلى التوجه لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة، أو إلى السنوات المبكرة من المرحلة الابتدائية.

ولا أنكـر وجود برامج لا تحوي عنفاً موجهـة لأطفال المرحلة الابتدائية والأكبر عمراً مثل بيل ناي، فتى العلوم Bill Nye the Science Guy، لكنها تبقى قليلة العدد. وحتى البرامج غير المؤذية ظاهرياً مثل سكوبي دو، وآل فلينسـتون، فهي تحوي سـوية معينة من العنف. فمعظم البرامج الكوميدية الحافلة بالخشـونة من قبيـل باغز باني، وتوم وجيري تحوي أفعـالاً عنيفة. ناهيكم عن برامـج الأبطال الخارقين التي تبنى بمجملها علـى السـلوك العنيـف. من الحتمـي على الأهـل أن يفعلوا ما بوسـعهم ليقلصوا إلى الحد الأدنى من تعرض أبنائهم إلى البرامج غير المناسبة لهم بشـكل واضح. فكما علمنا في الفصل السابق، من الضروري أن تمنع أبناءك من متابعة برامج البالغين خلال سـنوات المرحلة الابتدائية. فإذاً، حتـى وإن كنت لـن تصل درجة الكمـال قط في تنفيـذك هذا الأمر، يبقى من الأهمية بمكان أن تفعل كل ما بمقدورك للحد من كم عنف التلفاز الذي يشاهده ولدك.

٣. هل تعرفين ماذا يشاهد ولدك؟ يجب أن يكون من المسلم به الآن أنه إن كان طفلك يتابع برنامجاً لم يسبق وأن شاهدته قط، فعليك إذاً التوقف عما تفعلينه مباشـرة ومشـاهدة عشر دقائق معه أو معها. فإن كنت غير قادرة على تخصيص وقت لذلك، فلتسـجليه على جهاز تسـجيل الفيديو ولتشـاهديه في وقت لاحق من أمسيتك. لسـت مضطرة لمشاهدة البرامج جميعها التي يشاهدها أطفالك، وعلى الدوام. غير أن قيامك بهذا الأمر سـيتيح لك الفرصة لتقييم مستوى العنف الموجود في البرنامج، وكذلك

احتوائه على جوانب أخرى من المضامين العنيفة المذكورة لاحقاً. فإن لم تتمكني من مشاهدة البرنامج في المرة الأولى التي يشاهده فيها طفلك، فلا بأس عليك. فمشاهدة برنامج غير مناسب لمرة واحدة لن تترك ندبة إلى الأبد في نفس طفلك. إنما حاولي أن تشاهدي شيئاً من ذلك البرنامج بأسرع ما أمكن بعد أن يفعل طفلك.

٤. عندما يقع العنف أو العدوان، فكيف يحدث ذلك؟ إن لم يكن بمقدور المرء أن يتجنب كلية العنف على التلفاز، فباستطاعته على الأقل أن يدرك أن بعض العنف أقل سوءاً من غيره.

بداية، لقد وجد أن العنف الموجه إلى أشخاص شريرين كعقاب على سوء أفعالهم، كما هو الحال مع عنف بعض الأبطال الخارقين، يترك أثراً أقل ضرراً على الأطفال. فإن كان من الممكن أن تُصوَّرَ الأمور على النحو التالي : على الشخصيات التي تتصرف بعنف، إما أن تعاقب على أفعالها العنيفة تلك، أو أن تكون هي من يعاقب آخرين قد بادروا في الأساس إلى التصرف بعنف دونما سبب.

٥. تحدّث إلى أطفالك حول العنف: احرص على أن يفهم أطفالك أنه في حين أن العنف الوهمي قد يكون مسلياً إلى حد ما، فإن العنف أو العدوان في العالم الواقعي أمر غير مقبول، وسيخضع للعقاب. وعندما يحدث فعل عنيف على التلفاز ويمر دونما عقوبة، اشرح لطفلك أن هذه الأفعال ليست مقبولةً. فكما سبق وأن نوهنا في الفصل الماضي، إن وضعك للأحداث التلفازية في سياق ملائم لطفلك أمر ذو أهمية حيوية بالغة. اشرح لهم السبب وراء حدوث الأشياء، وأي السلوكيات غير واقعي، وأيها لن يقابل بالتسامح في العالم الواقعي.

٦. افهم معاني تصنيفات البرامج التلفازية، واستخدم رقاقة الحماية في جهاز تلفازك: الخبر الطيب الذي أسوقه إلى الأهل هنا هو أن كثيراً من العمل المجهد الذي يخص العنف على التلفاز قد تم رفعه عن كاهلهم مسبقاً، بفضل تصنيفات البرامج التلفازية، ورقاقات الحماية الـ V Chip. أما الخبر السيء، فهو أن قلة قليلة فقط من الأهل هم من يدركون وجود مثل هذه الأشياء، وحتى نسبة أقل من بين هؤلاء هم من يستخدمونها. على الرغم من أن فهم تصنيفات البرامج التلفازية لا يستغرق بمجمله أكثر من دقيقتين، وكذلك الوقت ذاته لإعداد رقاقة الحماية.

أهمية رقاقات الحماية، الـ V Chips:

إن رقاقة الحماية ليست حتى برقاقة، وهي سهلة الاستخدام. رقاقة الحماية V Chip لا تزيد عن منطق البرمجة وتوصيلات الدارات الكهربائية ذاتها التي تتحكم بالتوصيفات المغلقة وغيرها من آليات التحكم في التلفاز. يقرأ نظام الدارات الكهربائية المعلومات المرسلة مع إشارات البرامج لتخبر التلفاز وأجهزة الاستقبال (الكيبل) عن تصنيفات كل من البرامج. عندها يمكن للمستخدم أن يضبط ذاك التلفاز أو جهاز الاستقبال على نحو يسمح بعرض برنامج ينتمي حصراً إلى عتبة تصنيف محددة، مما يعني أن البرامج الخاصة فقط بتلك الفئة العمرية أو ما دونها هي التي تمر.

فإذاً إن فهم طريقة عمل رقاقة الحماية والتحكم بها يماثل الحصول على «مربية» خاصة بالتلفاز، تراقب تصنيفات كل برنامج. لهذا السبب فإن استخدام رقاقة الحماية منوط بمعرفة معاني كل تلك التصنيفات التلفازية.

يبدو أن غالبية الأهل لا يفهمون هذه الأمور، لذلك فمن الضرورة بمكان تعلم ما يرمز إليه نظام التصنيفات التلفازية. صحيح أن ثلثي

الأهـل يقولون بأنهم يعرفون عن رقاقة الحماية، بل وأكثر عن التصنيفات التلفازيـة، إلا أن التجربـة علمتنـا أن للأهـل سمعـة سـيئة في الإخبار عن الحقيقة في الاسـتبيانات. فهم يخبرون القائمين على الاستبيان بما يعتقدون أنهم يرغبون بسـماعه. وعند اختبارهم عن معنى كل من التصنيفات فقد أعطـى نصف الأهل أجوبة خطأ، (المقلق في هذا أيضاً، أن كثيراً من هذه الأسـئلة كان ذا خيارين، فحتى وإن كان الأهـل يلقون بالجواب جزافاً، فهم ما يزالون بالمعدل محقين نصف الوقت).

هناك تفسـير بسـيط جداً لعدم معرفة الأهل حقاً ما تعنيه التصنيفات التلفازية، وهو أن أحداً لم يشـرحها لهم مـن قبل. بالإضافة إلى أنها أكثر تعقيداً مثلاً من التصنيفات السـينمائية البسيطة. لكن هذه ليست بحجة، ففي النهاية إنها ست تصنيفات فقط.

يتـم اختار تصنيف كل برنامج من قبل صناعة التلفاز. فصنّاع البرامج الأصليـون يصنفون برامجهـم، وكذلك القنوات التي تبـث إعادة لأعمال قديمة سبق عرضها، كلاهما مسؤول عن تصنيف البرامج التي يبثونها.

كما سترون فإن هذه التصنيفات بحد ذاتها ليست عصية على الفهم، رغـم أنهـا حتماً أكثر تعقيداً من تصنيفات الأفـلام التي اعتدناها جميعاً. ومع ذلك، فكما بينت آنفاً، من المحتمل أن نصف عدد الأهل لا يفهمونها تماماً. ولكن بينما يمكننا أن نقرّع أنفسنا على عدم السعي لتثقيف أنفسنا حول هــذه التعريفات، تبقى هذه المعلومات المتعلقة بالتصنيفات غير سـهلة المنال كلية إن لم يبحث المرء عنها بوسـاطة الإنترنت (فكر مثلاً في كم البالغين الذين ما يزالون لا يتصفحون شبكة الإنترنت بتواتر كبير).

شرح التصنيفات التلفازية

تجـدون فيما يلي التفسـير الرسمي للتصنيفات التلفازية بحسـب ما أصدرته هيئة الإرشاد الأسري في شؤون التلفاز:



الأطفـال جميعـاً: صمم ليكـون مناسـباً للأطفال كافة. فسـواء كانت المواضيـع والعناصـر في هـذه البرامج رسـوماً متحركـة أو حقيقية، فهي مصممـة بشـكل خـاص لتناسـب مشـاهدين صغـاراً تماماً، بمـن فيهم الأطفـال مـا بـين 2-6 سـنوات. ولا يتوقع من هـذه البرامـج أن تحوي ما يخيف الأطفال.



موجه إلى الأطفال الأكبر سـناً: إنها برامج تناسب أطفالاً من سن السابعة فأكثر. وقد تكون مناسبة أكثر لأطفال قد اكتسبوا المهارات التنموية اللازمة للتمييز بين المواقف الواقعية ومواقف التظاهر. قد تحوي مواضيع وعناصر هذه البرامج عنفاً وهمياً معتدلاً، أو عنفاً كوميدياً، أو قد تخيف الأطفال ما دون سن السابعة. لذلك فقد يرغب الأهل بتدبر مدى ملاءمة هذه البرامج لأطفالهم الأصغر سناً.



موجه إلى الأطفال الأكبر سـناً- العنف الخيالي: يسـتدل على هذه البرامج الـتي قد تحوي عنفاً خياليـاً أكثر كثافة، أو مواقـف قتالية أكثر من غيرها من برامج هذه الفئة، بالرمز TV-Y7-FV.



عامـة المشـاهدين: يجد معظـم الأهـل أن هـذه البرامج مناسـبة للأعمار كافـة. وعلـى الرغـم مـن أن هـذا التصنيـف لا يشـير إلى وجـود برامج مخصصـة للأطفـال، فإن غالبية الأهـل قد يتركون أطفالهم ليشـاهدوا

هـذه البرامـج دونما رقابة. قد تحـوي القليل من العنف أو اللغة القاسـية أو الحـوارات أو المواقـف ذات الـدلالات الجنسـية، وقـد تخلو مـن أي منها كذلك.



يفضـل إشـراف الأهـل: تحوي هـذه البرامج مـوادَّ قد يجدهـا الأهل غير مناسـبة للأطفـال الصغار. وكثير من الأهل سـيفضلون مشـاهدتها مع أطفالهم الصغار. فقد يسـتدعي الموضوع نفسـه إشـراف الأهـل و/ أو قد يحـوي البرنامـج واحـداً أو أكثر ممـا يلي: عنفـاً متوسـطاً (V)، بعض المواقـف الجنسـية (S)، اسـتخداماً غـير متكـرر للغة فظـة (L)، أو بعض الحوارات الإيحائية غير المحتشمة (D).



تسـتدعي حذراً شـديداً من الأهل: تحوي هذه البرامج بعض المواد التي قد يجدهـا كثير من الأهل غير مناسـبة للأطفال دون سـن الرابعة عشـر. وهنـاك حث شـديد للأهل على ممارسـة عنايـة فائقـة في مراقبة هذه البرامـج، والحـذر من أن يشـاهدها من هم دون سـن الرابعة عشـرة دون عنايـة. إذ تحـوي هذه البرامج على واحد أو أكثر مما يلي: عنفاً كثيفاً (V)، مواقـف جنسـية مكثفة (S)، لغـة فظة مركـزة (L)، أو حوارات كثيفة إيحائية غير محتشمة (D).



للمشـاهدين الناضجين فقط: صممت هذه البرامج للمشـاهدين البالغين حصراً لذا فهي غير ملائمة للأطفال ما دون سـن السـابعة عشـر. تحوي هـذه البرامج علـى واحد أو أكثر ممـا يلي: عنفاً مصـوراً (V)، فعاليات جنسية فاضحة (S)، لغة بذيئة غير مهذبة (L).

❖ المصدر: www.fcc.gov مجلس مراقبة الإرشادات الوالدية التلفازية.

الآن وقد فهمت التصنيفات فقد قطعت نصف الطريق! بقي النصف الآخر وهو كيف تطبقها. وهذا تماماً عمل رقاقة الحماية: إخبار تلفازك بما هو مسموح عرضه، وبما هو ممنوع. للأسف ليس باستطاعتي أن أقودك في عملية تفعيل رقاقتك، لأن لكل تلفاز وجهاز استقبال كيبل له طريقة مختلفة لتشغيل فلتر أو مصفاة الحماية. ومهما يكن من أمر، فإن كل جهاز تلفاز تم تصنيعه بعد عام ٢٠٠٠ قادر على إجراء حجب على المواد. وبالنسبة لغالبية مستقبلات الكيبل الرقمية، فيفترض وجود خيار في القائمة التي تظهر ما إن تضغط على زر القائمة، يأخذك إلى حماية الأهل. وهو زر تجده على أجهزة تحكم معظم أجهزة التلفاز.

إن قائمة حماية الأهل تتيح لك أمرين: أولهما، اختيار مستوى التصفية، وهو نظام مباشر الاستخدام، يحجب تلقائياً كل برنامج ذي تصنيف أعلى من السوية التي كنت قد حددتها. على سبيل المثال، إن اختيارك لتصنيف TV Y7 لن يعمل على تصفية البرامج التي في مستوى TV Y7 بل أيضاً كل مستوى من التصنيف أعلى من TV Y7 وصولاً حتى TV MA. الأمر الثاني الذي تقوم به القائمة هو أن تطلب إليك رمزاً سرياً. والغرض منه أن يمنع أطفالك من المسارعة إلى إطفاء نظام التصفية الذي وضعته. وانتبه إن كان طفلك قد ولد في ٢٠٠٢/١٠/١٠، ألا تضع رمز الحماية: ١٠١٠٠٢!

المشكلة الكبيرة التي قد تصادفك مع رقاقات الحماية هي أنها غير قادرة على التمييز. بحيث أنك عندما تود أنت وزوجك الاسترخاء ومشاهدة آخر ما أعد للتلفاز من أفلام تشويقية، ستجد على الأرجح أنها محجوبة عنك أنت أيضاً! إنما بقليل من الخبرة، يصبح الأمر طبيعياً بالنسبة لك أن تدخل رمزك السري عند الحاجة إليه.

تكمن روعة نظام التصنيف مع رقاقات الحماية، في أنك بوصفك أحد الوالدين، تحتاج لضبطه مرة واحدة فقط (حسناً على الأقل مرة كل عدة سنوات، حيث سترغب في تعديل التصنيفات المسموح بمشاهدتها).

التصنيفات الواجب استخدامها تبعاً للفئة العمرية

حتماً أنت الحكم بالنسبة لما تسمح لأطفالك بمشاهدته. ولكن إليك بعض الخطوط العامة النموذجية التي بإمكانك الاقتداء بها:

للأطفال دون سن الثالثة:

لا شيء.. من غير المفروض أن يشاهدوا أي شيء في هذه السن لا تعرف عنه مسبقاً.

من سن ٣ إلى ٦ سنوات:

TV-Y7، سيحجب هذا أي برامج موجهة لمن هم في سن السابعة فأكثر. ولكن الأطفال الأكبر سناً قد يسمح لهم بمشاهدة بعض من هذه البرامج. إنه قرار راجع لتقديرك الشخصي عن الحين الذي يستطيع فيه طفلك التعامل مع تصنيف أعلى. إضافة إلى أنه قرار لا يسهل اتخاذه لوجود بعض الغموض بين برامج TV-Y7 وبرامج المستوى التالي TV-G، والتي توصف بأنها تصنيف يصلح بأنه يشاهده الجميع حتى الأطفال الأصغر سناً.

من سن ٧ إلى ١٠ سنوات:

TV-Y7 إلى TV-PG، مرة أخرى ما من قواعد مطلقة تحكم ما إذا كان عليك أن تسمح لأطفالك بمشاهدة البرامج التي تصنيفها حتى TV-G أو TV-PG أيضاً. إنني شخصياً أوصي بالالتزام بتصنيف G حتى يصبح عمر طفلك من رتبتين (أي من ١٠ سنوات فما فوق).

من سن ١١ إلى ١٣ عاماً:

TV-PG، يمثل هذا التصنيف العام حداً جيداً للأطفال في مرحلة ما قبل المراهقة.

من سن ١٤ إلى ١٨ عاماً:

TV-14، إن السنوات المبكرة من هذه الفئة العمرية يجب أن تبقى منحصرة بتصنيف TV-14. السنوات اللاحقة قد يناسبها TV-MA أيضاً. ففي النهاية لقد أصبحت الآن تتعامل مع راشدين يافعين قادرين (في كثير من الحالات على الأقل)، بل وحتماً مستعدين (وبتعبير أدق يطالبون) بأن يختاروا طريقهم بأنفسهم.

فـإذاً لمَ لا يسـتخدم مزيـد من الأهـل رقاقات الحمايـة؟ إن معظمهم لا يفعلـون لأَنهـم في الحقيقـة لا يفهمون التصنيفات. وآخـرون لم يدركوا وجود الرقاقة أصلاً. ولكن في عالم اليوم حيث التلفاز الرقمي ومسـتقبل الكيبـل الرقمي، بات اسـتخدامها أسـهل من أي وقت مضى. فمسـتقبل الكيبل الخاص بي فيه إمكانية الحد من عرض البرامج وفق التصنيفات التلفازية والسـينمائية. وأيضاً بإمكانك برمجتـه على نحو لا يُظهر قنوات البالغـين في ميـزة العرض الأولي. في غضون ثـلاث دقائق بإمكانك إعداد التلفاز لتحمي أطفالك لسنوات قادمة. من بين كل النصائح التي سيقدمها لك هذا الكتاب، ما من نصيحة يمكن أن تكون أكثر بساطة ويسراً.

الاستمرار في التعلم من التلفاز:

كما هو حال أطفال ما قبل المدرسـة، فهناك الكثير مما يمكن أن يتعلمه كذلك أطفال المرحلة الابتدائية المبكرة من التلفاز. إذ تظهر الأبحاث باستمرار عدداً من الآثار مماثلة لتلك التي سبق تغطيتها في الفصل السابق. فبسبب العنصر المرئي، والإمكانية التفاعلية اللذين يقدمهما، بات للتلفاز القدرة على «ترسـيخ المعلومة» بشـكل فعال أكثر من القـراءة. بمعنى أن للتلفاز الغلبة باستمرار على القراءة فيما يتعلق بالقدرة على التذكر. وليس معنى هذا أنني أدعوك لأن تسـحب الكتاب مـن بين يدي طفلك، وتزرعه أمـام التلفـاز! فالأبحاث التي تناولت الصلة بين القـدرة العالية على القراءة والعـدد الكبير من السـاعات المخصصة للقراءة، وبين الإنجاز الدراسـي والمهني وجدت أنها صلة قوية راسخة.

ومـع ذلك فبمقـدور التلفاز أن يعلّـم الكلمات والمفـردات والحروف. إذ بينمـا يكبر أولادك فإنهم يكتسـبون أكثر فأكثـر القدرة على تعلّم

الأشـياء من قبيل الكلمات والحروف من التلفـاز. وهناك وفرة في البرامج التي تعزز عملية القراءة ومهارات استخدام المفردات لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المدرســة وأطفال مرحلة المدرســة الابتدائية. لذا فتحرَّ هذه البرامج، ولتحــرص على أن تكون البرامــج التلفازية التي يتابعها أبناؤك تحتوي مثل هذه البرامج.

تعلم القراءة... من خلال التلفاز؟

إن أجهزة التلفاز الحديثة جميعها قادرة على استقبال ترجمة نصية للحوار الشفهي والـتي يتــم عرضها على الشاشــة. وقــد قام الباحثــون في تجربــة لينيبيرجر المثيرة للاهتمــام باختبــار ما إذا كان وجود هــذه الترجمة خلال برنامــج أطفال تلفازي نمطــي، يطــور مــن قابلية تمييز الكلمــات. وقد وجــد أيضاً أن الترجمــة تزيد من «تركيــز» الأطفال، متيحة الفرصة أمامهم لاسـتعادة وتذكر عناصر معينة من العرض تتصف بأنها مركزية ومتعلقة بالفكرة المركزية وبالشخصيات، بالمقارنة مع عناصر أقل مركزية (في المثال الذي تم ذكره، كان العنصر الأقل مركزية هو ما إذا كان «لون أذني الأرنب أحمر»).

يمكــن للأهل أن يفعّلوا ميزة الترجمة والشــروح في أجهــزة التلفاز لديهم، أو بدلاً من ذلك أن يتخيّروا البرامج التي تحوي كماً كبيراً من تلك الترجمات. ومنها على سبيل المثــال: اقــرأ بين الأســود- Read Between the Lions، ولماذا الخارقة- Super Why، وغيرهــا من البرامج التي تســتخدم الشــروح لتتيح لمتفرجيها قــراءة الكتاب أثنــاء تقدم أحــداث القصة، كمــا أنها تحوي عناصر تســتخدم فيها تلك الشــروح لتعليم الأحرف والتهجئة.

وقـد علمت كذلـك أنه يمكن للأطفـال في مرحلة ما قبل المدرسـة اكتساب أثر إيجابي من السلوك الاجتماعي من التلفاز. ولكن ما هو كم السـلوك الاجتماعي المتوفِّر فيما يعرضه التلفـاز؟ وكيف يمكن مقارنته مع السـلوك اللا اجتماعي؟ لقد تبين، علـى الأقل في البرامج المبكرة منذ السـبعينيَّات، أن هنـاك كماً متعادلاً من الجانبـين. ومع ذلك، فقد عثرت دراسـة أحدث عهداً أن أربعة بالمئـة فقط من برامج الأطفال العنيفة تحتوي على رسائل مضادة للعنف كذلك. في حين وجدت أخرى أن كم المضامين الموجهة للسـلوك الاجتماعـي في برامج الأطفال التلفازية قد تنامت بنسـبة ٢٥٪. المهم في الأمر، أن كم العنف الموجود في التلفاز ليس وحده المقياس، بل ما إذا كان لذلك العنف عقاب قابل للتبري، أو أي رسالة مناهضة للعنف بشـكل مـا. وبهذا يتعلم الأطفال السـلوك الاجتماعي من خلال مشـاهدة النماذج الجيدة، وكذلك النماذج السيئة التي يتم تصحيحها مباشرة.

ما المقدار الذي يعد أكثر من اللازم؟

عندما يكون الحديث عن التعرض للتلفاز بشكل عام، فهناك بالطبع المحاذيـر المعتـادة التي عرفتها من الفصل السـابق. بدايـة، لا تثقل كاهل أطفالك بالسـماح بكثرة تعرضهم للتلفاز، أربع ساعات أكثر بكثير مما ينبغي. فحقيقة لقد ربطت بعض الدراسـات بين مشاهدة التلفاز بإفراط في مرحلة الدراسـة الابتدائية وحتى المتوسـطة، وبين النتائج الدراسية المتدنية في المدرسة. على الرغم من أن دراسات أخرى أكثر صرامة، وجدت أنه ما من صلة بين الإفراط في مشاهدة التلفاز، وبين التحصيل العلمي.

ومع ذلك، فقد يكون السـبب في نقص التأثيرات مرده إلى ما يدعى بـ «تسويد التوجه». معنى هذا، بكلمات بسيطة، أن التلفاز يجعل من الأطفال

المتنوعين والمختلفين عن بعضهم في الأصل، متشابهين فيما بينهم. وبشكل خاص فالتعرض المفرط لبرامج التلفاز ينحو إلى رفع أهلية الأطفال المنتمين إلى أسر منخفضة الدخل، في حين أنه يخفض من درجات تحصيل الأطفال الناشئين ضمن أسر مرتفعة الدخل. وليس لدى الباحثين أسباب جازمة يرجعون إليها هذا الوضع، رغم اعتقاد بعضهم بأن أطفال البيئات المترفة يميلون إلى صرف وقت فراغهم بالقيام بنشاطات تعليمية على نحو أكبر من أطفال البيئات منخفضة الدخل. وعليه فإن كل ذلك الوقت الذي يمضونه أمام شاشة التلفاز يكون على حساب النشاطات التعليمية لأطفال ذوي الدخل المرتفع، في حين أنه وسطياً يزيد من النشاطات التعليمية لأطفال ذوي الدخل المنخفض من خلال البرامج التعليمية التي يبثها وغيرها من أساليب التعلم عبر التلفاز. وأياً كانت سوية الدخل في منزلك، فما من عذر لمشاهدة التلفاز بكثرة. وأفضل الاستراتيجيات التي يمكنك اتباعها هو السماح به باعتدال، مع التركيز على أكثر البرامج اتصافاً بأنها تعليمية.

كذلك نوعية البرامج مسألة ذات شأن. وإني لا أتحدث هنا عن حماية طفلك من العنف المعروض على التلفاز وحسب، بل عن ضرورة إلمامك بما يشاهده ولدك من برنامج لآخر، بهدف مضاعفة فرص التفرج على التلفاز التعليمي وخفضها بالنسبة للبرامج غير التعليمية حتى السوية الدنيا. وأكرر أن ملازمة الطفل أثناء مشاهدة التلفاز تُعين على هذا إلى حد كبير. ولكن حتى من دون مشاركتك المشاهدة، فإن غالبية الأطفال في هذه السن قد باتوا قادرين أكثر بكثير على التعلم من التلفاز بغض النظر عن تفاعلك معهم لهذا الغرض. فإذاً، دعهم يشاهدوا التلفاز، إنما ليس كثيراً، وفقط النوع الصحيح من البرامج.

متى وكيف نقدم الأخبار إلى أطفالنا؟

إحدى جوانب التلفاز التي تسبب الحيرة للأهل أحياناً هي الأخبار. فالأخبار تُطلع الناس على العالم الأوسع وتعرض وقائِعه. وفي حين أنه بمقدورها التأكيد على القضايا التي يواجهها المجتمع المتحضر والديمقراطي، غير أنها، المحلية منها بشكل خاص، يمكن أن تحوي من ناحية أخرى الكثير من العنف، بعضه مصور، وكله واقعي إلى درجة كبيرة جداً.

البرامج الحية= جيدة؛ البرامج الكرتونية= سيئة؟

إن الاعتقاد «الشائع» عن برامج التلفاز، أن تلك التي تحوي «شخصيات حية» (سواء كانت كذلك بشكل مطلق، أو بمعظمها) مثل حي السيد روجر، شارع سمسم، وآل ويغلز تعد بالأصل أفضل من البرامج الكرتونية. إنما الجدير بالملاحظة هو أنه في غالبية الدراسات لم يكن شيئاً متأصلاً في البرامج الكرتونية هو ما جعلها مرغوبة على نحو أقل. بل ما حدث أن العروض الكرتونية التي وقع عليها الاختيار مثلت الجانب السيء بسبب عوامل أخرى. فمثلاً، إن أراد الباحثون سبر التلفاز الحافل بالعنف مقارنة بذاك الذي لا يحوي عنفاً، فإنهم على الأغلب سيقارنون البرامج «المعتادة» التي لا تحوي عنفاً مثل حي السيد روجر وسواه، مع البرامج الكرتونية النمطية التي تحوي عنفاً كالرجل الوطواط أو سلاحف النينجا.

لكن البرامج الكرتونية ليست بحد ذاتها سيئة على نحو فطري. فبعضها ذو قيمة تعليمية عالية فعلاً وبوضوح. برنامج فتاة الكلمات- Word Girl هو عرض يحوي «فتاة خارقة» لكن الشخصية الرئيسة فيه تركز على تعلم المفردات. والبرامج التعليمية الأخرى هي تعليمية بالدرجة نفسها، وتملك في بعض النواحي ميزة إضافية لكونها رسوماً متحركة، الأمر الذي يعتقده البعض أكثر جاذبية للأطفال من البرامج ذات الشخصيات الحية.

لقد أظهرت الدراسات أن العنف الحقيقي هو أمضى وأبعد أثراً بكثير من العنف المتخيّل. أذكر بوضوح عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، قمت بزيارة إلى متحف حربي، حيث كان يُعرض فِلْمٌ يصوّر أحد الحروب. وقد استرعى انتباهي حينها سقوط الجنود على الأرض بطريقة غير طبيعية على نحو بيّن. لقد كانوا في الحقيقة يتعرضون لإطلاق النار. وعلى الرغم من أن الفِلْم كان غير واضح وتم تصويره من على بعد، إلا أن الأثر الذي تركه في نفسي لم يكن ليضاهيه أي مشهد عنف تلفزيوني أو سينمائي آخر كنت قد رأيته. هؤلاء الأشخاص كانوا حقاً يموتون.

لا شك بأن الأخبار على التلفاز نادراً ما تعرض عنفاً مصوراً بهذا الشكل. فما نراه نمطياً هو الآثار الكارثية للأحداث. ولكنها أحداث واقعية، ولنواجه الأمر، إن هذا لفرق شاسع. فإذاً، هل تُعلِّمُ الأخبار الأخلاق المدنية الحسنة للآخرين، وتلقي الضوء على الهموم العالمية، أم أنها تروّع أطفالنا وتدفعهم إلى الظن بأننا نعيش في عالم خسيس مترع بالعنف؟ (والأشياء التي تثير الفزع في الأخبار لا تنتهي عند آخر الأخبار المحلية، بل تتعداها إلى أخبار الفيضانات والأعاصير والإرهابيين وغيرها).

هل يشاهد الأطفال الصغار الأخبار المسائية؟ بحسب بيانات ذكرتها مؤسسة كايسر الأسرية، يشاهد ثلثا الأطفال تقريباً الذين تتراوح أعمارهم بين الحادية عشر والسادسة عشر الأخبار في أمسية عادية من أيام الأسبوع. وتنخفض النسبة بحوالي أربعين بالمئة بين أطفال المرحلة الابتدائية. غير أن قرابة ثلثي أطفال المدرسة الابتدائية يشاهدون الأخبار على الأقل «أحياناً» إن لم يكن بشكل يومي.

وعلى نحو مماثل نجد أن ستاً وستين بالمئة من الأطفال الأكبر (أي من هم بين الثامنة والثانية عشرة) يخبرون عن أن الأخبار تثير لديهم مشاعر الفزع أو الانزعاج في بعض الأحيان. وفي دراسة غطت أثر انفجار مكوك الفضاء تشالنجر Challenger على الأطفال، تم التوصل إلى أن أطفال المرحلة الابتدائية أمضوا ما يزيد على الأسبوع وهم مضطربون نفسياً بتأثير الحادثة.

وهناك مثال آخر أسوقه هنا يتعلق بدراسة أجراها سميث وويلسون إضافة إلى غيرهم من الباحثين عن الأفلام التي تغطي الحروب. فقد زعم قرابة نصف أهل الأطفال الذين هم في الصف الأول وحتى الحادي عشر، أن أطفالهم قد أصابهم الانزعاج أو الرعب من التغطية الإخبارية لإحدى الحروب.

هناك مرحلة يبدأ فيها خوف الأطفال من المخاطر الخيالية بالتراجع (كالوحوش وغيرها)، ليصبحوا أكثر اهتماماً بالمخاطر الواقعية. يحدث هذا التحول لدى معظم الأطفال في وقت ما في منتصف سنواتهم المدرسية الابتدائية. وعلى نحو مماثل، بينما يطور الأطفال من قدراتهم الإدراكية، فإن التواصل الشفهي يحتل مكانة أكثر أهمية. وقد تم التوصل إلى أن الأطفال الصغار يحتاجون إلى العناصر البصرية الموجودة في الأخبار التلفازية لتعرض لهم المخاطر فيخشونها، في حين أن هذا الجانب يتضاءل لدى الأطفال الأكبر سناً. الأمر المثير للاهتمام هو أن أطفال المرحلة الابتدائية الأصغر سناً تستثير مخاوفهم على الأغلب قصص الكوارث، في حين أن أطفال تلك المرحلة الأكبر سناً كثيراً ما تخيفهم قصص الجرائم.

وبالطبع فقد وجدت الدراسات أن الأخبار لا يقتصر أثرها المروع على الأطفال وحسب، بل إنها تبث القشعريرة في نفوسنا نحن الكبار على حد سواء. لذا فإن اللجوء إلى «إمكانية إثارة الذعر في النفس» بوصفه

مقياساً معيارياً للحين الذي يمكن فيه البدء بتعريض الأطفال للأخبار، ليس بالوسيلة الفاعلة المرجوة. لذلك فإننا بحاجة إلى مُعين آخر نرتكز إليه في اتخاذنا لهذا القرار، وأفضل نقطة ننطلق منها هي اكتشافنا متى يفهم أطفالنا حقاً أن الأخبار معرفية. قرابة منتصف المرحلة الابتدائية، يغدو معظم الأطفال قادرين على التمييز بين صورة المذيع الإخباري وصورة الممثل. كما أنهم في حوالي هذه السن يضحون قادرين على تحديد الهدف من الأخبار على خلاف بقية البرامج. وأخيراً، فإن الأطفال الأكبر سناً لديهم قدرة أكبر على مناقشة الأخبار مع ذويهم على نحو ملائم، مما يعني أنهم قد وعوها بقدر كاف، وعالجوا في أذهانهم كماً لا بأس به منها، كان كافياً للاحتفاظ بالمعلومات المقدمة إليهم، ومن ثم إيصالها للآخرين. وكما قد يتوقع المرء، فإن أطفال المرحلة الابتدائية الأكبر سناً يملكون قدرة عالية على تذكر قصص الأخبار بالمقارنة مع الأطفال الأصغر سناً.

تزودنا الأبحاث التي أجريت عن تقديم الأخبار للأطفال باقتراحات بيّنة عن كيفية القيام بذلك بصورة فعّالة. فإليكم بعض النصائح:

١. اشرح ماهية الأخبار: من المهم أن نلاحظ أنه بالنسبة لغالبية الأطفال تشكل الأخبار واحداً من أولى أنواع المشاهدة غير المقصودة للتلفاز التي يتلقونها. لذا فإن غالبية الأطفال يشاهدون الأخبار دونما إدراكٍ لماهيتها بداية، أو للسبب الذي يجعل من الأم والأب يتابعانها. لذا فبادرهم بالتفسير بأن أهمية الأخبار تنبع من أن البشر يعيشون في مجتمعات مختلفة.

٢. لقح أطفالك ضد العنف الموجود في الأخبار: اشرح لطفلك باكراً أن الأخبار تتحدث في بعض الأحيان عن أشياء سيئة قد تحدث في

المجتمع. وأن العالم مملوء بأشخاص طيبين يقومون بأفعال حسنة، غير أن الأخبار تميل إلى نقل أخبار الأشخاص السيئين وأفعالهم المشينة كي ندرك كيف يتوجب علينا النهوض بمجتمعنا. اشرح لهم أن الجرائم التي سيرونها على الأغلب لن تحدث قط في بيتهم (وسيكتشفون بأنفسهم أن الأمر ليس كذلك كلية بأي حال!).

٣. أخرج خريطة: من النشاطات الأخرى الممتعة التي يمكن القيام بها مع الأطفال عند مشاهدتهم الأخبار هو أن نريهم على الخريطة الأماكن التي تقع فيها الأحداث. يمكن لهذا أن يمنحهم اهتماماً أكبر بالعالم الأوسع، إضافة إلى تنمية اهتمامهم بالأخبار نفسها.

٤. شاهدوا الأخبار بتفاعلية: لأن الأخبار تشكل واحداً من برامج «البالغين» الأولى التي يشاهدها الأطفال، فمن المهم أن تشاهدوا معهم على نحو تفاعلي، لأنها ستستوجب من التفسيرات والشروح أكثر بكثير من برامج الأطفال النمطية. ومرة أخرى، حاول أن تعلمهم كيفية مشاهدة الأخبار بطريقة تجعلها غير مثيرة لفزعهم وتزودهم بتقدير أكبر للعالم الخارجي.

مقترحات لأطفال المرحلة الابتدائية:

في الفصول الماضية تعلمنا متى نقدم التلفاز لأطفالنا، ومم نحذر، وكيف نجعل أطفالنا يشاهدون التلفاز بتفاعلية وليس وحدهم في غرفهم الخاصة. وفي هذا الفصل ازددنا معرفة حول الأثر الأكثر ضرراً للتلفاز على الإطلاق، ألا وهو العنف والعدوانية. كما تبيّنا محاسن التلفاز فيما يتعلق بأثره على السلوك الاجتماعي، واكتشفنا الطريقة المناسبة لتقديم

الأخبار. باختصار، إن العبرة من هذا الفصل هي كيفية العرض. فالمهم ليس الكم وحسب، بل النوع أيضاً. والخبر الرائع أنك قادر على التحكم بالنوعية إلى حد بعيد في غضون خمس دقائق وحسب من وقتك، بأن تتعلم كيفية استخدام رقائق الحماية الـ V chip الموجودة في تلفازك، والانتفاع منها ومن تصنيفات البرامج التلفازية. حقيقة لا يسعني أن أشدد بشكل كاف كم أنه أمر سهل وفي الحين ذاته عظيم الأثر في الحد من عروض التلفاز الرديئة. كما قد علمنا أن البرامج الموجودة لربما قد تكون مناسبة لأولادك رغم أن تصنيفها أعلى من ذاك الذي تستخدمه عموماً على رقاقتك. أو أن تكون من برامج البالغين، كما هو الحال مع الأخبار. وكما هو شأن الفصول السابقة من هذا الكتاب، كذلك نجد أن العامل الأكثر أهمية لتخفيض الأثر المؤذي لأكثر برامج البالغين هو الوساطة، أي بمعنى مشاهدة بعض البرامج مع ولدك ووضعها في سياق مناسب أثناء المشاهدة. وفي مراجعة سريعة، إليكم بعض استراتيجيات الوساطة، التي من شأنها أن تترك أثراً إيجابياً بالغاً لدى طفلكم:

١. تصويب السلوك الخطأ: احرص على أن تعلن بوضوح لأطفالك أن سلوكاً من هذا القبيل لن يكون مقبولاً في منزلك.

٢. إعادة تعديل تكرار السلوك السيء والأخبار: أخبر أولادك أن مثل هذه السلوكيات نادراً ما تحدث في العالم الواقعي؛ لأن الناس في الحياة الواقعية ينزعون لأن يكونوا لطفاء، ولديهم أسر تهتم بهم، فيتصرفون بشكل يتسق مع هذه الحقائق.

٣. عندما يشعر أطفالك بالخوف، عاملهم على أنهم أطفال: لا تصدنّهم بخشونة بالمقولة الروتينية «تصرفوا وكأنهم بالغون».

فالاستراتيجيات المذكورة في الفصل السابق لا تزال تنطبق على أطفال المرحلة الابتدائية. أغدق عليهم من عاطفتك، ضمهم بين ذراعيك، أو تفاعل معهم على نحو يفسح المجال لتصريف هرمونات التوتر من أجسامهم الغضة وعقولهم الفتية.

آه نعم، لا تنسَ رقاقة الحماية!

الحاسوب وشبكة الإنترنت

لقد حانت اللحظة التي أصبح فيها ابنك أو ابنتك في السابعة من عمرهما، وباتا يرغبان بالدردشة مع أصدقائهما عبر شبكة الإنترنت! يا لهذا العالم إلى أين يتجه بنا؟

حسناً، في الحقيقة إنه لا يتجه إلى أي مكان. كل ما هنالك أن العالم قد تغير، وأنك أنت الآن من يكافح لأن تبقى على اتصال مع ما يجري من حولك. المشكلة تكمن في أن الأطفال لا يعانون من هذه المشكلة. لقد توجب عليك أن تتعلم كيفية فهم الإنترنت، وفي الحقيقة تكشف الأرقام أن الكثير منا لا يزالون يجهلونها. لكن بالنسبة لأولئك الذين ترعرعوا وهم منغمسون في التقنيات الحديثة، فقد باتت بالنسبة لهم طبيعة مكتسبة. ففي حين أننا نحاول فهم كيف نشغل أجهزة الآي فون الخليوية الخاصة بنا، يفككها أولادنا في محاولة لفهم كيف تعمل!

إن معرفة الأطفال بالإنترنت وقدراتهم تتنامى على نطاق واسع. وبكلمات ينقلها المؤلف تسين يان عن طفل في الخامسة من عمره، يصف الإنترنت بقوله: «لدى الإنترنت حاسوبان بداخلها... فيها دمى وألعاب. إنها لن تؤذيك». هذا

المؤلف نفسه وجد أنه سرعان ما تتغير وجهة النظر هذه، في عدد الحواسيب المتصلة ببعضها، إضافة إلى ما إذا كانت ستؤذيك أم لا.

لا تتوافر الكثير من المعلومات حول أطفال المرحلة الابتدائية واستخدامهم للإنترنت. ولكن استناداً إلى بيانات شملت أطفالاً تتراوح أعمارهم بين الرابعة و السادسة من العمر، تبين بوضوح أن نصف الأطفال على الأقل، بين السابعة والتاسعة من العمر، يستخدمون الإنترنت.

كما شاهدنا في الفصل الماضي، إن غالبية الأطفال من الرابعة وحتى السادسة من العمر يستطيعون استخدام الفأرة، وقد أمضوا وقتاً على الحاسوب بمفردهم. ولكن ماذا عن الإنترنت تحديداً؟ حوالي ثلث الأطفال بين الرابعة والسادسة قد زاروا موقعاً إلكترونياً للأطفال بمفردهم. في حين أن نسبة أقل قد استخدمت البريد الإلكتروني بمساعدة أحد البالغين.

وفي البيانات الصادرة عن دائرة الإحصاء الأمريكية، كانت هناك قفزة هائلة في استخدام الإنترنت ما بين أطفال السابعة وحتى التاسعة. قرابة خمسة عشر بالمئة من هذه الفئة العمرية قد دخلت الإنترنت في عام ١٩٩٧. و خلال الأربع سنوات اللاحقة وصلت هذه النسبة إلى مستوى يثير الذهول هو خمس وأربعون بالمئة. واليوم، وبفضل الإنترنت المتاح استخدامها في المدارس، ارتفعت هذة النسبة إلى حد بلغ خمساً وسبعين بالمئة.

لقد كشفت أبحاث على أطفال أكبر سناً (تتراوح أعمارهم بين التاسعة والتاسعة عشر)، أجرتها وزارة التربية الأمريكية، ما تعرفه على الأغلب سلفاً: أن الأطفال يفهمون الإنترنت، وهم يستخدمونها ببراعة تفوق بكثير معظم البالغين. مما يضع الأخيرين في موقع ضعف، لكونهم وباستمرار تتناقص معارفهم ومهاراتهم المتعلقة بالإنترنت وغيرها من وسائل

الاتصــال الإلـكترونية، كـالبريد الإلـكتروني، والرســائل الفورية وغرف الدردشــة. فشريحة واســعة من الأهل لا يرسمون حدوداً لاستخدام أولادهم لشــبـكة الإنترنــت ؛ لأنهم ببســاطة لا يــدرون كيفية القيــام بذلك، أو أن التقنيات الحديثة تبعث في نفوسهم الرهبة حتى من المحاولة.

وطبعاً هنا يأتي دور هذا الكتاب. فإضافة مرشحات (فلاتر) للإنترنت أمر سهل، وتتبع ما يراه أولادك على الإنترنت أيضاً بالسهولة ذاتها.

فتمامــاً كما هو الحال مع رقاقة الحمايــة في التلفاز، بات لدينا مثال آخر على أن درهم وقاية خير من قنطار علاج. فبضع خطوات تأتي بها لتجعل حاســوبك معداً لاســتخدام الأطفال، تضعك على طريق حماية أولادك من مخاطر الإنترنت.

لا ريب في أن تهيئتك لـ «مربّية حاسوبية» ترقب نشاط حاسوبك لا تمثل كل ما يتوجب عليك القيام به وحسب. غير أننا سنترك تلك المواضيع المتعلقة بضــواري الإنترنت[1]، التنمّر، حماية الهوية، الصور الإباحية، والإدمان على الإنترنت بشــكل عام، إلى مــا بعد، في فصول لاحقــة. فالتركيز في هذه المرحلة ينبغي أن يكون على الوقاية.

ماذا يفعل طفل في الثامنة من عمره على الإنترنت بأي حال؟

قد يكون من المفيد في البداية أن نناقش ما يفعله الأطفال في السنوات المبكرة من مرحلتهم الابتدائية على الإنترنت. وفقاً لما أورده المركز الوطني

١ـ ضواري الإنترنت: مصطلح منقول عن اللغة الإنكليزية (Online Predators)، يطلق على الأشخاص البالغين المستخدمين لشبكة الإنترنت، والذين يستغلون الأطفال والمراهقين غير الحصينين، عادة لأغراض جنسية أو غايات مسيئة غيرها.

للإحصاءات التربوية، وكذلك مؤسسة كايسر، فإن حوالي نصف عدد الأطفال الذين يدخلون الإنترنت في هذه السن، يستخدمون البريد الإلكتروني بمساعدة أحد الكبار. وتقريباً جميع أطفال هذه الشريحة العمرية يستخدمون الحاسوب، وإلى حد ما الإنترنت، لأجل الألعاب. إحدى التساؤلات التي يطرحها بعض الأهل، تتمثل فيما إذا كان الأطفال في هذه السن قادرين فعلاً على الطباعة على لوحة المفاتيح. في واقع الأمر، إن أطفال مرحلة ما قبل المدرسة بشكل عام يستطيعون فقط تمييز الأحرف على لوحة المفاتيح، وتهجئة حروف أسمائهم، ولربما عدد محدود من الكلمات الأخرى. وكلما لعبوا ألعاباً حاسوبية أكثر، كلما ازدادوا ألفة مع لوحة المفاتيح.

أما أطفال المرحلة الابتدائية المبكرة، من جهة ثانية، فقادرون على البحث عن ضالتهم والتقاطها على لوحة المفاتيح. ومع بلوغهم مرحلة ما قبل المراهقة، يكونون على الأرجح قد اعتادوا على أماكن الحروف الأكثر استخداماً. وفي سنوات ما قبل المراهقة، يضحي الأولاد أكثر براعة من خلال طباعتهم للفروض المدرسية، ومن خلال الإرشادات الرسمية في الطباعة التي يتلقونها في سنوات المرحلة المتوسطة، وحتى الثانوية.

فإذاً، إن أطفال المرحلة الابتدائية المبكرة قادرون، وبسويات مختلفة، على استخدام لوحة المفاتيح، بشكل كاف يمكنهم من استخدام الإنترنت بمستوى سطحي (أو أفضل من ذلك).

لسوء الحظ، هناك عوز في الفهم الرسمي لما يفعله الأطفال في هذه السن أثناء تواجدهم على الإنترنت؛ فحجم الأبحاث المجراة على الأطفال والإنترنت يبدأ مع سن التاسعة ويمضي قدماً حتى سن الثامنة والتاسعة

عشـرة. فـإذاً أيـاً كان مـا نفعله في هـذا الفصل، فالهدف منـه هو توعية الأهل، ليقوموا بالتالي بوقاية أولادهم من كل ما هو غير مناسب، مما قد يعترضهم صدفة، أو مما قد يقصدونه عن عمد.

إن ولـدك الذي هو في السـنوات المتقدمة من المرحلـة الابتدائية يعتقد سـلفاً أنه يلم باسـتخدام الإنترنت أكثر منك. وبالفعل فقد أظهرت دراسة شـاملة عن الأطفال في بريطانيا أن سـبعة بالمئة من الأطفال ما بين التاسعة والحادية عشـرة مـن العمر يعتقدون بأنهم «خبراء» في اسـتخدام الإنترنت، ووصف عشـرون بالمئة أنفسـهم بأنهم «متقدمـون» في ذلك المجال، وخمس وخمسـون بالمئة قالوا بأنهم «متوسطون». باختصار، اثنان وثمانون بالمئة من هـؤلاء الأطفـال يعتقدون أنهم علـى الأقل بارعون إلى حد ما في اسـتخدام الإنترنـت. بالمقابل نجد اثنين بالمئة من الأهل فقط هم من يعتبرون أنفسـهم خبراء، واثني عشر بالمائة متقدمين، وبشكل إجمالي، ست وسبعون بالمئة هـم من عدوا أنفسـهم ماهرين. عموماً، نجد أن الأطفـال أكثر حذقاً من الأهل، في كل ما يتعلق بالحاسوب تحديداً.

هناك اسـتفاضة في الحديث في الفصل القادم عما يفعله الأطفال على الحاسـوب. هناك أمـر مؤكد، أن أقلية بـارزة بين أطفال السـابعة وحتى التاسـعة يسـتخدمون الإنترنت بطرائق متعددة، بما فيها الرسائل الفورية، تصفح المواقع، الدردشـة، الألعاب، والموسـيقى. يحصل الأطفال عادة على خبرتهم الأولى على الإنترنت مع ذويهم. إذ غالباً ما يتم تقديمهم إلى الحاسوب في وقت ما بين الثالثة والسـابعة من العمر. إن هذه العوامل المتمثلة في السن الأولي الذي يتم تقديم الطفل فيه إلى الحاسوب، وبمقدار الدعم الوالدي، وبكمية الوقت الكلي الذي يصرف على الحاسوب، سوف تحدد الفروق في خبرات الحاسوب بين طفل وآخر. وغالباً ما تكون المواقع الأولى التي يدخل

إليها الأطفال عن طريق توجيه الأهل، هي المواقع الإلكترونية لبرامجهم التلفازية المفضلة، وهذا ليس بغريب. الشكل الآخر من «الاتصال الأول» بين الأطفال والإنترنت، عندما يوجههم الأهل إلى مواقع تهتم بشيء محدد كالحيونات أو القطارات.

إنما نموذجياً نجد أن التوجه الأكبر هو نحو مواقع البرامج التلفازية. ومن حسن الحظ أن النسخ الإلكترونية لهذه البرامج تفاعلية وتعليمية إلى حد بعيد. فهي تتضمن نشاطات في الرسم، وألعاباً بسيطة كالمطابقة والسباقات، وبالطبع معلومات إضافية عن البرنامج التلفازي. (مما يطرح مزيداً من التساؤل عما إذا كنا ندرب أطفالنا على أن يصبحوا عما قريب استهلاكيين أكثر من اللازم). وبعض البرامج تعرض وصلات إلى مواقع تعليمية أخرى.

فإذاً يتعرف العديد من الأطفال على الإنترنت عن طريق والديهم. في حين أن أطفالاً غيرهم كثيرين يتم تقديمهم إليها من خلال مدرسيهم ومدارسهم. وأياً يكن الأمر، فهم إن لم يكتسبوا مهاراتهم في المنزل، فسيكتسبونها في المدرسة على الأغلب (إن لم نقل بالتأكيد). ولكل صف دراسي مقاييسه الخاصة عن مهارات الحاسوب. فإن ألقيت نظرة على منهاج مادة الحاسوب في مدارس الولايات المتحدة الأمريكية، لوجدت أن طفلك على الأرجح يتعلم التالي:

- **في الروضة:** استخدام الفأرة، استخدام اليدين كلتيهما على الحاسوب، استخدام الرموز الخاصة على لوحة المفاتيح (كمفتاح التراجع وخلافه) الانتقال بين المفاتيح الأساسية، قيادة البرامج الحاسوبية الأساسية، والرسم على الحاسوب.

- **في الصف الأول:** حفظ واستعادة الوثائق، تطبيقات سطح المكتب الأساسية، فتح متصفح للإنترنت، القيام ببحث على الحاسوب، وطباعة الجمل الأساسية.

- **في الصف الثاني:** استخدام برامج الجدولة الأساسية، عروض وسائط الميديا المتعددة، قوائم المؤشرات والمواقع المفضلة على الإنترنت، وتدعيم مهارات الطباعة.

- **في الصف الثالث:** الطباعة حتى العشر كلمات في الدقيقة، الإدارة المتقدمة للملفات، دخول مواقع إنترنت محددة انطلاقاً من عناوينها، مهارات المعالجة الأساسية لملفات الوورد.

- **في الصف الرابع:** الاستخدام المتقدم للوحة المفاتيح (كمفاتيح الاختصارات والتشغيل السريع)، طباعة اثنتي عشرة كلمة في الدقيقة، استخدام المصادر الإلكترونية لإجراء البحث، استخدام البريد الإلكتروني، وسائل أمان الإنترنت، التصحيح الإملائي.

- **في الصف الخامس:** استخدام الماسحات الضوئية وآلات التصوير الرقمية، طباعة خمس عشرة كلمة، أخلاقيات الإنترنت، التعامل مع قواعد البيانات، البحث المتقدم على الإنترنت، المعالجة المتقدمة لملف الوورد.

- **في الصف السادس:** التعامل المتقدم مع الإنترنت ومع الملفات المحفوظة، طباعة عشرين كلمة بالدقيقة، معرفة لواحق الملفات للرسوم، والفيديو، إلخ. فهم آلية انتحال الأفكار والآراء، استخدام برامج المايكروسوفت أوفيس كافة.

- **في الصف السابع والثامن:** طباعة ثلاثين كلمة في الدقيقة، الاستخدام المتقدم للوحدات الملحقة بالحاسوب، الاستخدام المتقدم لمصادر الإنترنت.

في الحقيقة، يتعلم الأطفال من أقرانهم أكثر من أي مصدر آخر. وذاك الذي يتعلمونه، بالإضافة إلى مجموعة المهارات المحتملة التي ذكرناها أخيراً ، يتلخص في أمرين: ماذا يفعلون، وأين يتجهون. عندما كنت في الصف الثاني، أذكر بوضوح أني كنت أتعلم ما كان الأطفال الآخرون يشاهدونه على التلفاز، وأرغب بشدة في مشاهدة البرامج ذاتها. يتفاعل الأطفال بالطريقة نفسها اليوم، إلا أن الأمر بات لا يقتصر على التلفاز، بل تعداه إلى ألعاب الفيديو، والحاسوب، والإنترنت كذلك.

إنما هناك فرق بين تعلم أي البرامج يشاهد الطفل على التلفاز، وبين تعلم أين يتوجه على الإنترنت. أعني أن الإنترنت تتيح مجالات أوفر بكثير من قنوات التلفاز. إذ كما لا يمكن للأهل أن يقلّبوا في دليل التلفاز ليطلعوا على الأماكن التي يمكن أن يزورها ولدهم على الإنترنت، فإن وجود الملايين من الصفحات على الشبكة تجعل من وجود «دليل للإنترنت» أمراً مستحيلاً. أضف إلى أن الإنترنت تختلف عن التلفاز في أنه من خلالها يخبر الأطفال بعضهم بعضاً عن الأماكن التي بإمكانهم التواصل فيها مع أطفال آخرين (ومن الممكن مع بالغين كذلك).

فعلاً، تمثل الإنترنت موقعاً للعديد من قنوات الاتصال. وبالنسبة للأطفال، تعادل هذه الأمكان «نوادٍ افتراضية»، إما أن تنتمي إليها أو تصبح غريباً. ومن المدهش أنه حتى أطفال في سن السابعة يمكن أن ينجذبوا إلى هذه الأماكن.

شبكات التواصل الاجتماعية للأطفال:

هل أنت عضو في موقع الفيسبوك Facebook، أو ماي سبيس My Space؟ إن لم تكن كذلك فلا بد من أنك تحت ضغط شديد حتى لا تكون قد سمعت بها على الأقل. ولكن ماذا عن كلوب بينغوين ClubPenguin؟ نيكتروبوليس Nicktropolis؟ أو على الأقل ويبكينز Webkinz؟ تكون هذه الأسماء الثلاثة النوادي الأساسية لتلاميذ المرحلة الابتدائية المبكرة. في كل منها يتخذ الأطفال «تجسيداً» لهم، أي تمثيلاً افتراضياً يمكن لمن هم على الشبكة مشاهدته. الخيار المتاح في كلوب بينغوين هي بطريق ذي شكل ما. أما في المكانين السابق ذكرهما، فالخيارات أوسع وأكثر تنوعاً بكثير. في كل من هذه الأماكن، يمكن للأطفال أن ينشئوا غرفاً للدردشة خاصة بهم، وأن يلعبوا معاً ألعاباً حاسوبية مباشرةً على الموقع، ويكونوا جوهرياً رفاق لعب افتراضيين. وطبعاً فإن منتقدي وسائل الإعلام يقولون بأن رفاق اللعب الافتراضيين هم بدائل مثيرة للشفقة للرفاق الحقيقيين، وهذه وجهة نظر قد تكون محققة. وأياً يكن الأمر، فإن المسألة هنا تتعلق بأن هذه الأشياء موجودة فعلاً، ويمكن لطفلك بالفعل أن يجدها.

تشكل ويبكنز Webkinz ظاهرة جديدة يقوم فيها الأطفال بشكل أساسي بشراء دمية محشوة على شكل حيوان ما، يأتي معها رمز سري يستخدمه الأطفال على موقع ويبكنز الإلكتروني «ليتبنّوا» تلك الدمى على أنها حيواناتهم المدللة. ولديهم إمكانية بناء منازل لحيواناتهم المدللة في العالم الافتراضي الشبكي، وهم يلعبون ألعاباً حاسوبية ليراكموا من خلال الفوز بها «نقود كينز» كي يبتاعوا أشياء مختلفة لعالمهم الافتراضي، ولحيواناتهم المحشوة الواقعية أيضاً. كذلك موقع كلوب

بينغوين ClubPenguin يتيح بشكل مماثل مجالاً للعب ألعاب حاسوبية، يكافأ الفائز فيها بنقود يبتاع فيها أشياء لأكواخ الأسكيمو الافتراضية الخاصة بهم. وفي حال كنت تعتقد أن هذه المواقع لا تتمتع بالشعبية، فيكفيك أن تعلم أنه في عام ٢٠٠٦ ناهز عدد الزائرين المنفردين للموقع المليونين.

تتمتع غالبية هذه المواقع بمزايا أمنية مشددة، بما فيها الحوارات المعدّة (حيث يدردش الأطفال بأن يختاروا تكوين عباراتهم فقط من بين كلمات متاحة يمكنهم استخدامها)، المرشحات (الفلاتر)، العرفاء، وأشياء من هذا القبيل. تضع هذه الأشياء قيوداً بطريقتين: فهي تمنع الزائرين غير المرغوبين من الدخول، وتمنع الأطفال من وضع الكثير من المعلومات الشخصية أو المُهينة.

وبينما نجد أن هذه المواقع خالية من الجريمة، إلا أنها لا تخلو جميعاً من أمر واحد: الإعلان. ففي حين أن موقع كلوب بينغوين خال من الإعلانات، فالبقية من مثل نيكتروبوليس ليست كذلك.

في حين يعتقد البعض أن استخدام الأطفال للإنترنت بهذا الشكل أمر غريب وحتى مزعج، يرى الغالبية أن هذه المواقع غير مؤذية طالما أنها تستخدم باعتدال. وهي بالفعل توفر فرصاً للتعلم بشكل عام، وتصقل مهارات الكتابة والقراءة على الحاسوب بشكل خاص. قد يجد الجيل الأكبر بيننا الترابط الاجتماعي الشبكي عبر الإنترنت أمراً غريباً، لكن ما لا يمكنهم إنكاره هو أنه بالنسبة للأجيال الجديدة بات أمراً اعتيادياً.

إعداد بيئة إنترنت آمنة:

إنـي أنـوي أن أختـم الحديـث في هذا الفصـل عن الإنترنـت ببعض النصائـح عمـا يمكنكـم القيام به - أيهـا الأهل - لينتفـع أطفالكم من الإنترنت بطريقة فعالة.

في عام ٢٠٠٥، وجد مشروع (بيو إنترنت والحياة الأمريكية) أن أربعاً وخمسـين بالمئة من الأسـر التي لديها أطفال تتراوح أعمارهم بين ١٢ وحتى ١٧ عامـاً، تملك مرشـحات إنترنت مـن نوع ما. (المثير للاهتمام أن خمسـاً وعشـرين بالمئة فقط مـن المراهقين كانوا يعتقدون أن ذويهم يسـتخدمون المرشـحات. ومعنى هـذا أنه إمـا أن الأبناء ليس لديهم فكـرة عن الأمر، أو أن الأهـل يراوغـون بالأرقام التي يعطونها كي يظهروا بمظهر حسـن). واسـتناداً إلى مزيد من الأبحاث، فقد وجد أن نسبة قليلة وصلت إلى الثلث فقط من أهالي الأطفال الذين تراوح أعمارهم بين السـنة الواحدة والسابعة عشـر، يملكون مرشـحات للإنترنت. وطبعاً بعد إجراء مسح تبين أن نسبة الثلاثـة والثلاثـين بالمئة ممن وضعوا المرشـحات، هم أولئـك الأكثر قلقاً حيال التعرض للمضامين الجنسية. بالإضافة إلى أنهم يميلون إلى عدم الثقة كثـيراً فيما يفعله أبناؤهم علـى الإنترنت، وهم بصورة عامة الأكثر فهماً للإنترنت بين الأهل جميعاً.

إن أخذنـا بعين الاعتبار المخاطر التي تفرضهـا الإنترنت على أولادنا، بمـا فيها ضـواري الإنترنت وسـرقة الهوية والصور الإباحيـة الخليعة، على سـبيل المثـال لا الحصـر، نجـده أمـراً لا يصـدق أن ثلث الأهالـي هم من يرشـحون محتوى الإنترنت، وحتى نسـبة أقل منهم هي التي تراقب المواقع التي يقصدها أبناؤها.

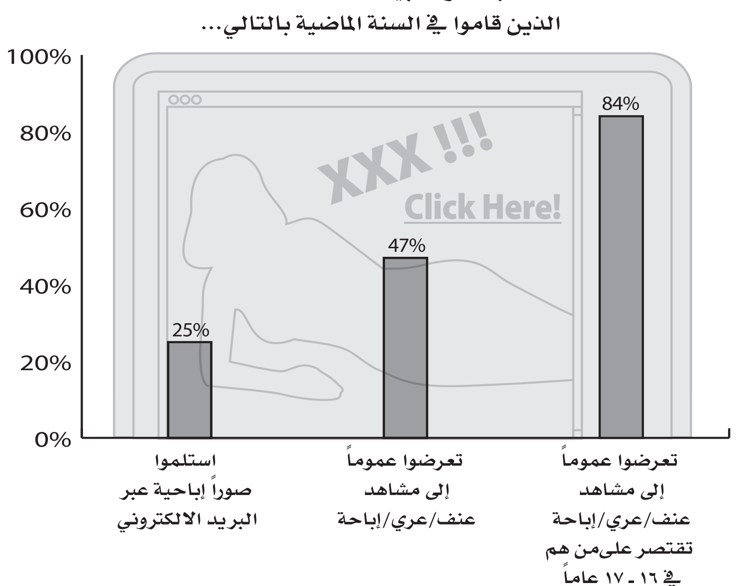
هنــاك حتمــاً بالنســبة لكثير من الأهل نــوع من الرهبــة التي تجعلهم يحجمــون عن محاولة التفوق تقنياً على الشــخص الــذي يعد المعلم الأكبر في شــؤون الإنترنت في الأسرة، ألا وهو الابن أو الابنة. ومع ذلك فإن سبعين بالمئة من الأهل قلقون حيال بوح أولادهم بمعلومات شــخصية، أو اطّلاعهم على مواقع إباحية جنسية. وفي الوقت ذاته، يعتقد ستون بالمئة من الأهل أن مخاطر الإنترنت على الأطفال أمر مبالغ فيه. لهذه الأسباب عليك أن تسارع إلى التصرف الآن، قبل أن يفعل ذلك طفلك الذي لا يزال في سنوات المرحلة الابتدائية المبكرة!

حســناً، فأنت إذاً على اســتعداد لتعالج الموضوع، ســواء كانت ثقتك الحاســوبية بنفسك مرتفعة أم منخفضة. فما الخطوة الأولى؟ تتمثل الخطوة الأولى في الحصــول علــى برنامــج حماية و ترشــيح للإنترنــت. هناك بضعة خيارات لذلك، أولها أن مزود خدمة الإنترنت الخاص بك قد يملك البرنامج المطلــوب، كمــا هو الحال مــع خدمة أمريــكا أونلاين. وحتــى إن كان اتصالــك مــع الإنترنت يتم عــبر مزود الكيبــل الخاص بــك، فبإمكانك الذهــاب إلى صفحتهــم الرئيســة علــى الإنترنــت الخاصــة بالمشــتركين، والدخول إلى خانة البرامج الحاســوبية. فإن بدا لك هذا الخيار مثبِّطاً للهمة نوعــاً مــا، أو أنه لم يفلح، فتوجه إذاً إلى المتجر (ســواء كان ذاك الموجود على شــبكة الإنترنت، أو القريــب من حيك). فتقريباً متاجر المســتلزمات المنزلية المكتبية كافة أو المتاجر الخاصة ببيع تجهيزات الحاسوب تتوافر فيها برامج حاســوبية، بما فيها البرامج الشائعة سيبرسيتر CyberSitter، وســيبرباترول CyberPatrol. لبعض هذه البرامج رســوم تسجيل، لذا خذ دقيقــة مــن وقتك لتقارن بينها على واحد من المواقــع الإلكترونية للمتاجر. كما يوجد لهذه البرامج تعليمات تشغيل تشرح الخيارات التي تتيحها. بصورة

عامة، ستحجب هذه البرامج أيَّ مواد غير مرغوبة (من نصوص، وصور، وفيديو). كما يمكنها أن تعطي الإذن فقط بالوصول إلى ما يعد ملائماً من المواد للأطفال (كلّ من البرامج يقدّر هذه الأمور بطريقة مختلفة عن الآخر. ومع ذلك، عادة ما يكون باستطاعتك التحكم فيما يعتبر ملائماً). المهم في الأمر أنك ستكون قادراً على إعداد أنماط مختلفة من القيود لمختلف أفراد أسرتك.

نظرة بعيدة على ما تحمله الإنترنت مقدماً من مخاطر

لعل التحدث عن السنوات المبكرة من المرحلة الابتدائية يشكل مناسبةً ممتازة للنظر في مقدار التهديد الذي ينتظر أولادك في المراحل القادمة من حياتهم بسبب الإنترنت:



المصدر: ميتشيل والإذاعة الاسترالية.

ثلاثة أرباع الجرائم الجنسية التي تحدث جراء الاتصال مع الإنترنت، تقع بين سنتي ١٢ـ ١٥ عاماً، ونصف الأولاد تقريباً يقعون في الشرك. ففي دراسة حديثة صُمِّمَت لتكشف عن مدى استجابة الأولاد مع الطعم عبر شبكة الإنترنت، وجد أن خمساً وأربعين بالمئة ممن أعمارهم ما بين العاشرة والسابعة عشرة كانوا على استعداد للتفريط بمعلومات شخصية كاسمهم وعنوان سكنهم وغيرها من معلومات مقابل بطاقة مجانية بقيمة مئة دولار. لذا خصِّص وقتاً الآن لحماية أولادك. وحتى إن كنت تعتقد أن أولادك بأمان، فَلِمَ لا تتدرب على القيام بهذه الأمور من الآن كي تجد نفسك عند الحاجة ضليعاً بأساليب الترشيح والمراقبة؟

أحد الأمور التي تشغل بال الناس فيما يتعلق بهذه البرامج، هو ما إذا كانت تحجب لا المواقع غير الملائمة وحسب، بل حتى ظهورها في قوائم محركات البحث المعتادة على الشبكة، من قبيل محركي ياهو Yahoo وغوغل Google. نعم بإمكانها أن تفعل، وهي تقوم بذلك على أكمل وجه.

وأخيراً، يمكنك إعداد هذه البرامج لتراقب المواقع التي يستعرضها أولادك. فهي تتيح لك لا الاطلاع على تلك المواقع وحسب، بل في كثير منها يكون بمقدورك إعداد حاسوبك ليأخذ لقطات فوتوغرافية دورية لما تعرضه الشاشة، بحيث تغدو قادراً فعلاً على رؤية ما قد رآه ولدك.

قد تحثك هذه البرامج دورياً على إجراء تحديثات لها، سواء من خلال البريد الإلكتروني أو من خلال برنامج التنصيب الخاص بها. فلتحرص على أن تفعل، مستعيناً بالإرشادات الموجودة في قائمة المساعدة، في متصفح الإنترنت الذي تستخدمه.

الإشراف على الإنترنت: ما وراء برامج الترشيح

هناك ثلاثة استخدامات رئيسة للإنترنت يمكن للأهل أن يُعلِّموا أبناءَهم وبناتهم كيفية تناولها بصورة مناسبة، فيعود ذلك عليهم علماً وحماية، وهي: المحادثات الفردية (كالبريد الإلكتروني والرسائل الفورية)، المحادثات الجماعية (غرف الدردشة)، وتصفُّح الإنترنت نفسها (تصفُّح المواقع).

ستوفر هذه النصائح بيئة منزلية آمنة تسمح فيها لولدك باستكشاف شبكة الإنترنت «بِحُرِيَّة». وإن إرساءك لها في أبكر ما أمكن سيجعل طفلك يشعر بأنه أقل تقييداً، لكونها سترسخ على أنها ممارسات تستمر طيلة مرحلة طفولته.

مع تنامي مواقع مثل كلوب بينغوين فإن الأطفال لا يدخلون الإنترنت وحسب، بل ويدردشون مع آخرين أيضاً. ولعل الدردشة تعد الفارق الأكبر بين الأطفال وذويهم فيما يتعلق باستخدام الإنترنت، من حيث أن الأطفال يمارسونها بكثرة، في حين أنه لا يفعلها الأهل، مطلقاً في بعض الأحيان! لذا فإن كان هناك من مجال يثير الرهبة بعض الشيء حتى لدى الأهل الضليعين بالتقنيات الحديثة، فسيكون هو الدردشة.

الفكرة الأهم فيما يخص الدردشة هي الإشراف. ومرة أخرى، تحدثي مع أولادك حول أهمية عدم إعطاء أي معلومات شخصية عنهم بتاتاً على الإنترنت. واجعليها قاعدة ألا يسمح لهم قط بالدردشة ما لم تكوني موجودة ، على الأقل على أن تكون مواقع معينة موثوقة في نظرك.

سيبدأ غالبية الأطفال باستخدام البريد الإلكتروني والرسائل الفورية قبل حلول عيد ميلادهم العاشر. تتجلى مخاطر البريد الإلكتروني، كما هو الحال مع الدردشة، في أنَّ الغرباء قد يتظاهرون بأنهم على غير ما هم

عليه حقيقة، ودون أن يدرك طفلكِ ذلك. كذلك البريد المزعج (Spam) قد يشكل مشكلة حقيقية. إن كنت تملك حساباً لبريد إلكتروني منذ أمد بعيد، فلعلك تكون اعتدت على البريد غير المرغوب فيه لدرجة أنك لم تعد تلحظه (أو في حال كنت على شاكلتي فإنه سيثير جنونك!). وبأي حال، فإن البريد المزعج مصدره أشخاص بالغون، وهم لا يفرقون بين أطفال وبالغين فيمن يستهدفونهم.

ما الذي يمكن للأهل عمله إضافة إلى إعداد برامج الترشيح؟ (أفكار مفيدة للمرحلة الابتدائية المبكرة)

إليك بعض النصائح لتهيئة بيئة إنترنت آمنة، ولتحافظ عليها كذلك:

١. علِّم طفلك ما ينبغي له فعله عندما يرى شيئاً يُشْعِرُه بالخوف، أو بعدم الارتياح لأي شكل كان. درِّبه على أن يترك أي شيء أزعجه على الشاشة ويسارع لإحضار ماما أو بابا.

٢. احرص على وضع الحاسوب في مكان علني من المنزل. الزاوية الأفضل هي التي يمكن رؤيتها من المطبخ وغرفة الجلوس معاً، لكونهما الغرفتان الأكثر استخداماً في المنزل.

٣. ابدأ بمناقشة أنماط المواد المختلفة التي تطالعها على الإنترنت، بما فيها الإعلانات، والروابط. اشرح لهم ماهية الإنترنت. باختصار زودهم بالمعرفة عن الشيء الذي يستخدمونه.

٤. احرص على أن يفهم ولدك أنه في هذه السن من غير المسموح له بتاتاً أن يُصرِّحَ عن أي معلومات شخصية، بما فيها الاسم، اسم الشارع، أو أي شيء آخر، دون إذن منك.

٥. ضع قاعدة، أنهم إن أرادوا أن يلعبوا لعبة حاسوبية على أحد المواقع التي لم يسبق لك مشاهدتها قبلاً، فعليهم أن يعرضوا عليك اللعبة أيضاً. سيحد هذا من احتمال الخوض في لعب ألعاب عنيفة أو غير ملائمة لسبب ما.

يتوجب على الأهل قبل كل شيء آخر أن يشاطروا أولادهم حسابهم البريدي الإلكتروني الأول. وقد يؤثر كثير من الأهل أن يجعلوا وسيلة الوصول إلى الحساب البريدي حكراً عليهم. بمعنى أنه حين يرغب الطفل بالوصول إلى بريده، عليه أن يطلب إلى أهله كتابة كلمة السر. عندها يتمكن الأهل من الاطلاع على بريد أولادهم الإلكتروني إما بصحبتهم أو قبل أولادهم (والأفضل هو الاطلاع قبلاً إن كانت لديك مشكلة مع البريد المزعج، حتى تتمكن من مسح تلك الرسائل قبل أن يراها ولدك). كما ويحول ذلك دون مسح الأبناء للرسائل قبل اطلاع والديهم عليها.

في هذه السن «المبكرة» تبقى مخاطر الإنترنت غير جلية تماماً، أو على الأقل فهي يمكن أن تكون جزءاً صغيراً جداً مما ستكون عليه في السنوات المقبلة. إنما بالنسبة للوالدين، ألا ترغبان بحماية أولادكم قبل أن تتبدى هذه المخاطر ظاهرة للعيان؟ إن الإنترنت تقدم فرصاً رائعة، وكذلك مخاطر جمة للأولاد. لكن كما شاهدنا، يستغرق الأمر بضع خطوات، وقليلاً من إشراف الوالدين، لتأخذوا بيد أولادكم نحو طريق آمن في استخدام الإنترنت.

فإذاً، ما الذي ترغب ارتياده مع أولادك؟

إنه لأمر جوهري بالنسبة للأهل أن يشاركوا أولادهم في خبرتهم مع الحاسوب. فبادئ ذي بدء إن أنت لم تصبحي طرفاً في هذه العلاقة فما سيحدث هو التالي، سيكون تعرّض طفلك له قليلاً أو معدوماً حتى سن المدرسة، وبعدها انطلاقاً من تلك النقطة ستغدون «أسرة منقسمة على ذاتها»، بمعنى أنه سيكون لك شؤونك الخاصة على الحاسوب، وكذلك الأمر بالنسبة لولدكِ. وبالطبع ليس هذا ما نبتغيه! فإذاً بالمشاركة تضمنين

أن يحصل ولدك على دفع إلى الأمام كحال أي طفل آخر، هذا من جهة. ومن جهة ثانية، فإن المشاركة هي مفتاحك لتخطي أي نوع آخر من تحديات الأبوة والأمومة. فالتفاعل سيزيد إلى حد بعيد جداً من قدرتك على تطوير كفاءتك في الإشراف بفاعلية.

إنني شخص أحسن التعامل مع التقنيات إلى حد بعيد. فقد صممت صفحات على شبكة الإنترنت، وبعضاً من الرسوم التي ترونها في هذا الكتاب، كما أنني أقوم يومياً بالرد على مئات الرسائل الإلكترونية لأكسب عيشي. ولكن عندما تعلق الأمر بأخذي لولدي لأماكن على الإنترنت، عليّ أن أعترف أني كثيراً ما شعرت بالإرباك! وما من سبب وراء ذلك سوى وجود العديد من الإمكانيات. إضافة إلى أنه كان لدي الكثير من الوقت لأصرفه في البحث عن مواقع جيدة ومناسبة لطفل في الخامسة من عمره. فالحجم الهائل للإنترنت وحده كفيل في كثير من الأحيان أن يرهب الأهل ويمنعهم من معرفة أي توجيه ينبغي لهم أن يقدموه لأولادهم فيما يخص الإنترنت.

محركات بحث خاصة بالأطفال

عندما تبدأ باستكشاف الإنترنت بصحبة طفلك، لا تستخدم محركات البحث العادية كياهو وغوغل. بل الجأ إلى النسخة الخاصة بالأطفال، فهي تميل إلى استبعاد أي مواقع غير ملائمة، وكثيراً ما يدرجون قوائم لمواقع خاصة بالأطفال. ومنها:

١. **ياهوليغانز:** www.yahooligans.com
٢. **كيدزكليك!:** www.kidsclick.org
٣. **لوكسمارت كيدز:** search.netnanny.com
٤. **آسك جيفز فور كيدز:** www.ajkids.com

نقطة البداية هي ورقة وقلم رصاص. انس أمر الإنترنت واكتب عشرة أشـياء تمثـل أكثر ما يحبه ولدك. فعلى سـبيل المثـال، إن أردتُ تدوين ما يحبه ولدي الأكبر، فسأبدأ القائمة غالباً على النحو التالي:

١. توماس الصهريج Tomas the Tank Engine
٢. البوظة.
٣. الشاحنات.
٤. متى سيهطل الثلج ثانية؟
٥. السباحة.

قد تمثل بعض الأشـياء على قائمتك اهتمامـات لحظية عرضية (مثل: متى سيهطل الثلج ثانية). إنما لا بأس في ذلك، إذ بمقدورك إعادة كتابتها في أي وقت تشاء. تعمل هذه القائمة طبعاً بمثابة قائمة التصفح الخاصة بك لتقوم باستكشاف الإنترنت أنت وولدك انطلاقاً منها. فاجعل كل موضوع مدرج عليها يحتل جلسة أو حتى عدة جلسات على الإنترنت.

هناك اسـتراتيجية أخـرى بالإمكان اتباعها، بأن تعـد قائمة بالمواقع التي ترغب بزيارتها مع طفلك. وهذا لا يتضمن المواقع الإلكترونية المرتبطة بالبرامج التلفازية وحسب، بل أيضاً المواقع الإلكترونية للمتاحف، والفرق الموسيقية الخاصة بالأطفال، ومدرسة طفلك الابتدائية ومكتبتها.

ألعاب الفيديو

إنـه لموضوع سـيتم البحـث والتمحيص فيـه بكثير مـن التفصيل في الفصـل المقبـل. إنمـا حاليـاً تتلخـص مهمتنا في تعلـم كيفية ترشـيحها، وانتخاب الأنسب بينها. بالنسبة للتلفاز فقد تعرفنا إلى التصنيفات التلفازية،

وكيفية استخدامها لاستبعاد البرامج التلفازية ذات المحتوى المؤذي. أما بالنسبة لشبكة الإنترنت فقد تعرفنا إلى كيفية استخدام برنامج للترشيح. وفي الحالتين لقد ازددنا وعياً إلى أن جرعة سليمة من الإشراف تخدم على المدى البعيد.

شأنها شأن التلفاز، تملك ألعاب الفيديو تصنيفات خاصة بها. ولكن المشكلة الوحيدة تكمن في أنه لا توجد رقاقات حماية خاصة بألعاب الفيديو (VG Chips)، والحماية الوحيدة الممكنة تنبع من فهمك لنظام التصنيف الخاص بها، والاقتصار في لعب أطفالك على الألعاب المناسبة التي تختارها بعناية، متجنباً تلك التي تعتبرها غير مقبولة.

تصنيفات الألعاب التلفازية:

إن كنت قد اعتقدت أن تصنيفات برامج التلفاز معقدة بعض الشيء، فذلك لأنك لم تكن تدري بوجود تصنيفات لألعاب الفيديو! ومع ذلك، فما إن تقرأها حتى تكتشف سهولة فهمها:



EC (Early Childhood) **الطفولة المبكرة:** قد تحتوي هذه الألعاب على مضامين ملائمة للأطفال في سن الثالثة فما فوق. ولا تحوي عناوين الألعاب في هذه الفئة أي مواد قد يجدها الأهل غير ملائمة.



E (Everyone) **الجميع:** تحوي هذه الألعاب مضامين قد تكون مناسبة لعمر السادسة وما يزيد. عناوين هذه الفئة قد تحوي شخصيات كرتونية إنما في الحد الأدنى، عنفاً متخيلاً أو معتدلاً، و/ أو استخداماً غير متواتر للغة معتدلة.



E10+ **كل من هم في عمر العاشـرة فما فوق:** تحوي هذه الألعاب مضامين قد تكون مناسـبة لمن هم في عمر العاشـرة فمـا فوق. قد تحـوي العناوين في هذه الفئة مزيـداً من الصور الكرتونيـة، والعنـف المتخيـل أو المعتـدل، واللغـة المعتدلة، وربما أقل ما يمكن من المواضيع غير المحتشمة.



T (Teens) **المراهقـين:** مضامين هذه الألعاب قد تلائم عمر ١٣ فما فوق. وقد تحوي العناوين في هذه الفئة عنفاً، مواضيع غير محتشـمة، هـزلاً غير مهذب، قليـلاً من الدمـاء، قماراً مزيفاً، استخداماً غير متواتر للغة الخشنة.



M (Mature) **للناضجين:** أي أنها قد تناسـب مَنْ أَعْمارُهم في السـابعة عشـرة فما يزيد. قد تحوي العناوين في هذه الفئة عنفاً مكثفاً، دماء تسـيل وأخرى متخثرة، مضامين جنسية، وربما لغة خشنة.



AO (Adaults Only) محتويـات هذه الألعاب تسـتوجب أن يكون لاعبوها فقط من سـن الثامنة عشـرة فما فوق. إذ قد تحوي مشـاهد مطولة من العنف الشديد، وربما صوراً إباحية وعرياً.

(إن رسم أيقونة ESRB هو علامة تجارية لاتحاد البرامج الحاسوبية الترفيهية)

قـد تحمل الألعاب أيضاً حرفي (RP) للدلالـة على أنه لم يتم تصنيفها بعد، ويسـمح للشـركات أن تبيع الألعاب ما دامت قد قدمتها إلى المجلس الذي يقوم بمراجعتها (مجلس تقييم البرامج الحاسوبية الترفيهية ESRB).

إشارة إلى الكحول - ذكر للكحول قد يترافق أيضاً بعرض صور للأشربة الكحولية.
دماء بالرسوم المتحركة - رسوم لدماء متغيرة اللون وغير واقعية.
دماء - رسوم لدماء.
دماء ودم متخثر - رسوم لدماء أو لأشلاء الجسد.
عنف كرتوني - أفعال عنيفة تتضمن شخصيات ومواقف كرتونية؛ قد تحوي عنفاً تجاه شخصية ما تنهض غير متأذية بعد تعرضها للعنف.
أذى هزلي - رسوم أو حوارحافل بالخشونة أو بالدعابات غير المحتشمة.
دعابات فظة - رسوم أو حوار يحوي تصرفات مبتذلة، بما فيها دعابات تتعلق بالعورة.
إشارة إلى المخدرات - ذكر للمخدرات الممنوعة مع صور لها.
العنف المتخيل - أفعال عنيفة ذات طبيعة خيالية، يتضمن شخصية بشرية أو غير بشرية في مواقف يسهل تمييزها عن الحياة الواقعية.
العنف المكثف - رسوم تصويرية وقريبة من الواقع لصراعات جسدية، قد تتضمن ظهوراً متطرفاً وأحياناً واقعياً للدم والأسلحة، ورسوماً لإصابات بشرية وللموت.
اللغة - استخدام معتدل إلى متوسط للغة التجديفية.
كلمات الأغاني - الإشارات التجديفية، الجنسية، وأيضاً إلى العنف، الكحول، أو تعاطي المخدرات في الموسيقى.
دعابات البالغين - رسومات أو حوارات تتضمن دعابات للبالغين، وتحوي إشارات جنسية.
العري - تصويرات أو رسوم عن الجسد العاري.
عري جزئي - رسوم معتدلة أو موجزة للعري.
قمار حقيقي - يمكن فيه للاعب أن يقامر ويراهن على مال نقدي أو عملة حقيقيين.
مضامين جنسية - رسوم غير صريحة تمثل سلوكيات جنسية، ويمكن أن تحوي عرياً جزئياً.
مواضيع جنسية - إشارة إلى الغرائز الجنسية أو النشاط الجنسي.
عنف جنسي - رسوم عن الاغتصاب الجنسي أو غيره من الأفعال الجنسية العنيفة.
قمار زائف - يمكن للاعب أن يلعب دونما المقامرة أو المراهنة بأموال أو عملة حقيقية.
لغة خشنة - استخدام لغة تجديفية صريحة.
كلمات أغاني خشنة - إشارات صريحة أو متكررة تجديفية، أو إشارات للجنس، العنف، الكحول، أو تعاطي المخدرات في الموسيقى.
مواضيع غير محتشمة - وجود مواد أو إشارات استفزازية معتدلة.
إشارات إلى التبغ - إشارات وصور لمنتجات التبغ.
تعاطي المخدرات - استهلاك أو تعاطي المخدرات المحظورة.
معاقرة الخمر - معاقرة المشروبات الكحولية.
التدخين - استهلاك المنتجات التبغية.
العنف - مشاهد تتضمن صراعات عدوانية، وقد تحوي تقطيع أوصال من غير دماء.
إشارات للعنف - إشارات إلى تصرفات عنيفة.

عندما تكون واصفة محتوى اللعبة متلوة بالمصطلح «معتدل» فهذا يدل على شدةٍ أو كثافةٍ خفيضتي التواتر في ذلك المحتوى. وليست الغاية من الواصفات أن تجدول كل نمط من المحتوى قد يصادفه المرء أثناء مسار اللعبة. إذ تحمل الألعاب التي يتم لعبها على الإنترنت ملاحظة تقول «التفاعلات على شبكة الإنترنت لم يتم تصنيفها من قبل مجلس تقييم الألعاب الحاسوبية الترفيهية ESRB».

بمعنى أنها تحذر أولئك الراغبين في لعب الألعاب على الإنترنت من إمكانية التعرض إلى الدردشة عن طريق كتابة نص، أو الدردشة الصوتية أو المرئية، أو غيرها من المحتويات التي قد أحدثها مستخدم الشبكة من خرائط وواجهات عرض، والتي لم تؤخذ بعين الاعتبار في تصنيفات الـ ESRB.

والآن قد فهمنا ما هي التصنيفات، وما الذي ينبغي السماح بلعبه في هذه السن، وما الذي يتوجب علينا التفكير فيه للمستقبل. و إذا أردت أن ألخِّص أثر الإعلام الإلكتروني في هذه السن، فسأقول: استمتع به. لقد كانت هذه الفصول الثلاثة بمثابة تدريب لك، وقد بت الآن خبيراً في معرفة كيفية التحكم بالمضمون الموجود في التلفاز، إلى الإنترنت، وحتى ألعاب الفيديو. حتى الآن كان هذا معسكرك التدريبي. لقد أصبح الآن طفلك على استعداد لأن يدخل مرحلة ما قبل المراهقة.

لتبسيط الأمور نقول، إن الأطفال ما دون سن الثالثة عشرة يقومون في هذه الأيام بأمور لم نكن لنحلم بها يوماً. إذ يبدو أن الأطفال يدخلون عالم الكبار في عمر أبكر على نحو مطرد، بغض النظر عما إذا كانوا بحق مستعدين لذلك. ومن واجبنا ـ نحن الأهل ـ أن نعدّهم لسن البلوغ. فولدك على وشك مواجهة وسائل الإعلام بكل ما فيها، الصالح والطالح.

كالبرامج التلفازية للبالغين، الدردشــة مع أطراف أخرى قد تبطن غير ما تظهــر، وألعاب فيديو يشــيع فيها قطع الرؤوس. فــإذاً، هيا بنا إلى الفصل التالي، لكن لا تقلقوا فأنتم مستعدون له.

ألعاب الفيديو المناسبة لأطفال المرحلة الابتدائية المبكرة

يمكن لألعاب الفيديو أن تكون تعليمية، كما هو الحال مع ألعاب الحاسـوب. إليكم بعض المواقع التي تعرض الألعاب وتقيّمها وفقاً لملاءمتها لكل فئة عمرية:

- **أحــب المعرفــة**: موقــع متواضــع بقائمة صغـيرة عن الألعـاب الموافـق عليها للأطفال. Videogames.lovetoknow.com
- **المعهــد الوطني للأسـرة والإعلام**: وهــي منظمة ترصد العنـف في ألعاب الفيديو، وغيره من المضامين غير الملائمة.

  www.mediafamily.org (ابحث عن تقرير ألعاب الفيديو).
- **مجلس تقييم الألعاب الحاسـوبية الترفيهيـة**: الهيئة التي تزود ألعاب الفيديو جميعها بالتصنيفات الرسمية www.esrb.org
- **IGN إنترتينمنـت**: موقــع جيد يُمكِّنُكَ من الاطلاع علـى ماهية الألعاب، لكنه لا يتضمن أي تصنيفات. www.ign.com

مراجعة الفصل الرابع	
التلفاز	
المخاوف الأساسية	برامج أطفالك أخذت تغدو أكثر فأكثر عنفاً.
العلاج	تخفيض الوقت المصروف عليها، والتفاعلية الوالدية.
مهارات مفتاحية جديدة	استخدام نظام التصنيفات ورقاقات التحكمV Chip للحد من المحتوى غير المرغوب.
مواضيع خاصة	احرص على الحد من مشاهدة أطفالك لبرامج الكبار، وكن حذراً في تقديمهم للأخبار.
الحاسوب وشبكة الإنترنت	
مهارات مفتاحية جديدة	إعداد برامج مرشحات حاسوبية لاستبعاد ما هو غير مرغوب، وتهيئة موضع آمن وعلني لحاسوبك.
مهارات ثانوية	العثور على ألعاب ومواقع إلكترونية رائعة للأطفال، تمتاز بأنها تعليمية وتفاعلية.
ألعاب الفيديو	
مهارات مفتاحية جديدة	تعلم نظام تصنيف ألعاب الفيديو.
مخاوف جديدة	الإفراط في الاستخدام.

الفصل الخامس

مرحلة ما قبل المراهقة

في حين وهب الله تعالى الأطفال منذ ولادتهم بعضَ القدرة على مقاومة الأمـراض، وكذلـك مـنّ عليهم ببنية تقاوم مدى واسـعاً مـن الارتطامات والكدمـات الـتي يتعرضـون لهـا أثنـاء تعلمهم السـيطرة علـى حركات أجسـامهم، يبـدو أنه من الإجحاف أن لا نعدّهم سـلفاً للتعامل مع وسـائل الإعـلام بأي طريقة كانـت. ففي الحقيقة، إن فهم المغـزى من الإعلانات التجارية يتطلب قدرات عالية في التفكير المنظم. كما يتطلب جرعةً كبيرةً مـن الفكـر إدراكُ أن العنف التخيلي هو مجرد «خيال». كما يحتاج الأمر خـبرة وعمراً كي يدرك المرء حقاً «عـدم واقعية» ما يقدمه الإعلام، حيث يبدو الجميع ثرياً وبديعاً، وتتراءى الرصاصات أوفر عدداً من الأشخاص.

فإذاً، إنهم قلة من الأهل الذين يخصصون وقتاً لمسـاعدة أولادهم على التعايش مع وسائل الإعلام وفهمها، كما يفعلون مع جوانب تكميلية أخرى

من الحياة. فالأهل أنفسهم يجدون أن وسائل الإعلام يسهل التعامل معها إلى درجة يتساءلون معها عن وجود أي شيء ينبغي تعليمه لأولادهم بخصوصها! فكل ما عليك أن تفعله في نظرهم هو أن تشغل التلفاز وتنطلق! وكما سبق وناقشنا، قد يتلخص الحال لدى أهل آخرين، في أنهم قد يتجنبون مثل هذه المسائل لأنهم يشعرون سلفاً بأن هناك من يتفوق عليهم فيما يتعلق بشبكة الإنترنت وغيرها من التقنيات الإعلامية الصاعدة.

وعلى الرغم من إدراك كثير من الأهل، أنه من الأهمية بمكان تزويد أولادهم بالمعرفة فيما يخص وسائل الإعلام، وبالقدر ذاته من الأهمية التي يولونها لتعليمهم حروفهم الأبجدية، فإن قلة منهم فقط هم مَنْ يعرفون من أين يبدؤون.

في حين أن هذا الفصل يُعنى باستمرار بتعليمك كيفية تنشئة أبنائك في عصر الإعلام، فإن هنالك تحوُّلاً مهماً فيه. فقد كانت رسالة الفصول الماضية هي الحماية. عدم السماح للرضع بمشاهدة التلفاز، عدم السماح للأطفال بمشاهدة البرامج التي تحوي عنفاً، وعدم السماح للأطفال بدخول مواقع الإنترنت التي تحوي مواد مهينة، وهكذا.

أما الآن، فقد حان الوقت للمضي قدماً من الوقاية إلى التطعيم. قد تتساءل عن سبب هذا التحول، أرجو ألا أكون أول من ينقل إليك الخبر التالي، ولكنك تكاد تفقد السيطرة. قد تعتقد بأنك على عكس ذلك، أو أنك حذر جداً بما يكفي. ولكن الحقيقة هي أنك غير قادر على الإشراف على استخدام أولادك لوسائل الإعلام طول الوقت من جهة، ومن جهة أخرى، فإنهم يصبحون خبراء بها بشكل متنام، وبالتالي فهم قادرون على خوض غمارها بمفردهم، فيما يتعلق بالتلفاز وألعاب الفيديو والإنترنت.

سيواصل هذا الكتاب مراجعته للأبحاث المجراة عن التلفاز، ألعاب الفيديو، الإنترنت والحاسوب، الإعلان والموسيقى. بالإضافة إلى أن لغة الخطاب ستنحو أكثر فأكثر إلى التطعيم عوضاً عن المنع، بما أننا ـ نحن الأهل ـ قد تضحي قدرتنا على السيطرة أقل من ذي قبل، ولكن في الوقت ذاته فإن أطفالنا يزدادون قدرة على الفهم. رسخ في نفوس أولادك القيم الأخلاقية، وسيغدون أغلب الظن من أهل القيم العالية. وسيراً على الخطى ذاتها، اغرس لديهم الوعي بأساليب وسائل الإعلام في التلاعب بهم، وكيف أنها تقدم إليهم صورة مشوهة جداً عن العالم الواقعي، وستكون أكثر قدرة على حمايتهم من الآثار المحتملة المؤذية لوسائل الإعلام.

الإعلام وصورة الجسم

آه نعم، بات الأولاد والبنات في مرحلة ما قبل المراهقة. إنها السن التي يتحول فيها المظهر من الدرجة الأدنى في سلم الأهمية إلى الدرجة الأعلى. بدخولهم هذه المرحلة العمرية، يكون معظم الأطفال منهمكين سلفاً في مظهرهم. أما الآن فقد أضحى الانهماك استحواذاً!

ينزع الأطفال إلى اللجوء إلى مصدرين اثنين لاكتشاف ما يفترض أن يكون عليه مظهرهم. بداية، يتجهون إلى أقرانهم، إخوتهم الأكبر سناً منهم، ورفاقهم في الصف. وثانياً، ينظرون إلى وسائل الإعلام الجماهيرية. وهم بالتأكيد لا يلجؤون إلى ذويهم! فإن كانت تراودك الشكوك في قوة تأثير وسائل الإعلام في تعزيز موضة معينة، عليك إذاً أن تسترجع ما كانت عليه فترة مراهقتك. فكيف تعلمنا في ثمانينات القرن الماضي أن نحب الجوارب التي تدفئ القدمين، القلنسوات، الشعر الضخم، وسمك البوري؟ ثق بي، وحدها وسائل الإعلام لها القدرة على إقناعنا بالقيام بخيارات فظيعة في الموضة بهذا الشكل!

للأسف، إن سلطة الإعلام لا تقف عند فرض التصور الرائج من الأزياء والموضة. ففي الواقع، هناك عرف طويل من الأبحاث العلمية يظهر أن وسائل الإعلام تؤثر فيما نرغب أن يكون عليه تصورنا عن أجسادنا أيضاً.

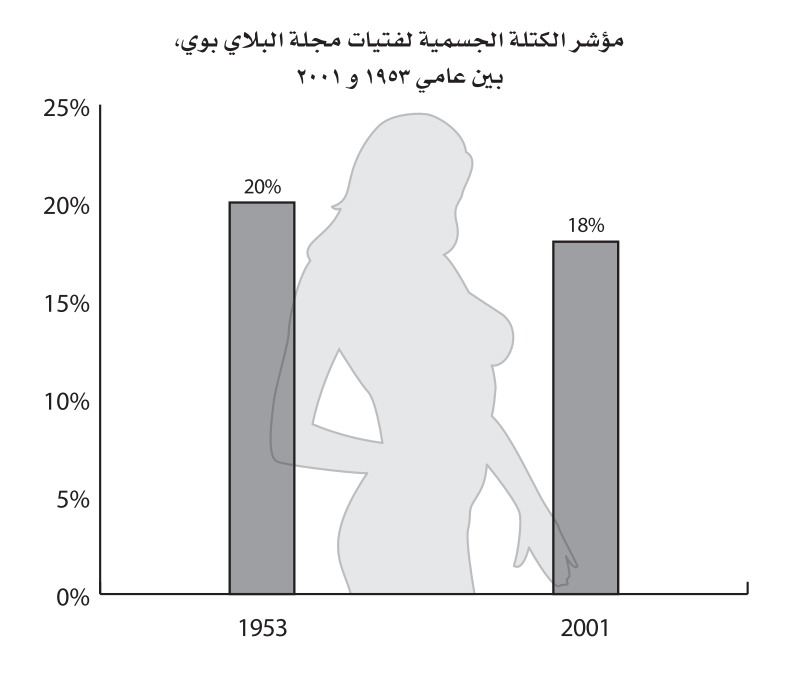
ببساطة، إن أهل التلفاز ووسائل الإعلام بشكل عام ذوو مظهر جميل. إنما الأكثر أهمية، أن تعريفنا الثقافي الجماعي لما هو جميل فعلاً، يرتكز بشكل كبير إلى تعريف وسائل الإعلام له. خذ على سبيل المثال الدراسة التي أجراها سيبيك وزملاؤه عن فتيات الغلاف في مجلات الموضة أو المجلات النسائية الرائجة من قبيل كوزموبوليتان، غلامور، مدموزيل، وفوغ. ما هو بظنك تصور فتى مراهق نمطي عن المرأة «المثالية» عام ١٩٥٩؟ الصورة التي تخطر في بال معظم الناس هي لامرأة ترتدي ثوب سباحة من قطعة واحدة، ممتلئة الجسم بعض الشيء (إنما على نحو طبيعي)، وذات شعر مجعد، أي أنها بمقاييس اليوم كانت أكثر ضخامة. والآن ما تصور الفتى المراهق ذاته عما يجب أن تكون عليه المرأة المثالية، إنما في يومنا هذا؟ نحيلة، متناسقة القوام، ولعلها ممتلئة (على الرغم من أن ذلك قد يكون بصورة غير طبيعية)، بشعر طويل منسدل شبيه بفرو حيوان المنك.

أهمية الوزن:

لعلها ليست مفاجأة إذاً أن يجد البحث الذي أجراه غارنر تحولاً في الصورة التي تمثلها العارضات في هذه المجلات خلال الخمسين عاماً الماضية من ١٩٥٩ وحتى ١٩٩٩.

بادئ ذي بدء، باتت العارضات أكثر نحولاً. فقد وجدت دراسة ذات صلة عن العارضات اللاتي يمثلن رفيقات اللعب في مجلة بلاي بوي Playboy انخفاضاً ضخماً في مؤشر الكتلة الجسمية BMI لدى

العارضات بين عامي ١٩٥٣ و ٢٠٠١. إن مؤشر الكتلة الجسمية هو عبارة عن مقياس رقمي بسيط لمدى «بدانة» شخص ما أو «نحولته». وهو يتراوح بين الستة عشر و أواخر الثلاثينات. يملك الشخص الأمريكي الوسطي مؤشراً في حدود الثمانية والعشرين. وكما يتضح في الرسم البياني اللاحق فإن فتيات البلاي بوي، هن ما دون المتوسط بكثير. إضافة إلى ذلك فقد توصلت الدراسة إلى وجود تضخم في النسبة ما بين الخصر والورك، بمعنى أن شكل الجسم الشبيه بالساعة الرملية بات أكثر حضوراً هذه الأيام.



المصدر: غارنر

وكذلك هناك دراسات من قبيل تلك التي أجراها هاوكينز وغيره، توصلت بثبات إلى أن الأشخاص الذين يظهرون في وسائل الإعلام الجماهيرية (من ممثلين وممثلات وعارضين وعارضات ومقدمي برامج وغيرهم)، هم بالمعدل أكثر نحولاً بنسبة خمس عشرة بالمئة من متوسط الأمريكيين عموماً.

فإذاً لقد باتت المرأة «المثالية» نحيلة إلى درجة لا يمكن لغالبية النساء الأحياء اليوم أن يصلن إليها بأي حال. وهن غالباً ما يتم التلاعب بصورهن ببرامج حاسوبية خاصة لهذا الغرض، فتصبح السيقان أرفع وأطول ويتغير لونها لتضحي بذلك أكثر جاذبية. ولا يقتصر الأمر على العارضات وحدهن ليمثلن هذه الصورة المثالية، بل نظرة في برامج الواقع من قبيل الناجي Survivor والمتمرن The Apprentice، تكفي لتدرك أنه حتى الأشخاص «الواقعيون» في عالم الإعلام يُنتقون بعناية استناداً إلى مظهرهم أولاً ومن ثم شخصياتهم. فهؤلاء الأشخاص الواقعيون لا يمثلون متوسط المظهر بأي من المقاييس العقلانية.

فإذاً حقيقة أن وسائل الإعلام تعرض أعداداً كبيرة من الأجسام التي وصل أصحابها إلى «النحول المثالي»، وقليلاً جداً من أصحاب الأجسام الوسطية (أو الأجسام التي تزيد بنيتها عن الوسطي)، وهذا يدفع المرء بالضرورة إلى التساؤل، هل لذلك الأمر أهمية؟ فمن الواضح أننا نحب النظر إلى الأشخاص حسني المظهر، وبالتالي فإن الإعلام ينفح الناس ما يريدون، فما الضرر من ذلك؟

الآثار الناجمة عن «النحول المثالي»:

ينزع الباحثون إلى إيجاد الآثار كبيرها وصغيرها. وهي تبدأ هنا ببساطة بالتماهي مع صورة النحول المثالي، بمعنى الدرجة التي يتماهى معها تماماً الأطفال ما قبل المراهقة، والمراهقون، وحتى البالغون أحياناً، مع النحول المثالي الإعلامي. فماذا يقصد الباحثون بتعبير التماهي مع النحول المثالي؟ إنهم يعنون تحديداً أن مثل أولئك الأشخاص مقتنعون بأن السبيل الوحيد لأن يصبح المرء محبوباً، ناجحاً، وراضياً عن الحياة بشكل عام، هو من خلال الوصول إلى جسد يشبه ذاك الذي يراه عبر وسائل الإعلام. وعليه فإن قبوله بصورة النحول المثالي هو «المدخل» لمزيد من الآثار المؤذية المحتملة للنحول المثالي. وفعلاً هناك أناس على استعداد للخوض في غمار الحميات الغذائية المتطرفة والتمارين الرياضية القاسية، بل وحتى يسيؤون استخدام الأدوية المسهلة ويقومون بالإقياء عمداً، كي يغدوا أكثر ما يمكن نحولاً في حال كانوا يسعون إلى النحول المثالي. هناك أيضاً صلة بين النحول المثالي واضطرابات الطعام كالنّهام (الشراهة) وفقدان الشهية. ولكن حتى وإن لم يصل الطفل إلى مرحلة الوقوع في براثن هذه الأمراض، فمن يريد لطفله أن يعيش حياته بتعاسة مستمرة مع جسده؟

يترك التعرض المستمر لقذائف صور النحول المثالي أثره كذلك على سوية تقدير الذات، ويزيد مما يطلق عليه العلماء اسم «الحالات المزاجية السلبية» بما فيها الاكتئاب، القلق، والشعور بعدم الأمان، كما أنه يترك بصمته على رضانا عن أجسامنا.

تقوم التجربة النموذجية عن تصور الجسم على قسم مجموعة من الناس إلى قسمين. فيشاهد القسم الأول منهم مجموعة من البرامج والقصص والإعلانات التي تتضمن شخصيات تمثل النحول المثالي، في حين سيشاهد

القسـم الآخر المواد الإعلامية ذاتها، إنما بممثلين وممثلات وعارضات من ذوي المظهر الوسـطي. وكثيراً ما وجد، أن الفئة التي تعرضت إلى مشاهد أصحـاب النحـول المثالي لديها احتمـال مضاعف بأن تنشـأ لديها أفكار اكتئابيـة، وتقديـر ذات متدن، وبالطبع شـعور بعدم الرضـا حيال صورة أجسـامهم أنفسها. إن هذه ليسـت بتأثيرات محدودة، كما وجدنا بالنسبة لمشـاهدة التلفـاز في عمر مبكـر وصلة ذلك مع مشـاكل الانتباه؛ بل إنها لعميقة الأثر وغاية في الأهمية.

لقد توصلت دراسـة أجراها شـوتز وباكستون على فتيات مراهقات، أن أولئـك اللاتـي كـن الأقل رضا عن أجسـامهن على الإطـلاق، كانت تفاعلاتهن مع أصدقائهن أكثر سلبية على الأغلب. تتضمن هذه التفاعلات القلـق الاجتماعـي العـام، عدم الشـعور بالأمـن الاجتماعـي، إضافة إلى المفاهيم الأكثر دقة كالانعزال والصراع بين الأصدقاء. وبالنسـبة لأولئك اللاتي كن يعانين من عدم الرضا عن أجسامهن، ومن أعراض اضطرابات الطعام، فقد تجلت هذه الجوانب السلبية بوضوح أكبر بكثير مما كانت عليـه لدى المراهقات الخاليات من تلك الأعـراض. حقيقة، إن الاندماج في فكرة النحول المثالي يضر بالصداقات وغيرها من العلاقات الأخرى.

وأخـيراً، هنـاك الأثر المحتمـل الأكثر خطورة من بـين الجميع، وهو الشعور بالحاجة إلى الاستغراق في الحميات بسبب النحول المثالي، والتي قد تفضي بالبعض إلى اضطرابات في الطعام. وبالفعل، فعند دراسـة الباحثين لحالات من أشخاص سبق تشخيصهم بأنهم مصابون باضطرابات غذائية، وجـدوا أن أولئك الذين تعرضوا إلى الكثير من صـور النحول المثالي بلغوا درجـة عالية جداً من عدم الرضا عن صورتهم الخاصة، كما أن تقديرهم لذواتهـم كان أدنى، وكان لديهم مشـاعر عارمة من المشـاعر السـلبية:

كالاكتئاب والغضب والقلق أكثر بكثير من أولئك الذين لم يعانوا من اضطرابات غذائية.

ولا شك في أنه من المهم أن نتذكر وجود صلة ثلاثية الأطراف هنا: وهي أن التعرض لوسائل الإعلام يؤدي إلى شعور المرء بعدم الرضا عن جسمه، مما ينجم عنه حشد من المشاكل السلبية الصحية، ومثيلها من الحصيلات النفسية. فما الذي بمقدوركم فعله أيها الأهل؟ عليكم بالتواصل مع أولادكم حول أثر الإعلام على الطريقة التي يشعرون بها حيال أنفسهم. في هذه الحالة، يمكن للمعرفة بحق أن تكون من أمضى الأسلحة، حيث إن فهم منبع المشكلة يشكل خطوة لحلها. (ومن باب التذكرة، ليست وسائل الإعلام وحدها مصدر الشعور بعدم الرضا عن الجسم، لذا فإن بدا لك أن ابنك أو ابنتك يشعران بعدم الراحة حيال جسميهما، فبادر إلى تقصّي المصادر الأخرى لذلك أيضاً).

إن الرسالة التي وددت إيصالها في المقاطع السابقة هي أنه قد آن الأوان لك للبدء بممارستك لتوعية أبنائك عن وسائل الإعلام. وإحدى نقاط الانطلاق التي قد يفيد منها الأهل هي مناقشة طبيعة الممثلين والممثلات والعارضات، سبب قيامهم بما يفعلون، من هم في الحقيقة، وبأنهم لا يمثلون متوسط الشعب الأمريكي على أصعدة عدة، وأنهم حتى هم أنفسهم بحاجة إلى فراشي التنميق في البرامج الحاسوبية لتجميل صورهم، والمدربين الشخصيين لمساعدتهم على الظهور بمظهرهم ذاك. فلتكن واضحاً حيال الأثر الذي يمكن لصورة الجسم أن تخلفه لديهم، وأخبرهم أنهم أفضل بكثير من أن يقعوا في براثنها. العبرة باختصار: لا تدع للإعلام اليد الطولى في أن يملي على أولادك الكيفية التي ينظرون بها إلى أنفسهم.

هل يزداد أطفالنا بدانة
على الرغم من رغبتهم في أن يخسروا من وزنهم؟

إن كان هناك من نطاق في أبحاث وسائل الإعلام يختلف فيه الناس إلى أبعد حد، فهو الإجابة عن هذا السؤال. كثير من المؤلفين الذين كتبوا حول هذا الموضوع مقتنعون أن الإجابة هي : نعم. ففي النهاية، حين يمضي الأطفال وقتاً طويلاً في مشاهدة التلفاز، فمعنى هذا أنهم يمضون وقتاً طويلاً في الجلوس بدلاً من الخروج للعب في باحة المنزل، أليس كذلك؟ المشكلة في هذه الطريقة من التفكير هي افتراضها أن الأطفال سيمضون وقتهم

لم يعد الأمر مقتصراً على الفتيات

فيما سبق، كان على ما يبدو أن العرف الساري في البحث في موضوع صورة الجسم يركز بشكل رئيس على النساء. ولكن بسبب تزايد عدد الرجال الذي يستعرضون عضلاتهم وأجسامهم في وسائل الإعلام أكثر من أي وقت مضى، فسرعان ما التحق البحث بالركب وغطى النقص.

إنها ليست مشكلة مقتصرة على النساء وحدهن. فقد توصل الباحثون من مثل بيرد و غريف إلى أن الجنسين كليهما عرضة للتأثر. حيث كشفت الدراسات التي أجريت على الأطفال في مرحلة ما قبل المراهقة أن خمساً وثلاثين بالمئة من الجنسين، الفتيان والفتيات، يبدون عدم رضا حيال أجسامهم. إلا أنهم ما إن يضحوا في مرحلة المراهقة يتراجع عدم الرضا لدى الفتيان. ومن بين أولئك الذين ما يزالون يشعرون بالانزعاج، نصفهم فقط من يرغب فعلاً في الخسارة من وزنه. المثير للاهتمام أن نصف الصبية ما قبل المراهقة لا يرغبون بخسارة الوزن، بل بالأحرى يريدون أن يصبحوا أضخم. إذ يعتقد أنه بالنسبة لعقلية الصبية في هذه المرحلة، تتفوق الرغبة في حيازة عضلات مفتولة على أن يكونوا ببساطة أكثر نحولاً.

في النشــاط البدني، لــولا مكوثهم لصيقين بالتلفاز. هــذا ليس صحيحاً، فالدراسات متفاوتة النتائج في هذا السياق. فالبعض لا يجد فرقاً في الوقت الذي يصرف على اللعب والنشــاط البدني بين الأطفال الذين يكثرون من مشاهدة التلفاز، وبين أولئك المقلين في مشاهدته. من ناحية ثانية لقد عثرت دراســات أخــرى على فروق، غــير أنها تنزع لأن تكون صغــيرة للغاية. فإذاً يمكننا القول وسطياً أن الإقلال من مشاهدة التلفاز لا يعني بالضرورة وقتاً أطول في اللعب أو النشاط البدني.

ومــع ذلك فــإن هذا لا يعــني أن تعامــل أولادك المراهقــين بإفراط مع التلفاز، الحاســوب، وألعاب الفيديو لــن يفضي إلى البدانة. فقضية البدانة قضية معقدة لا يمكن إيجاد التفســير لها بسهولة ، و القول بأن مردها هو الإفراط في مشــاهدة التلفاز. إذ من غير الواضح ما إذا كان المكوث أمام التلفاز هو ما يسبب زيادة الوزن للأطفال، أم أنهم يمضون وقتاً طويلاً أمام التلفــاز لأنهم في الأصل يعانون من وزن زائد، ممــا يجعلهم بالتالي زاهدين في النشاط البدني.

وعموماً تســتمر المحاولة للعثور على صلة بين البدانة وبين الاســتعمال المفرط لوسائل الإعلام، جارة وراءها تاريخاً طويلاً من التأثيرات المتناقضة، أو في بعــض الحــالات تغيب تلك التأثيرات أساســاً. وأياً كان الحال، يجب عليك أن تبقى يقظاً. فإن كان ولدك يمضي بالمجموع أربع ساعات فأكثر يومياً باســتخدام التلفاز، أو ألعاب الفيديو، أو الحاسوب، فلك الحق فعلاً في أن تهتــم للأمر، وتدفعهم إلى الخروج والتفاعل مع العالم الخارجي على نحــو أكبر. ولعلهم لن يخســروا الــوزن، غير أنهم حتماً سيعيشــون طفولة أكثر نشاطاً.

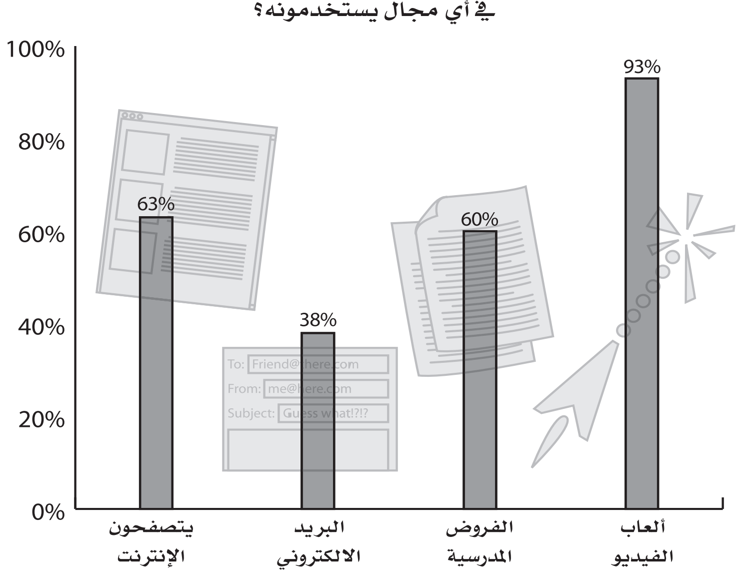
الحاسوب والإنترنت

حتى هذه المرحلة من حياتهم، كان استخدام الأطفال للإنترنت، على الأقل النمطيين منهم، شبيهاً بعض الشيء بمن يبلل إصبع قدمه في بركة السباحة. شيء من (الدردشة)، وربما بعض من (البريد الإلكتروني)، وأكثر قليلاً من تصفح الإنترنت.

ولكن كثيراً ما تأخذ أنواع النشاطات على الإنترنت منحىً جدياً خلال سنوات المراهقة. فقد بات المراهقون مستعدين لاكتشاف مواقع تتناغم مع هواياتهم واهتماماتهم، وغالباً دون توجيه ذويهم. ومن المدرسة وحدها سيكونون قد تعلموا كيفية القيام بالبحث عبر الإنترنت. أتذكر الموسوعات التي كانت بدايتنا معها في مكتبة المدرسة؟ كثيراً ما يتم استقاء معلوماتها إلكترونياً الآن. ولعلك تذكر صديق المراسلة ذاك الذي شجعك معلمك على مراسلته ، اليوم تعد الإنترنت بمثابة ستيروئيدات صداقات المراسلة، وباتت تطوي المسافات وتسهل التواصل بين الأطراف المتباعدة.

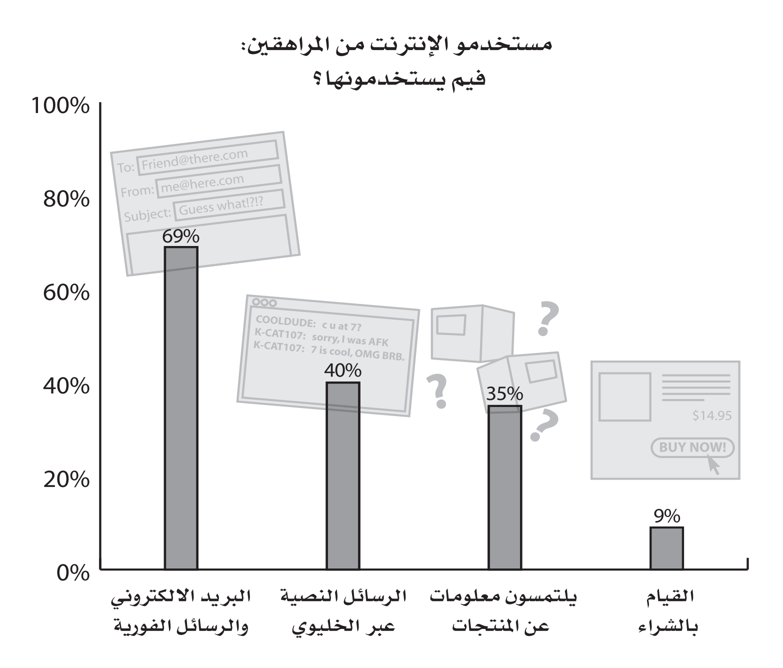
لنلق نظرة على ما يفعله على الأرجح ولدك المراهق على الإنترنت: كما ستظهر المخططات البيانية في الصفحة التالية أن استخدام الإنترنت يتنامى بشكل ضخم خلال سنوات المراهقة. ويتحول تصفح الإنترنت سريعاً من تحت مظلة سيطرة الوالدين، إلى ما يتراءى في بعض الأحيان أنه انعدام مطلق لسيطرتهما! ولا يظل استخدامهم للإنترنت مقتصراً على الجوانب التعليمية، إذ يتعلمون العثور على معلومات عن المنتجات، رغم أنهم قلة نادرة فقط هم من يقومون بالشراء مباشرة (ولأسباب سنناقشها بعد قليل، نجد أنه من الجيد وصول هذه النسبة لاحقاً إلى رقم من مرتبتين).

المراهقــون يتحولــون إلى خـبراء في الاتصــالات. البريــد الإلكتروني، الهواتــف الخليويــة، الرســائل الفورية، وغـرف الدردشــة جميعها تضحي سريعاً وسائل اتصال يحمل كل منها ميزات خاصة بها.



المصدر: بيو إنترنت ومشروع الحياة الأمريكية

ربما لهذا السبب، سيبدأ ابنك أو ابنتك المراهقان بتخيّر وسائل الاتصال وفقاً لحاجاتهما. فبالفعل لقد أظهرت الدراسات أن المراهقين يتجهون بتزايد إلى اســتخدام الرسائل الفورية لغرض نشر الإشاعات، أما الرسائل النصية فوظيفتها المغازلة وتنظيم الخطط.



المصدر: بيو إنترنت ومشروع الحياة الأمريكية

إلا أن القدرة العظيمة يرافقها مسؤوليات كبيرة كذلك. فاحتمالات التعرض للأذى أو إلحاقه بالآخرين واقعية للغاية في عالم الإنترنت. لذا فإن أذية الإنترنت لا تقل شدة عن مكافئاتها في عالم الواقع.

التنمّر[1] الحاسوبي:

للأسف لقد وجد التنمر طريقه من باحة المدرسة إلى شبكة الإنترنت. يُخبر ثلثا الأطفال في سن المراهقة أن هناك من تنمر عليهم بشكل شخصي، في حين كان ثلثهم ضحية التنمر على الإنترنت.

---

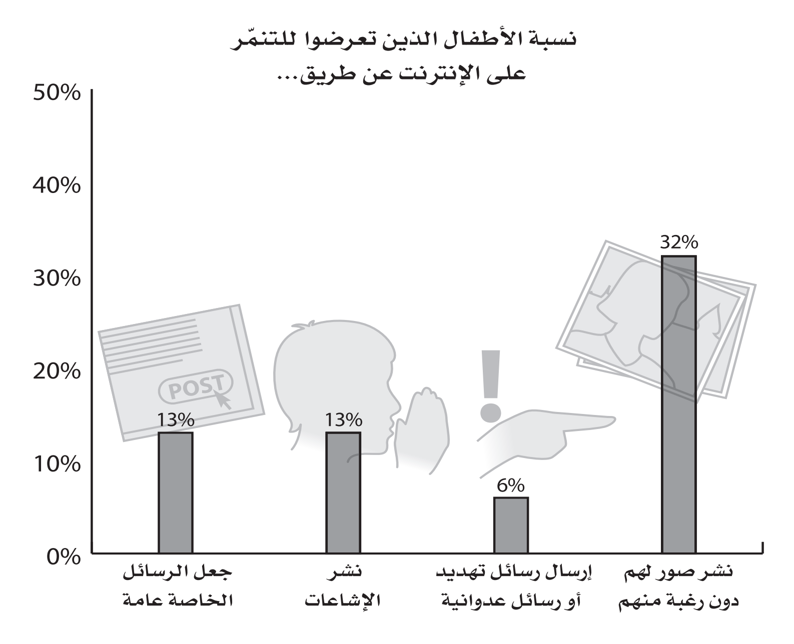
١ التنمر: هو محاولة الطفل السيطرة على زملاءه والتحكم بتصرفاتهم مما يُضايقهم.

فمــا هــو إذاً التنمر على الإنترنــت؟ إنه يتمثل في تلقّي رســائل تهديد، أومشاركة الآخرين بشكل متعمد لمعلومات خاصة تخص أحدهم، بهدف أذيته نفســياً، ســواء عن طريق نصوص أو صور (كالمحرج منها)، أو نشر الإشاعات المسيئة، جميعها عن طريق وسائل الاتصال الإلكترونية.

عندما يتذكر المرء التنمر في ساحة اللعب تتداعى إلى ذهنه صورة طفل يعامله بخشونة الولد الأضخم حجماً في الحي. أما على الإنترنت فترى الفتيات هن اللاتي يقمن بشــن الهجومات الأكثر حدة. حيث وصلت نســبة الفتيات اللاتي باشرن بالتنمر الحاسوبي نسبة ٣٨٪ مقابل ٢٦٪ من الفتيان.

يمكــن للتنمر الحاســوبي أن يشــكل مصــدراً للإزعــاج، لكن في بعــض الأحيــان قد يصل الأمر إلى أبعد من ذلــك بكثير. فالأذى الناتج عن التهديدات قد يســتحيل أذى جسدياً. كما يمكن في بعض الأحيان للأذى النفســي الناجم عن التنمر الحاسوبي أن يكون أمضى وأبعد أثراً بكثير، لأنه من الأيســر كثيراً جعــل التصرفات علنية، وبالتالــي فإن المجال متاح أمام الكثيرين «ليشــهدوا» على هذا التنمر. خذ مثالاً من مجموعة وضعها بيــو إنترنت ومشــروع الحياة الأمريكية تحت مجهــر البحث، حيث كان «أخــرق» صف التشــريح هو من يتلقى الهجمات. تكتــب إحدى الفتيات في صفه عن الأمر فتقول:

«إنه لا يفتأ يرغب في العمل مع مجموعتنا، وأنا أكره ذلك. فبدأنا بعمل هذا الشيء، الذي أطلقته إحدى الفتيات في صفي على موقع ماي سبيس، وجعلتــه بعنوان: أنا أكره [اسماً]. بحيث يتمكن جميع من في المدرســة من الدخول إلى تلك الصفحة لإرســال تعليقات ســيئة عن ذاك الفتى». لا بد من أنه موقف لا تريد حتماً لولدك القيام به أو التعرض له.



المصدر: بيو إنترنت ومشروع الحياة الأمريكية

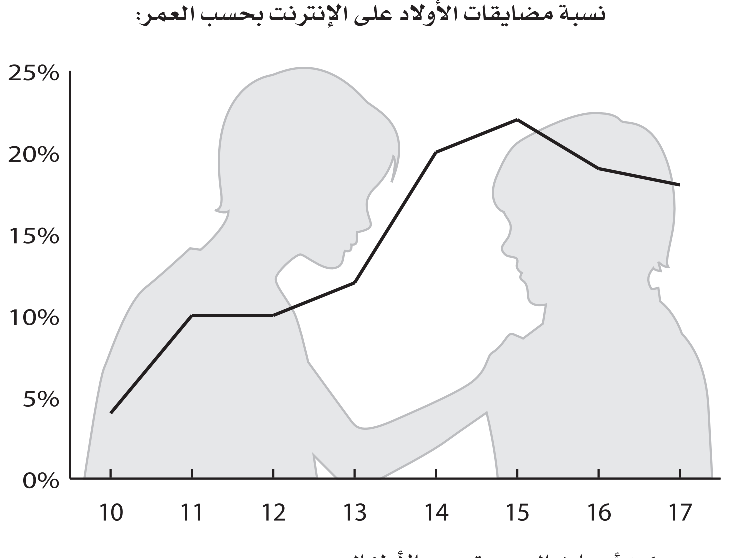
وبما أننا بصدد الحديث عن موقع ماي سبيس MySpace، فمن الضروري أن تدرك أنه في حال كان طفلك على صلة بالبريد الإلكتروني وغرف الدردشة ومثيلاتها، فهو على الأغلب أكثر عرضة بكثير لأن يقع ضحية التنمر الحاسوبي ؛ لأن غالبيته يحدث في هذه المواقع العامة. إذ إن من يستخدمون مواقع شبكات اجتماعية عامة هم عرضة للتنمر الحاسوبي تقريباً ضعف أولئك الذين لا يستخدمون مثل هذه المواقع.

وبالطبع هناك أنواع للتنمر الحاسوبي. فقد تسبب الثرثرة حول أمور تافهة إزعاجاً، لكن التنمر المرتبط بجرائم الكراهية[1]، أو التهديدات

١- جرائم الكراهية: هي الجرائم التي يحفز وقوعها الكره أو التعصب أو التحامل على ديانة الشخص الآخر، أو انتماءاته العرقية، أو توجهاته الجنسية. [المترجمة]

بممارسة العنف الجسدي، أو المضايقات المرتبطة جميعها بالإنترنت لا يجوز الاستهانة بها. تعرّف المضايقات على أنها تهديدات بتوجيه الإهانة أو الأذى ليافع، أو أسرته، أو أصدقائه، أو شيء من ممتلكاته، أو ما قد يتجلى بمحاولات سمجة لإذلاله. ولا شك في أن أطفال مرحلة ما قبل المراهقة ليسوا مستهدفين بدرجة المراهقين الأكبر سناً. وكما ترى، هناك ما يثير القلق حيال هذه المسألة حتى في الفئات العمرية الأصغر:

نسبة مضايقات الأولاد على الإنترنت بحسب العمر:



المصدر: مركز أبحاث الجريمة ضد الأطفال

فمن هم مرتكبو هذه الأفعال؟ في الأغلب هم الأقران. وكيف يؤثر ذلك على الأولاد قبل المراهقة أو أثناءها؟ ذكر ثلثهم أنهم شعروا بانزعاج حاد عند وقوع الحادثة، في حين أبلغ واحد من أصل كل خمسة أنهم شعروا بالخوف الشديد حينها.

إحدى مشاكل التنمر الحاسوبي أنه، كما هو الحال في أشكال التنمر الأخرى، قرابة نصف الأولاد أو البنات فقط ممن يتعرضون للتنمر هم من يبلغون ذويهم بالأمر. ومن ناحية أخرى، معظم الأهل ليس لديه أي فكرة عما ينبغي فعله بمعلومة كهذه. فالتوجه إلى المصدر، أي إلى والدَي المتنمر، غالباً ما يفضي إلى نتائج كارثية، إذ سيغدو لدى المتنمر أسباب وجيهة أكثر من ذي قبل ليتنمر.

ما الذي بمقدورك فعله إن تعرض ولدك المراهق للتنمّر الحاسوبي؟

مرة أخرى الخطوة الأولى على طريق الحل هي في التطعيم (أي الوقاية). وأعني في هذه الحالة أنك حين تبلغ لولدك، سواء كان في مرحلة المراهقة أو ما قبلها، أنك تعرف ما هو التنمر الحاسوبي، وأنه ينبغي له الاطمئنان إلى قدرته على إخبارك في حال تعرض لشيء مماثل، فإنك بذلك تضاعف من احتمالات بقائك بعيداً عن الأهل الذين وصلت نسبتهم إلى النصف تقريباً، ممن لا يملكون أدنى فكرة عن الموضوع حين تعرض أولادهم للتنمر. ويا حبذا لو أننا نستطيع جميعاً التخلي عن الموقف الدفاعي «إن ولدي لا يمكن أن يأتي بفعل كهذا مطلقاً!»، إذ من المهم أن ندرك أن تبادلنا الحديث في هذا الموضوع مع أبنائنا سيتيح لنا الفرصة لنُفْهِمَهُم أنَّنا ما كنا لنسمح قط بأن يقوموا هم بدورهم بالتنمر على أشخاص آخرين.

حسناً فإذاً ما الذي ينبغي القيام به عند وقوع التنمر الحاسوبي؟ يقترح الخبراء عدة ردود فعل، وأولها وأفضلها جميعاً هو عدم الإتيان بأي ردة فعل. على طفلك ألا يستجيب للتنمر بأي رد فعل من أي نوع على الإطلاق. ثانيها، هو أن تتأكد من حفظ الأدلة كافة في حال احتجت إليها يوماً ما. تعلم كيفية التقاط صورة لما تعرضه شاشة الحاسوب كيما تتمكن من حفظ الدليل أو طباعة.

واحدة من مشاكل التنمر الحاسوبي هو أنه كثيراً ما ينبع من مصدر مجهول الهوية. وعلى أي حال، إن كان التنمر يتوعد بالإيذاء، وإن كانت لديك أسبابك الكافية لتقلق من أن يمثل هذا الأمر جريمة أو يفضي إليها ، فهناك أساليب بديلة في الاقتفاء يمكن للشرطة اتباعها. ويتوجب عليك إعلام الشرطة في حال كان هناك تهديدات بالعنف بشكل خاص، أو في حال شهدت صوراً إباحية للأطفال، أو ما يدل على جريمة كراهية.

وطبعاً هناك على الدوام خيار الاتصال مع والِدَي المتنمر. في كثير من الحالات سيكون الوالدان في حالة إنكار، لا يصدقان معها أن ملاكهما الرقيق يمكن أن يفعل شيئاً كهذا. وهناك من الأهل من يعون تماماً ما يجري، ومع ذلك يختارون لأسباب متنوعة عدم التدخل في الأمر. يوصي غالبية الخبراء في هذا الموضوع أن تقوم بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العائلة قبل اتخاذك القرار بالتدخل أو عدم التدخل . ويقترح بعضهم أن تقول إنك قد وجدت دليل التنمر على الحاسوب مصادفة، وأن طفلك غافل تماماً عن اتصالك معهم (بغض النظر عما إذا كان ذلك صحيحاً أم لا)، وذلك في سبيل حمايته من أي ردود فعل سلبية. وأخيراً، من المستحسن أن تتواصل مع الأهل كتابياً مدعّماً بالدليل. وافعل ذلك على أبسط وجه ممكن وأكثره صراحة ، عارضاً الحقائق وحسب. واطلب إليهم ببساطة أن يفعلوا ما بوسعهم للحيلولة دون استمرار التنمر.

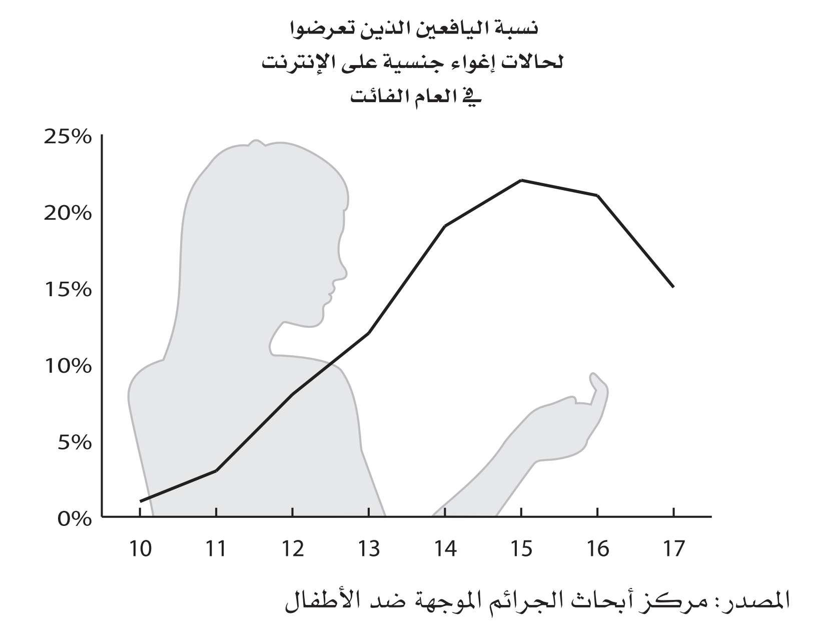
وآخر السبل التي يمكن للمرء أن يسلكها هو مدرسة طفلك. فقد باتت كثير من المدارس اليوم جزءاً من حملة مضادة للتنمر، كما أنه ولا بد من أن فيها إجراءات جاهزة يمكن اتخاذها في حال وقوع التنمر. وبالفعل، هناك كثير من الولايات اليوم التي تطالب المدارس بوجود برنامج رسمي للتعامل مع هذا الأمر.

وفي النهاية، احرص على أن يدرك طفلك أنه ليس وحيداً، فأنت موجود دائماً لمؤازرته. واعرض عليه الحقائق؛ وهي أن ثلثي الأطفال يتعرضون للتنمر في وقت ما من حياتهم. قد يتراءى لهم أنه قد تم اختيارهم ضحية لسبب وجيه. الحقيقة أن هذا ليس صحيحاً في حالات كثيرة جداً، وحتى وإن كان كذلك، فليتذكروا أن حالهم هو حال العديد من رفاقهم في الصف.

ضواري الإنترنت:

سنستقي أرقامنا هنا من بيانات مركز أبحاث الجرائم الموجهة ضد الأطفال. فلنفترض أن طفلك المراهق في الصف السادس، إلى جانب مئة آخرين من أطفال الصف السادس. فكم منهم تلقى تلميحات أو محاولات إغواء جنسية على الإنترنت خلال العام الفائت؟ إنهم عشرون. ويقدر بأن ثلاثة منها على الأقل قد أفضت إلى توسلات عدوانية، كطلب اللقاء في مكان ما، أو الاتصال بهاتف معين، أو إرسال الرسائل.

والآن عندما تضيف نسبة من تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشر جميعاً، والذين يقارب عددهم أربعاً وثلاثين مليوناً، نصبح بصدد الحديث عما يزيد على المليون فتى وفتاة ممن يتلقون إغواءات جنسية عدوانية من غرباء على الإنترنت سنوياً. ففي كل ثانية هناك خمسون ألفاً من ضواري الإنترنت الذين يجلسون و «يعملون». ولأن الشبيبة المراهقة يخشون منعهم من دخول الإنترنت، فواحد فقط من كل عشرة هم من يخبرون ذويهم في حال تلقوا هذه الإغواءات. (رغم أن واحداً على الأقل من أصل ستة، يخبرون شخصاً بالغاً آخر غير الأهل عن الأمر).



المصدر: مركز أبحاث الجرائم الموجهة ضد الأطفال

كما يوضح المخطط البياني في الأعلى، تحدث معظم محاولات الإغواء تلك خلال سنوات المراهقة. غير أن التلميحات الجنسية غير المرغوبة تبدأ مع سن العاشرة. تشكل الفتيات ثلثي الفئة المستهدفة لهذه التلميحات غير المرغوبة. وفي حين أنَّ معظم المستهدفين كانوا في سنوات المراهقة، فقد عبر من كانوا في مرحلة ما قبل المراهقة عند تلقيهم إياها عن انزعاجهم الشديد بسبب تلك التلميحات.

من المهم التنويه إلى أن الإغواءات الجنسية جميعها تقريباً تصدر عن غرباء سبق للأطفال التقاءهم على الإنترنت من قبل مرة على الأقل. سواء كان ذلك في غرف المحادثة، أو عن طريق البريد الإلكتروني. في الحقيقة إنه لأمر جوهري أن ندرك إحصائية واحدة على أكمل وجه وأكثر من

أي إحصائيَّة أخرى، ألا وهي أن ثلث المراهقين يقرون بأنهم قد تحدثوا مع أحد الغرباء عن اللقاء بشكل شخصي. فإذاً أرجوكم، لا تفترضوا سلفاً أن «أولادي لن يفعلوا قط...»، بل حري بنا أن نتبنى مقاربة تفترض أننا لسنا بمأمن قط.

برنامجك الوقائي ضد ضواري الإنترنت

إليكم عشر قواعد للمسير، تم تطويرها من قبل protectkids.com. فاحرصوا على مشاركتها مع أولادكم، وعلى استيعابهم لها:

1. **لا تقم مطلقاً ولا بأي حال من الأحوال بالتصريح عن معلومات شخصية كالاسم، أو العنوان، أو رقم الهاتف.**
2. **لا تجتمع شخصياً قط مع أشخاص التقيتهم عبر الإنترنت.**
3. **لا تستخدم غرف الدردشة.**
4. **لا تخبر عن معلومات تتعلق ببرنامج أعمالك: مثل أين ستكون، وما إذا كان والداك في المنزل أم لا، أو متى يقيمان ومتى يغيبان. (لا تفعل حتى مع أصدقائك، فإن أردت إخبارهم فافعل ذلك هاتفياً أو بشكل شخصي ولكن ليس على الإنترنت).**
5. **لا تستجب بتاتاً لطلبات أشخاص جدد على الإنترنت، واطلب إلى والديك التحقق من طلبهم أولاً.**
6. **لا تدخل قط مكاناً على الإنترنت يكلّف مالاً دون إذن من والديك.**
7. **لا ترسل صورتك الشخصية على الإطلاق إلى الإنترنت.**
8. **لا تشتر منتجاً أو تستخدم البطاقة الائتمانية على الإنترنت بتاتاً دون إذن والديك.**
9. **قم على الدوام، وبشكل فوري، بإنهاء أي خبرة تتعرض لها على الإنترنت وتشعرك بعدم الارتياح.**
10. **بادر على الدوام بإخبار والدتك أو والدك عما سبب لك الإزعاج على الإنترنت.**

فيـم يتحـدث ضـواري الإنترنـت؟ يطلـب الكثـير منهم مـن الأطفال المسـتهدفين أن يتحدثوا بالجنس في غرف دردشـة صُمِّمَت لإثارة الشخص الضاري. في حين يحاول آخرون أن يستفتحوا الحديث مع الأطفال بسؤالهم عـن قياسـات معينة تفضي فيمـا بعد إلى أسـئلة عما يفعله المسـتهدَف في الأمور الجنسية، أو إلى عبارات تشرح ما يحب الضاري القيام به في الأمور الجنسـية. الهدف من هذه «المداعبات الجنسـية الاستهلالية» هو في الغالب الوصول إلى الاجتماع شخصياً. فهل يستخدم طفلك غرفَ الدردشة بشكل عـام (وليس المقصود هنا غرف كلوب بينغوان، بل النسـخ الأكثر نضجاً منهـا)؟ إن كان يفعل فهناك احتمال عشـرين بالمائـة أن يكون قد تعرض لمحاولات التقرب ممن لديهم شذوذ حب الأطفال.

ما الذي بمقدورك فعله لتساعدي طفلك على تحاشي ضواري الإنترنت؟ أن تتحدثي إلى أطفالك عن «صداقات» الإنترنت، وأن تحرصي على جعلهم يعـون أن هـؤلاء غربـاء عنهم. فهـذه الضـراوة لا تبدأ مباشـرة بالإغواءات الجنسـية، بل تبدأ باسـتمالة الأطفال من خلال إفساح المجال لهم ليتحدثوا عن هواياتهم، اهتماماتهم، إلخ. فهؤلاء الضواري على علم بأن عليهم حماية الأطفال بداية ليقيموا معهم علاقة يشعرون فيها بالارتياح. لذا تأكدي من أن يدرك طفلك كيفية عملهم.

بمقـدورك أيضـاً الاطـلاع علـى تفاعـلات ولـدك على الإنترنـت بأن تسـتخدمي ميـزات المراقبـة الموجـودة في برنامـج ترشـيح الإنترنـت الذي تسـتخدمينه. وبأن تسـتعرضي الرسـائل الواردة إلى طفلـك برمتها، كي تكوني على بينة بهوية من يستلم رسائل منهم (سواء كانت إلكترونية أم بريدية). وكذلك الحال بالنسبة لاتصالاتهم الهاتفية.

لا بـد بالطبع من احـترام خصوصياتهم، إنما لا مجال للاسـتغناء عن الإشـراف، فلتجدي سبيلك إلى وضع وسـطي متوازن. فإن كنت تعتقدين قطعـاً بوجود مشـكلة ما، فـلا بأس عليك مـن أن تحظـري الدخول إلى غـرف الدردشـة، رغم أنـي لا أحبذ هـذا التوجـه لأن الأطفال سـيعثرون حتماً على طريقة للالتفاف عليه. (بالفعل، لقد أظهرت دراسـات حديثة أن قرابة التسـعين بالمئة من الأطفال يقولون أنهم يستطيعون الدخول إلى غرف الدردشة دون علم والديهم).

الإدمـان على الإنترنت:

الأخـير من بـين محاذير الإنترنت الـتي يمكن تجنبهـا بالتطعيم، هو الإدمـان على الإنترنت. إن الحقيقة المحزنة هي أن النسـبة وصلت إلى ثلاثة بالمئـة ممن يمكـن تصنيفهم علـى أنهم مدمنـون على الإنترنـت، من بين المجموع الكلي لمسـتخدميها. فمـا الإدمان على الإنترنـت؟ باختصار، إنه

أسئلة مفاجئة

إن استشـعرت يومـاً بوجـود مشـكلة مع ضـواري الإنترنـت، فإليك بعض الأسـئلة الـتي يقـترح موقـع حمايـة الأطفـال protectkids.com أن تطرحوها على أطفالكم:

١.هل شاهدت أي صور إباحية؟

٢.هل وجه إليك أي شخص على الإنترنت حديثاً قذراً؟

٣.هل التقيت بأحد على الإنترنت لا تعرفه سلفاً؟

٤.هل سألك أحدهم عن معلومات شخصية؟

٥.هل طلب أحدهم اللقاء بك شخصياً؟

الحالة التي تجعلك تمضي الساعات الطوال على الإنترنت، وحين لا تكون كذلك فإن أفكارك إما أن يهيمن عليها ما كان في جلستك الأخيرة على الإنترنت، أو أنها تتوجه إلى ما ستفعله في الجلسة القادمة. وشأنه شأن أشكال الإدمان الأخرى، يمكن للإدمان على الإنترنت أن يقسم إلى مجموعة من العناصر المفتاحية:

١. الفوران: حين يضحي استخدام الإنترنت هو النشاط الأكثر تسلية وإمتاعاً في حياة المرء.

٢. تعديل المزاج: حين تضحي الإنترنت السبيل الأساسي للخلاص من المزاج السيء والرفع من سوية المزاج الطيب.

٣. التحمل: في كل مرة يحتاج المرء المزيد فالمزيد من الوقت على الإنترنت ليحصل على الرضا أو تعديلات المزاج التي يبغيها.

٤. أعراض الانسحاب: عدم الجلوس على الإنترنت يبعث الشعور بالضيق.

٥. التضارب: تشكل تمضية الوقت على الإنترنت الخيار الأول، حتى في حال تعارضها مع نشاطات أخرى كالواجبات المدرسية والنوم، بل وأيضاً العمل لدى البالغين أو المراهقين الأكبر سناً.

٦. الانتكاس: وذلك في الحالات التي يتم فيها الابتعاد عن الإنترنت لفترات معينة، إذ يتبعها الشعور بحاجة مضاعفة للاتصال ثانية.

في حين لا يفتأ العلماء يجادلون فيما إذا كان للناس القابلية الحقيقية للإدمان على الإنترنت بحد ذاتها أو على نشاطات معينة يمارسونها من خلالها (كالألعاب، القمار، الجنس، الصور الإباحية، أو الإدمان على تطوير علاقات عبر الإنترنت)، أعتقد بدوري أن العبرة هنا تتلخص في أننا نلامس حالة وصل فيها الأمر الحسن إلى حد الإفراط المذموم.

يعتقد البعض أن مظاهر الإدمان تطفو إلى السطح خلال سنوات الجامعة الأولى التي تستهل مرحلة الرشد، ولكن لا شك هناك حالات موثقة عن سوء استخدام الإنترنت في مرحلة المراهقة وحتى ما قبلها كذلك.

من بين جميع المخاطر التي يسردها هذا الكتاب، فإن الإدمان على الإنترنت على الأرجح هو الأقل شيوعاً بينها. ومع ذلك فمن الواضح أنه يتوجب عليك عدم السماح بتمضية وقت زائد عن الحد المقبول على الإنترنت، كما هو الحال بالنسبة للوقت المسموح به على التلفاز. فإن بدا لك أن ولدك يطلب الإذن بالولوج إلى عالم الإنترنت أكثر من أي نشاط آخر، فتحدثي إليه لتفهمي أسبابه. فإن باتت مطالبه والوقت الفعلي الذي يمضيه على الإنترنت مسألة تستحق الوقوف عندها، فلتحادثيه في الأمر محاولة الوصول إلى تسوية مناسبة.

ألعاب الفيديو

بونغ، غزاة الفضاء، غالغا، والحمار كونغ، أتذكر ألعاب الماضي المجيدة؟ أيام كانت ألعاب الفيديو المنزلية بالكاد تكون ملائمة، ومع ذلك فقد أَسَرت خيال الأطفال برسوماتها الفظيعة. وحين كان جهاز الفيديو يستوعب عشر ألعاب فقط. أما اليوم فقد غدت أجهزة الفيديو تحدد ما ستستقبل نظراً لوجود العديد من الخيارات. غير أن هذا ليس بشيء مقارنة بأوجه الاختلاف التي باتت تميز ألعاب الفيديو المنزلية اليوم، عن تلك التي كانت متوافرة في الأيام الخوالي. فألعاب الفيديو اليوم بالكاد تترك مجالاً ضئيلاً للخيال، ببساطة لأنه ما من حاجة له. فالرسومات بديعة، والمعالجة باهرة السرعة. لقد انتقلنا من أمة لربما تملك

في أواسط الثمانينيّات أقل من ١٠٠ لعبة متوافرة، إلى واحدة صار لديها الآلاف والآلاف من الخيارات.

الأطفال جميعهم يلعبون ألعاب الفيديو، كما يخبرون. (بنسبة اثنين وتسعين بالمئة، وفقاً لإحصائيات مؤسسة كايسر الأسرية عام ٢٠٠٢). ثلثا الأطفال المراهقين يعيشون في منازل تحوي أجهزة لتشغيل ألعاب الفيديو من نوع ما، ونصف هؤلاء يملكون تلك الأجهزة في غرف نومهم. يصل استخدام هذه الألعاب إلى ذروته في سنوات ما قبل المراهقة وسنوات المرحلة المتوسطة؛ حيث يصل وسطياً إلى نصف ساعة يومياً. وتزداد المدة بين أولئك الذين يلعبونها بانتظام لتصل إلى ما يناهز الساعة يومياً. هناك واحد من أصل كل خمسة صبيان مراهقين يلعبون ألعاب الفيديو لمدة ساعة كل يوم.

تتشاطر ألعاب الفيديو الحركية والرياضية المكانة العالية ذاتها تقريباً من الشعبية لدى أطفال ما قبل المراهقة. وكذلك ألعاب المغامرات تتمتع بالشعبية كذلك. تفيدنا الإحصائيات أن تسع ألعاب من أصل كل عشر تحوي مضامين عنيفة. وأن أربعاً من أصل كل خمس من شخصيات الألعاب هي ذَكَر. لذا لعله من غير المفاجئ أن الصبية الذين يلعبون هذه الألعاب يبلغون ضعف الفتيات اللاتي يلعبنها.

وطبعاً ليست ألعاب الفيديو بمجملها سيئة، فقد عثر في الحقيقة على مجموعة من الآثار الإيجابية لها. فكما ذكر في فصول سابقة، يمكن لألعاب الفيديو أن تعلم مهارات حل المشكلات، التناسق بين وظيفتي العين واليد، مهارة الأبعاد المكانية، والتصورات الفراغية. لقد وجدت بعض الدراسات تأخر الفتيات عن الفتية في عدد من هذه المقاييس، وأن لعبهن لألعاب الفيديو يعطيهن دفعاً قوياً للأمام لتدارك ما كان ينقصهن.

بالطبع عندما يتعلق الأمر بالحديث عن ألعاب الفيديو، فسنجد مقابل كل شيء لطيف يقال عنها، حوالي العشرة تعليقات سلبية، إن لم تكن مئة. وليس مرد ذلك عدم فهم البالغين لها وحسب، بل لأن تلك المخاوف في محلها، ويتوجب على الأهل أن يعوها تماماً إن هم أرادوا أن يفعلوا كل ما باستطاعتهم لحماية أولادهم من وسائل الإعلام المؤذية.

عنف ألعاب الفيديو:

هل كنت تعلم أن لعبة من مثل هالو ٣ ستجني من المال أكثر من عائدات الغالبية العظمى من الأفلام التي ستصدر هذا العام؟ فالتعليقات عن هذه اللعبة على الإنترنت تنحو إلى التطرف. إذ يقف أحد الأهالي مذهولاً من أن أطفال اليوم الذين يبدون فاقدي القدرة على التخطيط المستقبلي لأكثر من الساعة أو الساعتين القادمتين، يقومون مع ذلك بالتوفير وجمع المال لأجل هذه اللعبة. والآن وقد صدرت اللعبة وباتت في المتناول فهم يلعبونها بلا انقطاع. مصدر آخر للعجب تمثّل في التالي: إن الأطفال بفترات التركيز المحدودة التي يملكونها، لديهم القدرة على الاستمرار بلعب هذه اللعبة حرفياً لساعات، دون انقطاع، ودون الحاجة ظاهرياً إلى الشرب أو الراحة. بعض المعلقين يدعون اللعبة «الشرخ الأمريكي الجديد»، مردفين بشكل أساسي أنه لا عجب في أن أمريكا في طريقها إلى الانحدار، عندما يكون مراهقوها مدمنين إلى حد كبير على ألعاب فيديو من هذه الشاكلة.

المثير للدهشة أن قلة من التعليقات فقط ذكرت العنف الموجود في اللعبة. السبب يعود بتخميني إلى أنه مقارنة بالألعاب الموجودة في هذه الأيام فإن هالو٣ طبيعية تماماً. ولكن من جديد، باعتقادي أن هذا هو مربط الفرس: فإن بات العنف هو الأمر الطبيعي، فما الذي سيكون عليه الطفل الطبيعي إذاً؟

كلما توسعت الدراسات في البحث في الآثار الناجمة عن العنف الموجود في ألعاب الفيديو، كلما تكشّفت ضخامة تلك الآثار أكثر فأكثر. أضف إلى أنها واسعة الانتشار. وفيما يلي ملخص سريع جداً لما لألعاب الفيديو القدرة على فعله.

لقد تم العثور على رابط بين ألعاب الفيديو وبين امتلاك المرء لمعايير عدوانية، على الرغم من محدودية الدليل على ما إذا كان ذاك يؤدي إلى نمط سلوك عدواني، يمكن عزوه لألعاب الفيديو. معنى هذا أن الباحثين يقارنون بين أطفال يلعبون ألعاب الفيديو، وآخرين لا يلعبونها، أو على الأقل يفعلون قليلاً فقط. فهم يطرحون على الأطفال جميعاً عدداً من الأسئلة تتراوح أجوبتها بين : المقبول تماماً، مقبول نوعاً ما، ليس مقبولاً جداً، ليس مقبولاً أبداً. وفحوى هذه الأسئلة يتضمن قيام المرء برفس أو دفع شخص ما في حالة الغضب الشديد، أو تحطيم أحد أغراض الشخص الآخر للانتقام، أو التهديد بضرب شخص قد تسبب بإغضابنا. ولا مراء، أنه في الحالات التي تضمنت انتقاماً، كان موقف أولئك الذين يلعبون ألعاب الفيديو أميل إلى القبول بهذه السلوكيات. وأظن على الأرجح أن هذا ليس بالاعتقاد الذي تريد أن يتكوّن لدى أطفالك.

وعلى نحو مشابه، توصلت أبحاث من قبيل التي أجراها كاريه ومولار إلى أن ألعاب الفيديو العنيفة تتسبب في سرعة أكبر في الغضب. ولشرح الأمر بشكل مبسط، يضحي الأطفال الذين يلعبون ألعاب فيديو عنيفة أكثر فأكثر استعداداً للأفكار والأفعال العدوانية. بحيث عندما يأتون على موقف تطرح فيه الحلول العدوانية وغير العدوانية نفسها على حد سواء، فإنهم على الأغلب سيسلكون الطريق الذي يحوي فعلاً عدوانياً.

وكحال معظم الترفيه التصويري، يوجد أثر آخر لألعاب الفيديو العنيفة، ألا وهو تبلد الأحاسيس. وتبلد الأحاسيس هو مفهوم نستكشفه أنا وطلابي في صف طرائق البحث. إذ أقوم لشرحه بعرض مقطع تسجيلي من فلم رعب، وأطلب إلى نصف عدد طلاب وطالبات صفي بقياس نبض النصف الآخر. ومن ثم أعيد عرض المقطع، إنما في هذه المرة يقوم الطلاب الذين تم قياس نبضهم في المرة الأولى بقياس نبض زملائهم الباقين. وغني عن التأكيد أن نبض طلاب المجموعة الثانية كان أقل بشكل حاد، إذ

قائمة مختصرة بتأثيرات العنف الموجود في ألعاب الفيديو

لقد وجد العلماء عدداً غير محدود ظاهرياً من الطرائق التي يمكن لألعاب الفيديو العنيفة من خلالها أن تضر بصحتك:

1. **أسلوب عدواني في عزو الأمور: تفسير بعض المواقف غير الواضحة على أنها عدائية، كمعنى شيء قيل في حديث عابر.**
2. **عدوانية تلقائية: عندما يقوم الناس بالتوحد إلى حد بعيد مع سمات شخصية سلبية، عوضاً عن تلك الإيجابية منها.**
3. **تحجر العواطف: كلما شاهدت المزيد من مشاهد العنف، كلما قل تسارع نبضك بسببها، وبت أقل اكتراثاً.**
4. **الأداء المدرسي: تراجع، وهل من حاجة لقول المزيد؟**
5. **سلوكيات عدوانية: تتجلى في جانبين، النفسي (كالمشاحنات والمجادلات، إلخ) والبدني (شجارات، إلخ).**
6. **الإدراك العدائي: بشكل جوهري، التفكير بالأفكار العدوانية.**
7. **سلوك المساعدة: المقدار الذي نسعى فيه لمساعدة الآخرين (على ما يبدو أن ألعاب الفيديو العنيفة تجعلك أقل تعاوناً مع الآخرين)**
8. **معايير عدوانية: الاعتقاد بأن السلوك العدواني مقبول اجتماعياً.**

إنَّ المشاهد المرعبة لم تعد تؤثر بالدرجة نفسها في المرة الثانية لأنك تعرف سلفاً ما سيحدث.

والآن كرر هذه التجربة كل يوم لمدة عشر سنوات، فهل تعتقد أن العنف الموجود في وسائل الإعلام قد يؤثر في الطريقة التي نشعر بها تجاه العنف، وفي مدى التعاطف الذي نشعر به تجاه الآخرين؟ لقد توصلت الدراسات، واحدة تلو الأخرى، كالتي أجراها فانك وزملاؤه، إلى أننا غدونا مجتمعاً أضحى فيه أولئك الذين يستغرقون فيما تقدمه وسائل الإعلام، على نحو غير متجانس أقل تعاطفاً وأكثر تبلداً تجاه العنف.

إحدى المشكلات التي تطرحها ألعاب الفيديو العنيفة تكمن، لا في الألعاب نفسها، بل في الفئة العمرية التي تجتذبها أكثر من أي فئة أخرى، ألا وهي سن المراهقة. فقد توصلت عدة دراسات إلى أن تأثيرها على الأطفال من الصف السابع وحتى العاشر، أسوأ مما هو على البالغين، الذين نعتقد أنهم أكثر نضجاً، وبالتالي أكثر قدرة على التعامل مع العنف التخيلي الموجود في الألعاب. في الواقع لا يقتصر أثر ألعاب الفيديو العنيفة على المراهقين على تراجع تحصيلهم الدراسي وحسب، بل يتعداه إلى أنهم يدخلون في مشاجرات أكثر من غيرهم، وفي جدالات مع مدرّسيهم، وهم أكثر عدائية بصورة عامة. والمثير للقلق بزوغ دلائل على ألعاب الفيديو كالمسار الحلزوني هبوطاً. بمعنى أنه كلما لعبت أكثر، كلما تدنت سلوكياتك أكثر.

إن ألعاب الفيديو العنيفة لا تعمل على زيادة الأفكار العدوانية لدى أطفالنا في مرحلة المراهقة وما قبلها وكذلك الأفعال، بل بمقدورها كذلك أن تنقص من عدد من السلوكيات الإيجابية، بما فيها

السلوكيات الاجتماعية التي طمعنا في أن يمتلكها أطفالنا في الفصول السابقة. فالألعاب العنيفة إذاً لا تنمّي العدوانية وحسب، بل تخفض من درجة اهتمامنا بالآخرين.

وبالطبع، ليس الفتيان وحدهم من يحظون بالمتعة كلها. فقد كان هناك طَرْحٌ يفيد بأن الفتيات بمأمن بعض الشيء من التأثر بقوة بالعوامل المحفزة للعدوانية، والموجودة في ألعاب الفيديو، كما هو حال الفتيان. إذ بلا شك، غالباً ما يلعب الفتيان ألعاب الفيديو العنيفة أكثر بكثير من الفتيات. وتعود محدودية تأثر الفتيات إلى حدٍّ ما إلى كون الفتيات لا يتمنين أن يكن الشخصية الرئيسة في اللعبة كما يفعل الفتيان. وقد تم الإدراك مؤخراً أن السبب في ذلك يكمن بدرجة كبيرة في أن الشخصيات الأنثوية المتوافرة للاقتداء بها هي قليلة جداً. ولكن في هذه الأيام بت تجد

نجم لعبة الفيديو هو بطلي الأمثل

من الطبيعي بالنسبة للأطفال أن يتخيلوا أن يأخذوا مكان أحد شخصيات فِلْم أو لعبة فيديو. لكن لعله ليس بالأمر الجيد لطفلك أن يرغب كثيراً في أن يكون شخصية رئيسة في لعبة فيديو عنيفة. ففي تجربة أجراها كونيجن، بيجفانغ، وبوشمان تم وضع مجموعة من المراهقين للاختبار في مهمة سمح لهم فيها بإصدار أصوات عالية تجاه شركائهم في المهمة. فما كان من أولئك المواظبين على ألعاب الفيديو العنيفة إلا أن صكوا أسماع شركائهم بأصوات عالية لدرجة يمكن معها أن تتسبب في ضرر سمعي. وإن لم يكن هذا سيئاً كفاية، فقد وجد الباحثون أن الأطفال الذين يلعبون ألعاب الفيديو العنيفة، وأيضاً يتحرقون شوقاً لأن يكونوا كالشخصيات الرئيسة فيها، كانوا أصحاب الأصوات الأصخب على الإطلاق، على الرغم من أنها كانت بوضوح تؤذي شركاءهم.

المزيد والمزيد من الشخصيات الأنثوية في أكثر الألعاب عنفاً. ولا عجب في أن تجد الدراسات أن الفتيات اللواتي يشعرن بالانتماء إلى هذه الأنماط من شخصيات الألعاب الأنثوية، هي الأكثر تأثراً بالمضامين العنفية لهذه الألعاب. لذا فمن المؤسف أن نجد أن عالم ألعاب الفيديو العنيفة لم يعد عالماً ذكورياً فقط.

ما الذي بمقدروك فعله بخصوص ألعاب الفيديو العنيفة؟

فإذاً، ما الذي يمكن فعله للتخفيف من الأثر السلبي لألعاب الفيديو العنيفة؟ الخطوة الأولى طبعاً تقضي إما بعدم السماح كلية بلعب ألعاب محددة، أو بالحد من استخدامها. يقع الاختيار على عاتق كل أسرة، ووفقاً لما يراه الأهل عند موازنة رد الفعل السلبي الذي قد ينشأ لدى الأطفال جراء الحظر الكلي للألعاب العنيفة (آخذين بعين الاعتبار أنه بمقدور أولادهم على الأغلب الذهاب إلى منزل أحد ما ولعبها بأي حال، وبعيداً عن مراقبتهم)، مع الأثر الملطّف للاستخدام المعتدل لهذه الألعاب.

ولكن أياً كان قرارك فتذكر على الدوام، أنه كلما تواصلت مع ولدك أكثر، كلما بدا تراجع في قدرة ألعاب الفيديو على تحفيز العدوانية لديه. فإجمالاً، ما من «جرعة سحرية» تختصر أثر ألعاب الفيديو العنيفة. إنما الاستراتيجية الأفضل هي في فهم آثار هذه الألعاب، وإيجاد طرائق لنقلها إلى أبنائك، لتزودهم بذلك بعرض للأسباب التي تحثك على الحد من التعرض لمثل هذه الألعاب. فإن وجدت الحظر الصريح لبعض أسماء الألعاب صعباً، فعليك بما قد يكون السبيل الأسهل، وهو السماح بالألعاب التي يختارها أولادك، ومن ثم الحد من عدد الساعات التي يسمح فيها لولدك باللعب بأي لعبة، مهما كانت.

عندما تخرج الأمور عن نطاق السيطرة:
الإدمان على ألعاب الفيديو

لقد ناقشنا في وقت سابق من هذا الفصل إمكانية أن يعكس استخدام شبكة الإنترنت بعضاً من سلوكيات الإدمان. كذلك الأمر بالنسبة لألعاب الفيديو. فقد وجد سالغورو وموران أن الأشخاص الذين يستخدمون ألعاب الفيديو بإفراط، قد أظهروا أعراضاً لمتلازمة التبعية ذاتها التي تُرى لدى المدمنين الآخرين. فما هو عدد الأشخاص الذين يدمنون على ألعاب الفيديو؟ الإجابة غير واضحة نوعاً ما.

في مسح أجرته مجلة لألعاب شبكة الإنترنت ظهر أن ١٢ بالمئة من عدد المشاركين يمكن تصنيفهم على أنهم مدمنون. اتسم هؤلاء اللاعبون بأنهم يلعبون لعدد مفرط من الساعات يومياً، وبأن توقعاتهم للشعور بالراحة أعلى بشكل هائل عندما يلعبون، أضف إلى أنهم كانوا يتوقون إلى ألعاب الفيديو على نحو أكبر عندما يمضون الوقت دون لعب.

هناك أمر واحد مؤكد، وهو أن إدمان ألعاب الفيديو حقيقي فعلاً. وهو يحدث عادة ما إن يكون المرء طليقاً من قيود الأم والأب والمدرسة. ففي النهاية، من الصعب أن يفلت طفل بخمس ساعات من لعب ألعاب الفيديو يومياً، ما لم يكن الوالدان غائبين عن الساحة تماماً (ولنكن صادقين، بعض الأهل هم كذلك فعلاً). غير أن بذور الإدمان تبدأ من سنوات مرحلة ما قبل المراهقة، لذا من الضروري للأهل تمييز علاماتها. وتشير الدراسات إلى البحث عن تدنٍّ في سوية التحصيل الدراسي أو أي إنجاز آخر في جوانب الحياة الأخرى كذلك. في الحقيقة، إنه لمن الأهمية بمكان توضيح هذه

النقاط هنا، لأنه من بين كل أشكال الإدمان الأخرى، فإن الإدمان على ألعاب الفيديو هو الأقل حظوة في الانتباه إليه. ولكن إن كان ولدك آخذاً في إظهار السلوكيات التالية التي وضعها المعهد الوطني للإعلام والأسرة، فعليك أن تتصرف:

١. يمضي معظم الساعات غير المدرسية في اللعب على الحاسوب أو بألعاب الفيديو.
٢. النوم في المدرسة.
٣. عدم أداء الفروض المدرسية على وقتها.
٤. تراجع في العلامات المدرسية.
٥. الكذب بشأن اللعب على الحاسوب أو الفيديو.
٦. تفضيل اللعب على الحاسوب أو ألعاب الفيديو بدلاً من تمضية الوقت مع الأصدقاء.
٧. الانسحاب من مجموعات اجتماعية أخرى (كالنوادي والرياضات).
٨. الشعور بالنزق، السرعة في الغضب عند عدم اللعب على الحاسوب أو بلعبة الفيديو.

يبدأ الحل بالبتر المباشر لاستخدام ألعاب الفيديو في المنزل، وهو تصرف يؤتي أُكله على أكمل وجه عند الإتيان به مبكراً. يجب عدم السماح باللعب إلا بعد الانتهاء من الفروض المدرسية، والأعمال اليومية الروتينية، وربما كذلك بعد شيء من الوقت الهادئ أو وقت القراءة الإلزاميين. بإمكانك كذلك إدراج أولادك في نشاطات تأخذهم بعيداً عن الشاشة. ولا تتوانى عن أن تصبح طرفاً أساسياً في اختيار وشراء ألعاب الفيديو. إضافة إلى ضرورة التكلم معهم بصراحة ووضوح عن الأسباب التي

دعتك إلى تأسيس هذه القواعد. وإن دعت الحاجة فاستشر طبيب الأسرة فيما يحدث. فإن فشل كل شيء آخر، التمس معونة الاختصاصيين.

إن كنت تشعر أن ولدك على شفا حفرة من الإدمان أو أنه قد وقع فيه فعلاً، فلا تضع القواعد السابقة فقط، وتترك الأمر عند هذا الحد. فأنت بمواجهة تحد استثنائي، وهو أن تعلّم طفلك العيش مع الحاسوب وألعاب الفيديو. فتعليم ضبط النفس تجاههما أمر صعب بلا مراء، ولكنه الأداة الأمضى أثراً التي بإمكانك تزويد ولدك بها، إن كان ميالاً إلى الإدمان عليهما.

الهواتف الخليوية

عندما يصبح ابنك أو ابنتك في مرحلة المراهقة، يكونان قد امتلكا هاتفاً خليوياً خاصاً بكل منهما. على الأقل هذا هو الحال بالنسبة لتسعة من أصل عشرة من الأولاد والبنات. والنسبة نفسها تقريباً ستمتلك جهاز آي بود، أو أي مشغل آخر لملفات الـ MP3.

فماذا عن أطفال ما قبل المراهقة؟ لقد بينت دراسة لزوغبي أن ثلث أطفال هذه المرحلة يملكون هواتف خليوية. لعل الأهل لا يدركون الأمر، إلا أن الشركات في الواقع قد قطعت أشواطاً كبيرة في هذا المضمار، فطوّروا منذ أمد هواتف مخصصة لهذه الفئة العمرية. هل سبق لكِ وأن اشتريتِ دمية ظريفة من متاجر ليبفروغ LeapFrog لطفلك الصغير؟ الآن بات موجوداً لدى مثل هذه الشركات هواتف خليوية للأطفال. تفتقر تلك الهواتف عادة إلى لوحة المفاتيح الرقمية التقليدية، وتزود الأهل بإرشادات

تمكّنهم من برمجة الهواتف على الأرقام التي بالإمكان طلبها، من خلال لوحة مفاتيح الهاتف المحدودة الأزرار. يحوي الكثير منها ألعاباً تعليمية، كما تسمح بإرسال رسائل نصية أساسية إلى الوالدين واستقبالها منهم.

ليس من المستغرب أن عدداً كبيراً من أطفال مرحلة ما قبل المراهقة، وعلى نحو خاص المراهقين، سيرغبون بهواتف «حقيقية». ومرة أخرى هناك خيارات متعددة، بدءاً بهواتف البالغين النمطية، وحتى هواتف ديزني وغيرها. وبعد الحصول على الهواتف هناك خياران أساسيان لما ينبغي عمله بها. الخيار الأول يتعلق بما إذا كان يستحسن اقتناء خطوط خليوية مسبقة أو لاحقة الدفع. في الخطوط المسبقة الدفع يكون لديك ميزة أن يتعلم أولادك (ربما) بعض المسؤولية في التعامل مع الهاتف الخليوي. إذ حينما تنفد منه الوحدات، فحسناً لقد نفدت! المخاطرة التي ينطوي عليها هذا الأمر، أن آخر ما تريده أن يستهلك أولادك وحداتهم ومن ثم يواجههم أمر طارئ بعدها فلا يستطيعون الاتصال معك. الحل البديل هو أن تزودهم بخطوط لاحقة الدفع، وتعلمهم المسؤولية وحسن الاستخدام بأساليب أخرى.

الخيار الأساسي الآخر يتعلق فيما إذا كان يفضل شراء هواتف تحمل تقنية الاقتفاء. إذ تأتي بعض الهواتف هذه الأيام ومعها نظام للملاحة GPS أو أي نظام تتبع آخر يمكّنك من خلال إدخال كلمة سر إلى موقع إلكتروني من التعرف فوراً إلى مكان وجود ولدك. أهذه أداة رائعة للحفاظ على سلامة الأبناء وأمنهم؟ أم هي طريقة ماكرة بشكل فظيع ليتجسس بها الأهل على أولادهم؟ باعتقادي ما من خيار «صائب» يمكن اتخاذه هنا. فلتتصور طفلاً في مركز المدينة، وعليه أن يستقل القطار، ومن ثم يسير حول عدة مبان ليصل إلى مدرسته. بإمكانك تخيّل أن مثل هذا الفتى

سيرغب في أن يملك هاتفه ميزة اقتفاء ليتمكن والداه من معرفة مكانه في حال وقع له أمر مريع. من ناحية أخرى، فكر في فتى يسكن في الأرياف، ولا يطيق فكرة مراقبة والديه له من خلال تقنية التجسس الجديدة هذه. فيترك هاتفه في مكان آمن، أو يطفئه كلية فقط كي يغيظ أهله. ماذا ستتصور ما سيكون عليه الحال في حال وقوع أمر طارئ ؟

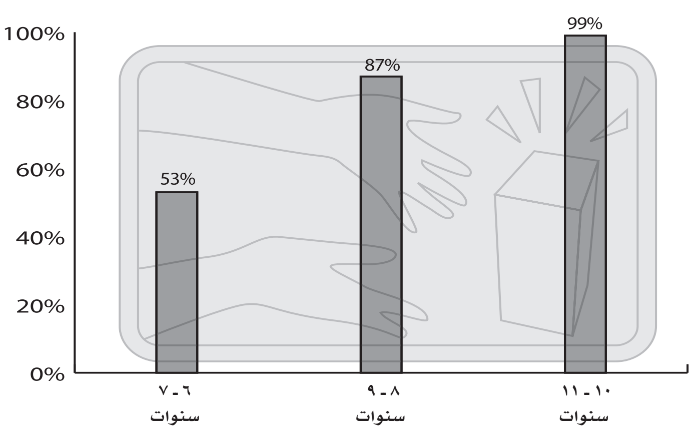
في النهاية، إنه لقرار يصعب اتخاذه. ويجب أن يكون بشكل أساسي خياراً يرتاح إليه الأهل، وكذلك الأبناء على الأغلب.

يعقد بعض الأهالي اتفاقاً مع أبنائهم، واعدين إياهم بعدم تتبعهم بتاتاً ما لم يكن هناك حالة طارئة. أياً كان الوضع لديك، فمن الأهمية بمكان أن تشرح لأولادك الأسباب التي قد تدعوك إلى الرغبة في اقتفاء أثرهم . ومن ناحية أخرى، إن سماحك لهم باقتناء هاتف لا يتيح ميزة الاقتفاء تلك، لهو وسيلة لإظهار ثقتك بهم. وبالطبع، فليكن واضحاً بالنسبة لهم أنه في حال خرقوا تلك الثقة يوماً، فسيكون هاتفهم التالي مزوداً بنظام للملاحة.

ثقافة الإعلام والإعلان

منذ تحدثنا آخر مرة عن الإعلانات في سنوات مرحلة ما قبل المدرسة وحتى الآن، اكتسب أولادك فهماً أدق بكثير عن صناعة الإعلان. حتى الآن، كان الأطفال يميلون إلى متابعة الإعلانات التجارية لتكون وجهاً آخر من وجوه التسلية، أو على أقل تقدير، لم يتكون لديهم الوعي بعد أن المعلومات التي تعرضها قد تكون متحيّزة.

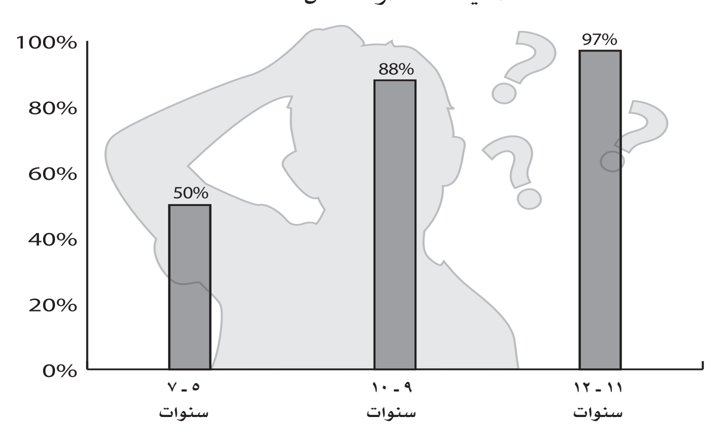
هل تُحاول الإعلانات إقناعك بالقيام بعمل ما؟
النسبة على الأجابة بـ نعم.



المصدر: بيرغلر

لكـن الخطوة التاليـة والحاسمة في فهـم الإعلانات، هـي إدراك أن الإعلانات في سعيها لإقناعنا، قد تحوي تحيزاً وخداعاً.

نسبة الذين يعتقدون أن الإعلانات تخبر بالحقيقة
أحياناً فقط أو لا تفعل مطلقاً



المصدر: بيرغلر

الخبر الجيد، أنه بينما يتنامى وعي الأطفال وفهمهم للطبيعة المقنعة والمقنعة على نحو مضلل للإعلان، فإن إعجابهم به ينهار بشكل كبير. وفي غضون سنوات ما قبل مراهقتهم، يكتسبون فهماً أفضل لا للأهداف المحتوية على كل شيء للإعلانات وحسب، بل كذلك كيف يؤدي كل عنصر فيها وظيفته، بدءاً من اختيار الموسيقى، وحتى عدد المرات التي يذكر فيها اسم المنتج. ومع ذلك تبقى المشكلة (الآن وحتى وقت طويل قادم) أن الأطفال حتى في سنوات مراهقتهم عرضة للخطر بسبب تعرضهم للإعلانات، في حين ما تزال قدراتهم محدودة على رؤيتها بعين النقد.

فإذاً ما الشأن المهم بخصوص الإعلانات؟ بداية، هناك القلق من الميزة غير المنصفة التي تحصل عليها الإعلانات جراء مشاهدة الأطفال لها لفترة طويلة قبل أن يدركوا نيتها في الإقناع. وثانياً، أن محاولات الإقناع تلك تنطوي على تحيز وخداع.

من المؤكد أن الأهل يوافقون على أن الإعلان الموجه للأطفال غير منصف. فالغالبية من الأمريكيين يشعرون بوجوب وضع قيود على إعلانات الطعام الرديء الموجهة للأطفال، في حين يعتقد أربعة من أصل كل خمسة بالغين تقريباً أنه من الواجب الحد من الإعلان للأطفال عموماً.

لا يستطيع الأهل عمل الشيء الكثير بخصوص الإعلانات، في البداية على الأقل. فإن لم يكن الطفل على درجة كافية من النمو ليدرك معها الفوارق الدقيقة الهادفة للإقناع، فلا يمكن الإتيان بالكثير سوى الانتظار. وما أن يصل الطفل إلى مرحلة يدرك معها هذه المفاهيم، حتى يصبح بمقدورك بدء منهج التطعيم معه، رغم أنه سيكون مقتصراً على ما سيشاهده مستقبلاً لا ما سبق وأن شاهده من قبل.

مصدر القلق الآخر المتعلق بالإعلان هو تربية الأطفال نحو المادية. إذ يقال أننا نربي أبناءنا على الرغبة في الشراء، والرغبة في الامتلاك، وأن يفعلوا ذلك بكثرة. إنك لا تحتاجين إلى علماء ليثبتوا لك أن الأطفال يبدؤون بتفضيل الألعاب وحشدها في سن مبكرة كما في عامهم الثاني. (لا بد من أن أطفالي يملكون ما يقارب العشرين قطعة من القطارات الخشبية، فَلِمَ يتشاجرون باستمرار على القطعة ذاتها؟) إن الإعلانات تؤجج هذه الرغبة وتجعلها أكثر قوة. ففي إحدى التجارب، عرض الباحثون على مجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين الرابعة والخامسة إعلاناً عن دمية جديدة، إنما لم يعرضوه على مجموعة أخرى. ومن ثم أعطوا كل طفل من المجموعتين فرصة لاختيار أحد رفيقي لعب، أولهما كان يملك الدمية أما الثاني فلا. فكانت النتيجة أن اختار ثلث الأطفال الذين لم يشاهدوا الإعلان طفلاً يملك الدمية المعلن عنها، في حين أقبل ثلثا من شاهدوا الإعلان على اختيار رفقاء للعب يملكون تلك الدمية. وبلا ريب كانوا يضمرون النية في الاستحواذ عليها!

لا شك بأننا حين نكبر نطوّر أسباباً أكثر تعقيداً لامتلاك الأشياء. ففي حين يرغب الأطفال في الصف الأول بامتلاك المزيد والمزيد من الأشياء، غالباً ما ينحو أطفال مرحلة ما قبل المراهقة إلى الرغبة بامتلاك الأشياء التي تساعدهم على تطوير شخصياتهم. فباعتقادهم أن امتلاك الأشياء المتفردة يجعل من المرء متميزاً.

ما يجب ألا نغفل عنه هو أنه في حين أن التطور نحو المادية أمر حتمي فعلاً، فإنه في كثير من الأوجه ليس بالأمر البغيض (البشر يحتاجون إلى الدافع، فإن كانت الرغبة في امتلاك سيارة ستدفع ولدي طالب الثانوية للعمل مساء، في الوقت الذي يحافظ فيه على مستواه الدراسي الجيد،

فلا ضير من ذلك، وهو ليس بالضرورة أمراً مادياً ومشيناً). كلما شاهد المرء التلفاز أكثر، كلما ازدادت رغبته بشراء الأشياء. ولكن في حال كان الأمر لا يعنيك كثيراً، فلتنظر إليه من الزاوية التالية: كلما ازدادت رغبتهم في امتلاك الأشياء، كلما اضطر الأهل إلى الرفض. وقد توصل الباحثون باستمرار إلى أنه كلما ازداد التوجه نحو المادية لدى أطفالك، كلما ازدادت المشاحنات والجدالات بينكم حول الشراء.

واحدة من مجالات الإعلانات التي تثير قلق الكثير من الباحثين في شؤون الصحة هي الإعلانات الغذائية. فإعلانات الطعام تبدأ بسن مبكرة جداً، فمن عمر السنتين وحتى السبع سنوات يشاهد الأطفال اثني عشر إعلاناً غذائياً يومياً. ويرتفع الرقم إلى واحد وعشرين إعلاناً في سنوات ما قبل المرهقة. أكثر ما يشاهد الأطفال من إعلانات هي إعلانات الطعام. حوالي أربعة من أصل كل خمسة من هذه الإعلانات يروج للحلويات، الحبوب، أو المأكولات السريعة. وبالمقابل، فمن المحتمل أن يشاهد الأطفال في هذه السن إعلاناً يروج للياقة البدينة مرتين فقط في الأسبوع. لذا فمن المهم أن توعّي أطفال إلى شيوع إعلانات الطعام، وأن يدركوا كيف أن غايتها الجذب باتجاه الحلويات والمأكولات السريعة.

ما بمقدوركم فعله حيال الإعلانات:

بداية، ليس بمقدورك عمل شيء. فأطفالك سيتعرضون إلى الإعلانات. الكم هو ما يختلف عليه الباحثون، إلا أنهم يتفقون جميعاً على أنه كثير. إذ يقول بعض الباحثين أن المراهق العادي سيتعرض إلى الآلاف من الإعلانات يومياً من خلال اللوحات الإعلانية، إعلانات الإنترنت، التلفاز، إلخ. وحقيقة ليس بمقدورك فعل شيء حيال هذا الأمر.

ولكــن هناك حل آخر يتطلب أن تــدرّب طفلك ليمتلك ثقافة إعلامية. أي باختصــار اعمــل علــى أن تقيــه من خــلال التطعيم. أن تصبــح ذا ثقافة إعلامية يعني أن تفكر في ما يعرضه الإعلام أثناء مشــاهدتك له، عوضاً من أن تتصرف كإنســان آلي يقضي وقته بمشــاهدة التلفاز دون تفكير، وهدفــه الوحيد هو التســلية. معظم الأهل الذين أعرفهم يشــعرون بالرهبة إزاء فكــرة الحصول على الثقافة الإعلامية وتعليمها لغيرهم. ولكن إليك الحقيقــة: أنت في واقع الأمر قطعت شــوطاً كبــيراً في هذا، وما من حاجة لأن تشعر بالرهبة لأنك تعلم أولادك خفايا الإعلام سلفاً.

فإذاً من المهم أن تظهر لأولادك السبب في أن الإعلانات والبرامج مصممة على النحو الذي هي عليه. اختر أي إعلان تجاري موجه للمراهقين، وستجد أنه على الأغلب مصمم ليحقق لدى المراهقين الشعور بالاندماج مع عناصره جميعها: بدءاً بموســيقى الخلفية، إلى الممثلــين بهيئاتهم وثيابهم وأقوالهم، وحتى الألوان وزاوية الكاميرا إلخ.

إننــا الآن نتحــرك بعيداً عــن نموذج «الأهــل بوصفهم درعــاً واقياً»، بمعنــى تعليــم الأهل الطريقة التي يقون ويحمــون أبناءهم بها ويحمونهم من الآثار الضارة المحتملة لوســائل الإعــلام الجماهيرية، إلى نموذج آخر يتمثل في إعطــاء الأولاد دروعــاً خاصة بهم، بمــا أن خياراتهم الإعلامية تنســاب بشــكل متزايــد بعيداً عــن قدرتك على التحكــم بها. فأبناؤك بلا شــك يخطــون خطواتهم إلى العالم الخارجي، بعيــداً عن جناحي الحماية اللذين كنــت توفرهما لهم. فالكثــيرون منهم باتوا يملكون وســائل إعلامية في غرفهم الخاصة، من تلفاز وإنترنت. رغم أني أنصح بشدة بعدم فعل هذا بل إبقائها في مكان علني إلى حين يغادر أولادك عشــك. ولكن مهما يكن، فهناك فرص متاحة في المدرسة، ومنازل الأصدقاء، وقدرتك على السيطرة علــى ما يفعلونه هناك محدودة. بل حتى وفي عقر دارك، ســيمارس أبناؤك استقلاليتهم ويتابعون على نحو متزايد برامج مخصصة للبالغين.

بمـا ينطـوي عليه ذلـك حتمياً من برامـج عنيفة، وإعلانـات محتالة، وغيرها من المواضيع التي تسـتلزم نضجاً. لذلك فالآن هو الوقت المناسـب. تحدث إلى أبنائك عن الإعلام، وليكن ذاك حديثاً ذا صلة لا حديثاً مجرَّداً. سـلّحهم بالمهـارات لحماية أنفسـهم، وأعلمهم عن الخيـارات الجيدة التي يمكن للمرء اتخاذها عندما ينشـأ مع وسـائل الإعلام الجماهيرية كالتي هي موجودة في عصرنا.

مراجعة الفصل الخامس:	
التلفاز	
المخاوف الأساسية	**الرغبة بالنحافة مع احتمال أن يزيد الوزن في الواقع، إضافة إلى رسائل أخرى يبثها التلفاز.**
العلاج	**تطعيم (وقاية) أطفال ما قبل المراهقة من تلك الرسائل والصور.**
الحاسوب وشبكة الإنترنت	
مخاوف أساسية	**التنمر وضواري الإنترنت.**
العلاج	**تعلم كل ما هو ضروري لتساعد أطفالك على تجنب هذه المتاعب.**
ألعاب الفيديو	
مخاوف أساسية	**الاستخدام المفرط لها والعنف الموجود فيها.**
العلاج	**اختر الألعاب بحكمة، مع استخدامها بشكل معتدل.**
الإعلان وثقافة الإعلام	
مخاوف أساسية	**تأثير الإعلانات.**
العلاج	**البدء بترسيخ ثقافة الإعلام.**

الفصل السادس

مرحلة المدرسة المتوسطة

باعتقادي أنه إن كان هناك كلمة تنبثق في الذهن مباشرة ما إن يفكر المرء في خبرات مرحلة المدرسة المتوسطة فهي: الهرمونات. إنه الوقت الذي يتحول فيه الفتيان شباناً، والفتيات شابات. فيأخذ الشبان اليافعون بالبحث عن أولى علامات ظهور الشعر على وجوههم، ويحاولون ألا يشعروا بالإحراج من الرنة الجديدة لصوتهم الأجش. في حين تمر الفتيات بالطبع في ذلك الوقت بجملة من التحولات الأكثر جدية. قبل بضعة أجيال، كانت فكرة ظهور الصديق الحميم أو الصديقة الحميمة في الصف السادس أو السابع وحتى الثامن، تشكل صدمة. أما الآن فقد باتت عادية منذ فترة لا بأس بها. وكثيراً ما يشعر الطلاب في هذه المرحلة بالافتتان الحقيقي (بمعنى أنه ليس حب مراهقين) تجاه أحد المدرسين أو غيرهم من البالغين. فهلا توقفنا عن اللف والدوران إذاً؟ فهذه هي السنوات التي يضحي فيها الجنس محور التفكير

والتساؤلات عن ماهيته، وكيفيته، عدم القدرة على التوقف عن التفكير فيه بدافع من هذه الهرمونات التي لم أكن أعلم بوجودها لدي قبلاً.

وعليه فيجب ألا تستغرب أن يكون موضوع هذا الفصل الرئيس هو الإعلام والجنس. فنحن ندرك أننا باستمرار نتعامل مع شبان وشابات يافعين (جداً)، لا صبياناً وبنات بعد الآن. إنني أعلم - و أنا الأب - أننا لا زلنا بحاجة إلى سنوات لنتخلى عن فكرة أن أبناءنا هم أطفالنا الصغار، غير أنه من وجهة نظر الأبناء فقد أصبح لديهم الاستعداد والرغبة للتصرف على أنهم بالغون . وفي الحقيقة، إن التحولات التي تجري في أجسامهم تشرّع لهم الشعور على هذا النحو.

التلفاز والأفلام

إن كان هناك أمر يقيني واحد يخص التلفاز فهو أنه يروج للأجساد. أغلق عينيك وأخبرني بأول ما يخطر على بالك عندما تفكر في التالي: إعلانات الجعة، مسلسل شرطة الخليج Baywatch، إعلانات هاينز، برنامج الناجون Survivor، تسجيلات الفيديو الموسيقية، آه نعم، وكذلك البرنامج الذي يفيض صلاحاً الرقص مع النجوم Dancing with the stars. أعتقد أن الإجابة واضحة تماماً: الترويج للأجساد. لقد بينت الدراسات عن التلفاز أن هناك حوالي واقعتين من التلامس الحميمي وسطياً في الساعة الواحدة من ساعات الذروة في المشاهدة. وكذلك التقبيل يحدث بالنسبة نفسها. على مر العقود الماضية، أخذت صور المواقف الجنسية بالتزايد بثبات عبر السنوات. فكان لكل هذا التركيز على الجنس والصور والحوارات الحميمة والتلميحات الجنسية آثارٌ مهمة على

مراهقينا الذين هم على عتبات البلوغ. ففي النهاية، كل هذا جديد عليهم، ويعد بالنسبة لهم مسرة للناظرين.

الجنس ووسائل الإعلام الجماهيرية:

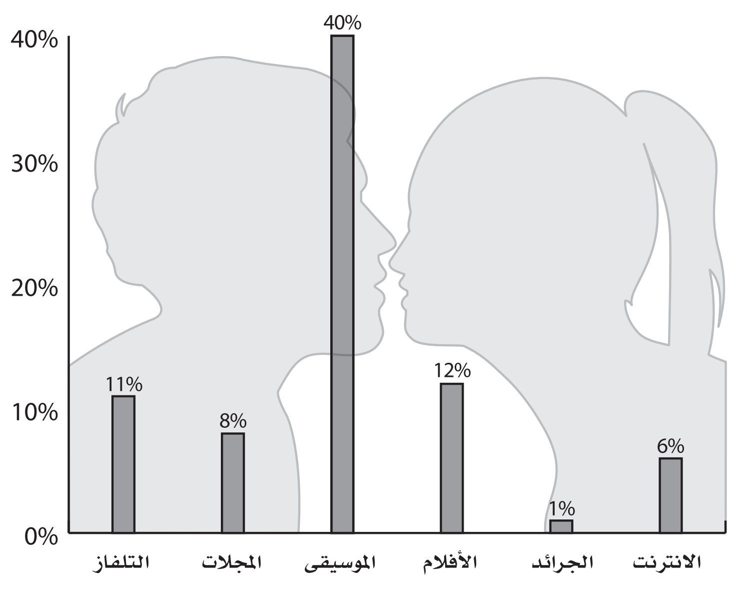
يوجد في العادة مجالات ثلاثة تحظى باهتمام الباحثين عندما يتعلق الأمر بالجنس ووسائل الإعلام الجماهيرية. فشأنها شأن الكثير من مجالات البحث في وسائل الإعلام الجماهيرية، هناك بداية مسألة المعرفة والرأي. وفي هذه الحالة، فإننا نتحدث عن إلى أي درجة يعتقد الناس بواقعية المضامين الجنسية التي يشاهدونها على الشاشة، والكيفية التي تناقش بها ويتم التعامل معها على التلفاز. وثانياً، هناك البحث في تأثير وسائل الإعلام على مواقفنا من العلاقات الحميمة (أي ما إذا كنا نعتقد أن سلوكاً معيناً مقبول أم لا، على سبيل المثال). وأخيراً، هناك مسألة ما إذا كان الجنس المعروض في وسائل الإعلام يؤثر على نشاطنا الجنسي أم لا.

لا بد أنه من غير المفاجئ، أن تكون العلاقة طردية بين الاستغراق في وسائل الإعلام والاعتقاد بأن ما نشاهده فيها من تصوير للجنس والعلاقات واقعي فعلاً. وهذه الناحية جوهرية، لأنه في حال كان المرء يرى أنها واقعية، فما من سبب لديه على الإطلاق يمنعه من تقليد السلوكيات التي تعرضها.

حسناً، لكن هل وسائل الإعلام تفيض بمواضيع الجنس فعلاً؟ الإجابة هي نعم بلا أدنى شك. ففي دراسة أجراها سابولسكي وتابارليت قُسمت وسائل الإعلام إلى عناصر صغيرة، ثم صنفت كل من هذه العناصر بحسب ما إذا كانت تحوي القليل من المضامين الجنسية أو تخلو منها. فإن كانت تلك العناصر تحوي مضامين جنسية، فقد صنفها الباحثون

وفقـاً لاحتوائها على واحد أو أكثر مـن عدد من أنماط المضامين المحتملة الـتي تتراوح من التقبيـل، إلى اللمس، وحتى العلاقة الحميمة. على سـبيل المثال، تم تشـريح العشـرين فِلماً الأكثر شـعبية في عام ٢٠٠٤ إلى أجزاء يحددها انقطاع في تسلسـل الأحداث أو إيقاف للتصوير، والذي كان يقع وسطياً كل ٦,٤ ثانية. عملية التشريح ذاتها أجراها باردون، لينغل، وبراون للمواد الأكثر شـعبية في التلفاز، تسجيلات الفيديو الموسيقية، المجلات، الجرائد، ومواقع الإنترنت. فإذاً كم يحوي كل نوع من وسائل الإعلام من المضامين الحميمية؟

نسبة البرامج التي تحوي مضامين حميمية



المصدر باردون، لينغل وبراون

كما نرى من هذا المخطط البياني تحتل تسجيلات الفيديو الموسيقية المرتبة الأولى، إذ تصل فيها المشاهد التي تحوي إشارات جنسية إلى مشهدين من أصل كل خمسة مشاهد. أما بالنسبة للبرامج التلفازية والأفلام فالنسبة هي واحد من أصل كل عشرة مشاهد. وبالطبع فإن ما يحويه الإعلام المقروء جنسياً هو أقل بكثير.

في حين أن هذه الأرقام قد لا تشكل صدمة إلا أنه من الضروري الانتباه إلى بعض التوضيحات. بداية، تم تحديد القطاعات بحسب ما إذا كانت المواد تحوي شكلاً من العري (جزئياً أم كلياً)، مسائل في العلاقات، التلميحات الجنسية، الملامسة والتقبيل، المجامعة، أو قضايا البالغين بشكل عام. فكان العري هو صاحب الحظ الأوفر في المشاهد الجنسية في وسائل الإعلام:

نسبة ما تحويه وسائل الإعلام من مضامين جنسية:	
العري	٤١٪
العلاقات	٢٥٪
التلميحات الجنسية	١٢٪
الملامسة والتقبيل	١٤٪
المجامعة	٧٪

المصدر: باردون، لينغل وبراون.

الأمر الآخر الذي يستوجب الإمعان فيه هو أن معظم الأطفال يستهلكون كماً كبيراً مما يقدمه الإعلام. لذا فإن حقيقة أن نسبة إحدى عشر بالمئة «فقط» من برامج التلفاز جنسية تعني أن غالبية الأطفال يتابعون ساعات

من البرامج ذات المضامين الجنسية أسبوعياً. وأخيراً، ينبغي أن يذكر المرء أن كل طفل يختلف عن الآخر. فإن كان أحدهم يشاهد الأخبار الوطنية والبرامج الوثائقية على سبيل المثال، فهو لن يكون عرضة لتلك البرامج كالذي يشاهد الكثير من الأفلام ذات التصنيف R، أو برامج الذروة بعد الساعة التاسعة مساء. فإذاً هناك فرقٌ شاسِع هنا بين الأطفال الذين يشاهدون تلفازاً يحوي أقل من ٥ بالمئة من المضامين الجنسية، وبين أولئك الذين يشاهدون تلفازاً نسبة ما فيه من برامج جنسية هو ٥٠ بالمئة.

هل يؤثر الاستهلاك المفرط لما تحويه وسائل الإعلام من مشاهد جنسية، سلباً على المراهقين؟

لقد أتت البراهين بنتائج مختلطة. لكن ما لا ريب فيه أن حصة الأسد من الدراسات كانت تؤيد أن المضامين الجنسية التي تعرض في وسائل الإعلام تؤثر في معرفة الناس ومواقفهم وقناعاتهم عن الجنس. فبادئ ذي بدء، كلما شاهدت منها أكثر، كلما ازددت اعتقاداً بأن الجميع يقيمون علاقات جنسية؛ أو على الأقل يقيمونها بمعدل أكبر بكثير مما هو في الواقع فعلاً. وبما أن التلفاز يعرض العديد من العلاقات خارج إطار الزواج، كممارسة الجنس الغريزي دونما حب، وكيف يستخدم الجنس لخدمة المصالح (في بيئات العمل مثلاً)، كما ويعرض الجنس كما لو أنه شكل من الإخضاع، فإن معظم الناس المستغرقين في متابعة الكثير من برامج التلفاز، بالإضافة إلى وسائل الإعلام الأخرى، يضخمون تواتر حدوث هذه العلاقات في العالم الواقعي.

ناهيك عن أن المشاهدة لا تتوقف أبعادها عند إقناعنا بأن هناك الكثير من حالات ممارسة الجنس «السيء» (أي الخارج عن إطار الزواج،

غير الصادر عن الحب، العدواني، إلخ)، بل تتعداها إلى إقناعنا أنه لا ضير في ذلك. لقد برهنت الأبحاث التجريبية وكذلك عمليات المسح باستمرار على أن مشاهدة التلفاز الحاوي على الكثير من الأمور الجنسية يؤدي إلى مواقف أكثر تحللاً تجاه الخيانة الزوجية وغيرها من التجاوزات الجنسية. وبالتسليم بنسبة المضامين الجنسية في تسجيلات الفيديو الموسيقية، فليس من المفاجئ أن يملك هذا النمط من الإعلام بعضاً من أقوى الآثار بين الأنماط الأخرى جميعها، وأن يملك من يشاهدونه من المراهقين بعضاً من أعلى المقاييس الوسطية لقبول فكرة الجنس قبل الزواج.

من المهم إذاً ملاحظة أن المراهقين يحتذون حذو ما تبثه وسائل الإعلام من رسائل عن الجنس، أياً كانت تلك الرسائل. فإن كان الإعلام يظهر أن علاقة خارج إطار الزواج قد أفضت إلى تشتيت الأسرة، والكثير من الكرب والألم، وعادت بالكثير غيرها من النتائج السلبية على مرتكبها، فإن المشاهد سيعتبر على الأرجح أن ممارسة الجنس خارج إطار الزواج أمر سيء. إلا أن الإعلام لا يبدو أنه يعرض مثل هذه الواقعة بقدر ما يعرض واقعات خفيفة أو حتى تخلو من العواقب على مثل هذا التصرف اللاأخلاقي.

فالمواقف شيء، والتصرفات شيء آخر كلية. فإذاً لندخل في صلب الموضوع: الاستهلال بالجنس. بالتأكيد ستقولون أن: الجنس المعروض في وسائل الإعلام لن يؤثر على الزمن الذي يتخذ ولدي فيه قراره بإقامة علاقة حميمة. من سوء الحظ أنه على ما يبدو سيكون له كبير الأثر عليه في ذاك الاتجاه.

كيف تؤثر وسائل الإعلام في خيارات الأبناء فيما يتعلق بالجنس؟

في دراسة أجراها كولينز وزملاؤه، تم اصطفاء البرامج الثلاثة والعشرين الأكثر مشاهدة لدى المراهقين، ومن ثم قاموا بقياس هذه البرامج من منظور احتوائها على مضامين جنسية. فاستطاعوا بهذا قياس كم الأشياء الجنسية الصبغة التي شاهدها كل شخص على التلفاز. نظرت الدراسة في الشريحة العمرية التي تتراوح بين الثانية عشرة وحتى السابعة عشرة. فوجدوا أن من بين من هم في سن الرابعة عشرة، والذين قد شاهدوا القليل جداً من الإعلام الجنسي، ثمانية بالمئة قد بدؤوا بالجنس في ذلك العام. غير أن ذاك الرقم يتضاعف بين من شاهدوا الإعلام الجنسي بإغراق ممن هم في الرابعة عشرة. وعلى نحو مماثل نجد أن نسبة من بدؤوا بالجنس هي أربع وعشرون بالمائة بين من هم في سن السابعة عشرة ويشاهدون مستويات قليلة جداً من الإعلام الجنسي، بالمقارنة مع نسبة ست وثلاثين بالمئة لدى من يشاهدونه بإغراق من أولئك المراهقين.

غير أن المراهقين لا يبدؤون بالجنس وحسب. فكما نذكر من أيامنا الخوالي في المدرسة: الجنس كلعبة كرة القاعدة (البيسبول)، عليك أن تصل إلى القاعدة الأولى فالثانية فالثالثة قبل أن تحرز هدفاً تسجل به نقاطاً. فلنأخذ مثلاً وسطياً من هم في سن الخامسة عشرة. عشرون بالمئة منهم، ممن شاهدوا القليل جداً من الإعلام الجنسي، بدؤوا بلمس المناطق التناسلية (القاعدة الثالثة) في السنة التي تلت. ولكن بالنسبة لمتابعي الكثير من البرامج ذات المضامين الجنسية فقد ارتفعت النسبة في زيادة هائلة إلى اثنين وأربعين بالمئة.

من المؤسف أنه ما من سبيل لمعرفة ما إذا كان هناك أسباب أخرى خفية تكمن وراء هذه الفروقات. إنما على أي حال، فإن هذه الأنماط

من الدراسات تنزع إلى التفكير بتمعن في ماهية هذه الفروقات، وتحاول أن تسيطر عليها بشكل دقيق رياضياً في أبحاثها. ولعلهم في الحقيقة لم يتمكنوا من العثور والسيطرة على كل هو موجود فعلاً، وقد يكون واقع الأمر هو أن الاهتمامات العامة أو الشهوة الجنسية هي ما يقود الاثنين معاً: مشاهدة البرامج التلفازية، والبدء بالجنس، نحو مسار معين؛ غير أنه بالتسليم إلى كل ما عرفناه عن قدرة التأثير لدى وسائل الإعلام الجماهيري، والأخذ بعين الاعتبار العناية البالغة التي يوليها الباحثون إلى تصميم دراساتهم، فسيكون من المفاجئ ألا يكون لوسائل الإعلام شيء من الأثر على مفهوم مراهقينا عن الجنس، وعلى مواقفهم تجاهه، وحتى على سلوكياتهم المرتبطة به.

الجانب الأكثر ظلمة للجنس المعروض في التلفاز والأفلام السينمائية:

من المؤكد إذاً أن المضامين الجنسية في وسائل الإعلام يمكن أن تلقي بظلال سلبية على مواقف الفتية والفتيات وسلوكياتهم حيال الجنس والعلاقات. ولسوء الحظ، هناك آثار أخرى محتملة للجنس المعروض في وسائل الإعلام الجماهيرية، يمكن لها أن تثير نوازع القلق أكثر من أي أمر آخر. إنها تتضمن مشاهدة الممارسات المتطرفة للجنس، على عكس المداعبات الثقيلة العيار التي قد تجدها عادة في أفلام من التصنيف PG 13. فماذا عن مشاهد الإذلال للمرأة؟ وماذا عن امتزاج العنف مع الجنس، كما في مشاهد الاغتصاب في الأفلام والبرامج التلفازية؟ وأخيراً وليس آخراً، ماذا عن مشاهد الفن الإباحي والخلاعة؟

في إحدى الدراسات، يقسم الباحثون الناس إلى أربع مجموعات رئيسة. شاهدت المجموعة الأولى عدداً من الساعات أفلاماً عنيفة من تصنيف R،

احتوت على عنف ضد النســاء وكذلك مشــاهد جنســية مثــيرة. المجموعة الثانية شــاهدت القدر نفســه من أفلام ذات التصنيف X، لم تحوِ عنفاً بل مشاهد إباحية. والمجموعة الثالثة شاهدت أفلاماً ذات التصنيف R، لم تحوِ عنفــاً بــل فقط ما يعد «حب المراهقين». أما المجموعــة الرابعة والأخيرة فلم يعرض عليها شــيء في سبيل المقارنة. ولاحقاً أجاب كل من شملته الدراسة عن اســتبيان، وشاهدوا تمثيلاً عن محاكمة لقضية اعتداء جنسي، قاموا فيها بالحكم على المدعى عليه والإجابة عن أسئلة تتعلق بالمحاكمة.

كانــت المجموعــة الوحيــدة الــتي أبدت فــوارق تســترعي الانتباه هي مجموعــة الأفلام R العنيفة والمثيرة جنســياً. فقد أبدى الأشــخاص في هذه المجموعة تعاطفاً أقل مع الضحية أثناء المحاكمة، ومع ضحايا الاغتصاب بصــورة عامــة. فمثــلاً، كان تقييمهم لمــدى الإصابة التي تلقتهــا المرأة في الاعتــداء المزعوم عليها أقل من أولئك الذين لم يشــاهدوا أفلام R العنيفة. كما لاحظوا أن أفراد هذه المجموعة شــعروا في البداية مثلنا بالاضطراب لدى مشــاهدتهم هذه الأفلام. وعليه فقد توصل العلماء أنه للأسف، كلما أمعن الناس في مشاهدة هذا النمط من الأفلام، كلما انخفض مستوى ما تولده من جزع وأفكار كئيبة. فبالفعل، أظهرت دراسات أخرى أنه بمرور الوقت، باتت هذه الأفلام تؤوّل على أنها أقل عنفاً وأقل إذلالاً للمرأة، وأنه بمضي الزمن أصبح عدد أكبر من الناس يستمتعون بمشاهدتها.

دراسة الفن الإباحي:

مــاذا عن الأفــلام ذات التصنيف X والخالية من العنــف؟ لقد ظهر أن مشــاهدة الفــن الإباحي يؤثر علــى المواقف، وإن كان علــى المدى القصير فقط. لكن ماذا عن المدى البعيد؟ هل يؤثر الفن الإباحي في الناس بشكل

أبعد من مجرد التأثير المباشر بعيد إجراء التجربة؟ المشكلة تكمن في محدودية الأبحاث عن الفن الإباحي، نظراً لصعوبة حمل الناس على أن يقوموا طواعية بتعريض أنفسهم له لفترة زمنية طويلة. وحقاً إنه مثار جدل أخلاقي الطلبُ من أشخاص عاديين لا يشاهدون برامج إباحية خليعة، أن يقوموا بذلك فجأة، بشكل يومي، وعلى مدى أسابيع في كل مرة.

لذا فقد ركز الباحثون بشكل رئيس على الآثار الناجمة عن التعرض القصير والمتوسط لهذه المشاهد. فكانت النتيجة أن التعرض القصير يساوي تغيراً في المواقف يدوم ساعات أو ربما أياماً. أما التعرض المتوسط فيولد مواقف تدوم فترة أطول نسبياً، إنما مع ذلك سرعان ما تزول على الأرجح بعيد التوقف عن مشاهدة المشاهد الإباحية بفترة قصيرة.

بداية يجعل الفن الإباحي من المرء أكثر تقبُّلاً لأشكال أكثر شذوذاً من النشاط الجنسي. وكما ذكرت سابقاً، هذا أثر لن ترغب على الأغلب أن يقع تحته أبناؤك اليافعون. أما فيما يخص الحط من قدر المرأة، فهناك أدلة تبين أن الفن الإباحي، شأنه شأن العنف، يؤثر في المواقف من الضحايا في محاكمات الاغتصاب المصطنعة. فقد وجد الباحثون هنا أن الأشخاص الذين شاهدوا الفن الإباحي، قد أعطوا حكماً مخففاً للجاني مقارنة بأولئك الذين لم يشاهدوه. كما توصلوا إلى أن مشاهدي الفن الإباحي كانوا أقل احتمالاً في أن يؤيدوا عبارات تدعم المساواة بين الجنسين.

العلاقة بين السلوك والفن الإباحي:

وأخيراً، هناك السؤال المثبط للهمة المتعلق بالسلوك والفن الإباحي، ألا وهو: هل يتمخض عن مشاهدة المرء للفن الإباحي ارتفاع في احتمالات أن يصبح المرء عدوانياً جنسياً، وصولاً حتى إلى حدود التطرف والاغتصاب؟

الخبر الجيد أنه من منظور العلاقة المتبادلة بين الأمرين، فالجواب على ما يبدو هو لا، وفقاً للمراجعة التي أجراها باوزرمان للبحث: إذ وجد أن الجناة في الجرائم الجنسية لا يبلغون عن مشاهدتهم للفن الإباحي خلال سنوات المراهقة، وحتى سنوات الرشد، بأكثر مما يفعل غير المعتدين. بالفعل، ففي عدد من الدراسات ظهر أن غير المعتدين تابعوا هذه البرامج الخلاعية أكثر مما فعل الجناة. وهذا خبر طيب لأنه يعني أنك إن وجدت ولدك وهو في المرحلة المتوسطة ومعه مجلات أو أقراص مضغوطة إباحية، فإن ذلك لا يعني أنه سيصبح مداناً في المستقبل. في الحقيقة أشارت كثير من الدراسات إلى أن غير المعتدين قد حازوا مواد إباحية في عمر أبكر مما فعل الجناة!

علاوة على ذلك، لا تقع حوادث الاغتصاب على الدوام في الأماكن التي يشيع فيها تداول الفن الإباحي. صحيح أن بعض الدراسات قد وجدت صلة محدودة المدى؛ إلا أن الباحثين عند التمحيص الأدق قد شكُّوا بوجود أمور أخرى تجري في الخفاء.

وكحال الأبحاث التي أجريت عن المضامين الجنسية الأخرى المذكورة آنفاً، هناك على الأرجح خصائص أخرى لدى الناس ذات صلة بالفن الإباحي والعنف الجنسي معاً. تهل المشاكل مع دراسة وجدت، وهو أمر غريب للغاية، أن الزيادة في مشاهدة مجلة بلاي غيرل مرتبط بعدد أكبر من حوادث الاغتصاب. لسوء الحظ، كون بلاي غيرل لها قاعدة واسعة من القارئات النساء، فيصعب تصور أن هذا الأثر واقعي، إلا إذا كان محض مؤشر إلى وجود أمر آخر غير الصلة المباشرة بين التداول الإجمالي للفن الإباحي، وبين الجرائم الجنسية. وحتى هذا اليوم، يستمر الباحثون في محاولاتهم لسبر أغوار هذه المسألة، وهم ليسوا بقادرين البتة على الجزم

فيما إذا كان تيَسُّـر الفن الإباحي وكونه متاحاً له أثر على الإطلاق على احتمال أن يقوم أحدهم بارتكاب الجرائم الجنسية.

تظهـر بيانات أخرى أن معدل الاغتصاب لا يزداد بازدياد الاطلاع على الفن الإباحي. فعلى سبيل المثال، ارتفع استهلاك هذا الفن حتى نسبة ٧٠٠ بالمئة في ستينيات القرن الماضي. ومع ذلك لم يكن هناك أي فرق في معدل جرائم العنف الجنسي. وبدلاً من ذلك، اتبع معدل جرائم الاغتصاب وغيرها من جرائم العنف الجسـدي المعدل العام للجرائم بشـكل مثالي، عاماً بعد عام. وعلى نحو مشابه، نجد أن حوادث الاغتصاب لا تقع أكثر في المناطق ذات التعداد الأكبر لدور العرض السينمائية للبالغين.

غير أن واحدة من الدراسات الأحدث وجدت بالفعل علاقة بين استهلاك الفن الإباحي سابقاً، وبين التجريم بجرائم العنف. فقد توصل الباحثون إلى أن التعرض إلى الفن الإباحي ذو صلة بشـكل عام مع العدائية الجنسـية، العدوانيـة تجاه النسـاء، تقبُّـل حوادث الاغتصـاب الأسـطورية، والهيمنة الجنسـية. ومع ذلك، فإن دراسات لاحقة اكتشـفت أنه عند فصلها جانباً للأشخاص القلة الذين كانوا يستهلكون الفن الإباحي إلى حد التطرف، كانـت البقيـة طبيعية تمامـاً من حيـث العدائية الجنسـية، تقبل حوادث الاغتصاب الأسطورية، والمقاييس الأخرى كافة. وبأي حال، فهؤلاء الذين اسـتهلكوا الكثير من الفن الإباحـي كانت نتائجهم عالية جداً في مجال العدوانية المحتملة ضد النساء، ومعظم المقاييس الأخرى كذلك.

العبرة هنا، هي أن الدراسـة لم تجد لدى الأشـخاص الذين شـاهدوا شـيئاً مـن الفن الإباحـي أو حتى كماً معتـدلاً منه، أي زيـادة في احتمال تحولهـم إلى جناة جنسـيين. وحدهم الذين اسـتهلكوا كميات كبيرة من الفن الإباحي هم من أظهروا مؤشرات تحذيرية للعدائية الجنسية.

فإذاً ما الذي ينبغي فعله حيال الجنس في وسائل الإعلام؟

لا أريد أن أصدمك بأمر قد لا يكون لك به علم، إلا أن مشاهدة المراهقين للمواد الجنسية الفاضحة يتم على نحو واسع بشكل سري، (أنت تلهث من المفاجأة!). من ناحية أخرى، مع انتشار الجنس في وسائل الإعلام هذه الأيام، فإن أبناءك على الأغلب يشاهدون الكثير من المواد التي تحوي مسحات باطنية (ومعان إضافية) جنسية تحت سمعك وأبصارك، ودونما أي تفكير منك في الأمر. لذلك فهناك استراتيجية خاصة بمشاهدة المضامين الجنسية اليومية، وأخرى لأجل المضامين الفاضحة. لعلك تتوقع مني في هذا الخصوص أن أقترح عليك من مقاربات للتعامل مع هذه المضامين تشبه ما سبق واقترحته في مواقع أخرى من هذا الكتاب: المشاركة في المشاهدة، والتفسير.

السؤال الحقيقي هو كيف يجب أن يتم هذا؟ لقد استكشف الباحثون استراتيجيات مختلفة تتعلق بالطريقة التي ينبغي للأهل التحدث بها مع أطفالهم عن الجنس في الإعلام. حيث وجدوا أن بعضها قد يسبب الضرر كما قد يجلب المنفعة.

هناك عدد من الاستراتيجيات التواصلية يمكن أن يستخدمها الأهل عندما يفاتحون أولادهم بنقاشات صريحة حول الإعلام الجنسي. تدعى الاستراتيجية الأولى «الوساطة السلبية»، عندما ينتقد الأهل ما تقدمه وسائل الإعلام ومع ذلك يستمرون بالسماح للأطفال بمشاهدته. النمط الآخر يدعى «الوساطة الإيجابية»، حين يمتدح برامج بعينها أو جوانب أخرى من الإعلام. بالطبع هذا أمر لعلك لن ترغب بالقيام به مع برامج ذات مضامين جنسية! ثم هناك بالطبع «الوساطة الحيادية»، حين يناقش الأهل ما تعرضه وسائل الإعلام إنما دون إدانة أو تأييد. النمط الرابع يدعى

«الوســاطة المقيِّدة»، وهو عندما يرفض الأهل الســماح لأولادهم بمشاهدة برامج محددة، وإن سمحوا بها فلفترة أيضاً محددة.

شــكل آخر من أشكال الوساطة بين الأطفال ووسائل الإعلام يدعى «الوســاطة التفاعلية»، والذي يســتخدم بشكل أساسي ما يعرضه الإعلام ليفتتح به حواراً عن الإعلام، يهدف لأن يكون تفاعلياً. حيث يتم الاستماع إلى آراء الكثير من الأطفال. وأخيراً هناك «المشــاركة في المشــاهدة» التي تعتمد سياسة «شاهد ولكن لا تتكلم».

لقد سبق وأن راجعنا هذا من قبل إلى حدٍّ ما، نظراً لوجود الكثير مما يمكــن الإفضاء به حول مشــاهدة البرامج التلفازيــة التعليمية مع الأطفال في عمر المشــي، في مرحلة ما قبل المدرســة، وفي مرحلة السنوات الأولى في المدرســة الابتدائية. لقد وُجد أن المشــاركة في المشــاهدة وحدها ذات آثار إيجابيــة. وأن المشــاهدة التفاعلية من أي نــوع كان، كان لها دور كذلك في الرفع من ســوية التعلم. إنما ماذا عن الآن وقد بات طفلك شــخصاً بالغاً يافعاً؟ وباتت وسائل الإعلام لا تقتصر على البرامج التعليمية، بل هي عبارة عن تلفاز وأفلام وغيرها ذات محتوى جنسي؟

المشكلة هي أن المراهقين، حسناً كما تعلم إنهم مراهقون! هل جربت اســتخدام الوســاطة المقيِّدة مع أبنائك المراهقين قبــل الآن ؟ هناك احتمال قوي أنك لم تلاقِ استحساناً. وليس بالضرورة أن يكون الاستحسان جانباً أساسياً في العلاقة بين الأهل والمراهقين! ولكن في النهاية أنت ترغب في أن يتفهموا الأمر. هناك خوف من أن تعطي الوساطة المقيدة نتائج عكسية. ففي الحقيقة تظهر الدراســات أن الأهل ذوي الشخصيات الاستبدادية يجازفون بأن يخفقوا في تحقيق أغراضهم بشكل عام، دافعين بأطفالهم ممن لديهم

الميول إلى الجنوح باتجاه أسـوأ على نحوٍ ما . وحقاً، لقد وجدت الدراسـات أن المراهقين أكثر رجحاناً للوقوع في التشـوش في الأمور الجنسـية عندما يكون آباؤهم إما سلطويين بشدة، أو منعدمي السلطة في أسرهم.

ما الذي بمقدورك فعله مع الجنس في التلفاز والأفلام؟

خطة التصرف الأمثل في هذه الحالة كما تقترح الأبحاث بشـدة، هي إمسـاك العصا من المنتصف. باختصار على الأهل أن يتواصلوا مع أبنائهم، أن يدركـوا أن السـيطرة كانـت ذات جدوى حتى الآن وحسـب. فقدرتك علـى التحدث عن الجنس وغـيره من المواضيع أمر عظيم الفائدة للأبناء. إذ يميل الأهالي إلى عقد أواصر علاقة أمتن وأكثر حميميَّة مع أبنائهم عندما يفتتحـون معهم هذه الأحاديـث بأريحية. كما أن الأبنـاء بدورهم يتخذون وسطياً قرارات أفضل.

وها أنت تنطلق؟ كيف ستكسـر الجليـد؟ كيف تتحدث مع أبنائك عـن حقائق الحياة الجنسـية، وتُبْقِـي على الحوار متصـلاً بينكم؟ إحدى الإمكانيات، هي أن تسـتخدم وسائل الإعلام لتذيب الجليد. كن وسيطاً تفاعليـاً مع أبنائك، فألق دعابة حول ما يجري من موقف، أو انتظر إلى أن ينتهي البرنامج. سـتجد هذا على الأغلب أسهل بكثير من أن تبتدأ بنفسك حديثاً عن موقف ما.

وفعـلاً، يجد البحث أن «الحل الوسـط» هو الأكثـر فعالية. لأننا إن طرحنا التساؤل عن كيفية ردة فعل الأطفال على الأهل الذين يضعون قيوداً على بعض المضامين التي تقدمها وسـائل الإعلام، لوجدنا أنهم سيلتمسون تلـك المضامين حتى أكثـر من قبل، لدرجة تصـل إلى الافتتان بها، كما

يثبت العلماء. إضافة إلى أن أولادهم يصنفونهم على أنهم أقل إيجابية من غيرهم من الآباء الذين لا يضعون مثل تلك القيود (ولا مفاجأة في ذلك!). وأخيراً، يبلغ هؤلاء الأولاد عن مشاهدتهم لمواد إعلامية قد يجدها ذووهم كريهة مع أصدقائهم (المتوقع أنهم يفعلون في منازل أولئك الأصدقاء) بتواتر أكبر من أولاد الأهل الأقل تقييداً.

من ناحية أخرى لا يجدي نفعاً مجرد الجلوس والمشاهدة. فمعظم الأبحاث تشير إلى أن مشاركتك في مشاهدة المواد الجنسية، تماثل إعطاءك موافقة ضمنية على مثل هذه التصرفات التي فيها. ففي إحدى الدراسات وجد أن المشاركة الأساسية في مشاهدة المواد الجنسية تزيد من المواقف المؤيدة للجنس في عمر المراهقة.

أفضل القنوات المفضية إلى النجاح هي الوساطة التي لا تعتمد التقييد نوعاً ما. قد يُشكِّل هذا خياراً صعباً بالنسبة لكثير من الأهل. إذ إنَّ غالبية الأهل الذين يمارسون الوساطة المقيدة، هم أولئك الذين يجدون شخصياً أن المضامين الجنسية هي الأكثر كراهة. فمن الصعب السماح لأبنائك بالتعرض لإعلام تجده أنت نفسك مثيراً للاشمئزاز. فإن كنت لا تستطيع السماح صراحة بمثل هذا، فعلى الأقل جرِّب سبيل الوساطة السلبية. ولا ريب أن معظم الدراسات قد وجدت أن الوساطة السلبية مقيتة بالنسبة للمراهقين (الذين ينزعون إلى أن يكونوا حساسين تجاه الاستماع «لمحاضرات» الأم والأب). لكن قلة منها عثرت على تبعات سلبية تتجاوز «تأثير المحاضرات».

في حين أن الأسلوب الآتي هو الأكثر صعوبة، فعليك أن تكون على مستوى التحدي. إنك تتخذ الخطوات الإيجابية الأولى بقراءتك لهذا

الكتاب. الوساطة التفاعلية تعني إجراء أحاديث تسبر أغوار أولادك. لقد قرأت لمعلّق صحفي كتب مؤخراً، أنه من بين كل المصادر الأخرى، قد حصل من مجلة ماد على النصيحة الأفضل عن كيفية التعامل مع المراهقين. باختصار، إن أردت تجنب رؤيتهم يتصرفون مثل الأطفال، عاملهم إذاً بوصفهم بالغين. إنما بينما تفعل، أبد ارتيابك فيما تقدمه وسائل الإعلام، دون الارتياب فيهم. حدثهم عما تعرفه بخصوص الآثار التي يمكن لمثل هذه البرامج أن تتركها على الناس. وأخبرهم كيف أن الإعلام محشو بكل ما هو جنسي، وبالممارسات الجنسية أكثر بكثير من العالم الواقعي.

أطلعهم على أن الناس الذين يظهرون في وسائل الإعلام يقومون بأشياء أكثر تطرفاً، وللأسف بعاطفة أقل بكثير مما قد يشعر به المرء في الحياة الواقعية. إنها لرسالة مهمة أن يفهم أبناؤك أنه في حين أن الممارسات الجنسية العابرة قد تحقق غاية معينة، غير أنه لا يمكن لها بأي حال أن تستنسخ خصوصية وحميمية العلاقة مع شريك الحياة. تبادلوا الحديث عن الفروقات بين الأخلاقيات التي تعرض على التلفاز، وبين الأخلاقيات المكرّسة في أسرتك، وأخلاقيات ذوي أصدقائهم، وأخلاقيات المجتمع بصورة عامة. وافسح لهم المجال ليتكلموا بقدر ما تتكلم أنت.

التدخين في برامج التلفاز والأفلام:

منذ بزوغ الأشرطة السينمائية والممثلون والممثلات فيها يدخنون. وفي حين أن التدخين لم يعد قضية تطرح نفسها بشدة، فإن كل ما يلزم للاقتراب من وقوع المحظور هو أن يعجب ولدك المراهق بشخصية مدخنة على الشاشة ويجدها جذابة. الخبر «الجيد» هو أن الناس المدخنين في الواقع هم أكثر من أولئك المدخنين على التلفاز. والخبر السيء هو أن

ضعف الشـخصيات تقريباً يدخنون في الأفلام أكثر مما يفعلون في الحياة الواقعيـة. وغالبية الأفلام تصور المدخنين على نحو حيادي أو حتى إيجابي، وقلة فقط من الأمثلة تعرض شـخصيات تكره كونها مدخنة. أما بالنسبة للإعلام المقروء، فالخشـية ليست من الممثلين، بل من الإعلانات التي تقوم طبعاً بالربط بين التدخين وأمور أخرى جذابة.

وكحال الآثار الأخرى لوسائل الإعلام الجماهيرية كلها، يبدأ تأثيرها على موضوع التدخين عند التساؤل عما إذا كان الإعلام يغير من قناعاتنا عن عدد الأشـخاص المدخنين. في دراسـة أساسـية أجراها بيج قبل حوالي العشـر سـنوات، خمن طلاب الجامعة عدد الأشـخاص المدخنين ضعف ما هـو عليـه حقيقة. إلا أن الدراسـة على أي حال لم تربـط صراحة بين ذلك

طرائق لمشاهدة وسائل الإعلام مع أولادك

إليكـم سـت طرائق يمكـن للأهل اسـتخدامها عنـد تفاعلهـم مع وسـائل الإعلام الجماهيرية، بحضور أولادهم:

١. **الوساطة السلبية: إلقاء آراء ناقدة حول ما تتم مشاهدته.**
٢. **الوساطة الإيجابية: إلقاء آراء إيجابية عن وسائل الإعلام.**
٣. **الوساطة الحيادية: عدم التحدث على نحو منكر أو مؤيد لما يعرض.**
٤. **الوسـاطة المقيدة: منع الأبناء من مشاهدة نوع محدد من الإعلام، أو السماح لهم بمشاهدة ما يعرضه الإعلام إنما الحد من الكمية.**
٥. **الوساطة التفاعلية: أحاديث عن الإعلام، قد تتضمن رسائل إيجابية، سلبية أو محايدة.**
٦. **المشاركة بالمشاهدة: المشاهدة، الاستماع، وغيرها مع أولادك دون أي تعليقات شفوية.**

ومشاهدة العديد من الأفلام، وهو المكان الوحيد الذي يفترض أن يستقي منه المرء إدراكاً مبالغاً فيه عمن يدخنون. وبالفعل إن كان المرء ليتابع التلفاز وحسب، لكان في الواقع سيبخس تقدير عدد المدخنين.

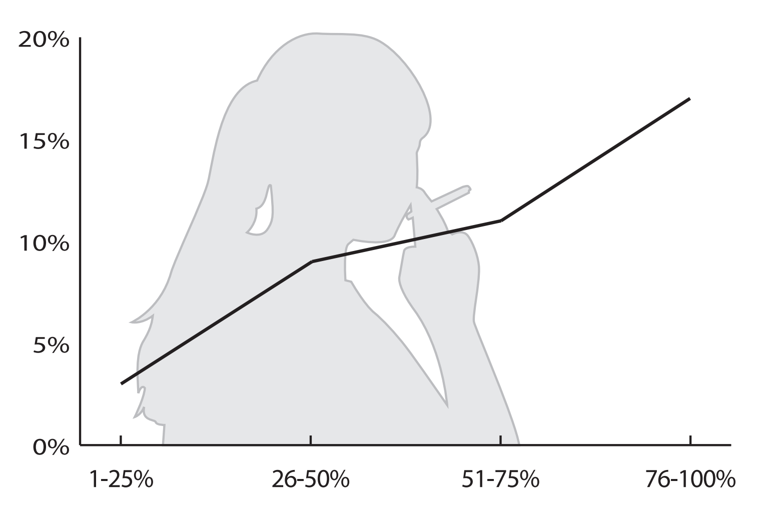
من ناحية أخرى، على الرغم من وجود شك فيما إذا كان لوسائل الإعلام الجماهيرية تأثير على مدى اعتقادنا بوجود مدخنين، فإن هناك دليلاً قاطعاً، كالذي قدمه دالتون وزملاؤه، على أن مشاهدة الأفلام السينمائية بإفراط يزيد من احتمالات خلق مواقف إيجابية عن التدخين، وحتى البدء بالتدخين.

الخبر الجيد في هذا المضمار هو أنه بقدر ما للأفلام القدرة على زيادة المواقف الإيجابية لدى المراهقين تجاه التدخين، فإن الإعلانات المناهضة له تتمتع بالفعالية ذاتها في تحريض مواقف سلبية منه. غير أن ما يحفز المراهقين بحق هو ما يُقْدِمُ أسوتهم؟ (الفنانون؟!) على قوله أو فعله. فقد أظهرت عدة دراسات أن نجوم الأفلام بشكل خاص لهم تأثير كبير على التجارب المتعلقة بالتدخين، وبالمواقف تجاه التدخين.

نوازع القلق الكبرى ترتبط ببدء التدخين الفعلي لدى اليافعين. وهنا فإن الدليل واضح تماماً بأن الاستغراق في مشاهدة الأفلام له القدرة على التأثير على قرار المراهقين بالبدء في التدخين. فقد قامت دراسة على نحو دقيق بقياس عدد الأفلام التي شاهدها ما ينوف على ٣٥٠٠ مراهق، ومن ثم في دراسة لاحقة متممة تم قياس عدد من بدؤوا بالتدخين بعد سنة إلى سنتين. والنتيجة كانت أنه في حين بدأت نسبة عشرة بالمئة منهم إجمالاً بالتدخين، فإن من بين نسبة الخمس وعشرين بالمئة الذين احتلوا المرتبة الأعلى في مشاهدة الأفلام، كانت نسبة من بدؤوا بالتدخين هي سبعة

عشر بالمئة. في الحقيقة إذا ألقيت النظر على المخطط البياني التالي ستجد النتائج صادمة بحق. وهي تزداد سوءاً في حال كان الأهل من المدخنين أيضاً. إنما إجمالاً، يبدو بوضوح أن هناك تأثيراً لفتنة التدخين والبدء به على المراهقين. الخبر الجيد أن الرسائل المناهضة للتدخين في الإعلام لها الأثر الفعال ذاته لرسائل التدخين. وتبقى نقطة الانطلاق الأمثل في هذا السياق هي أن تقلع عن التدخين أنت بنفسك، والآن قبل أن يصبحوا مراهقين. فإن كنت مدخناً ستجد من الصعب جداً إقناع أولادك على نحوٍ فعَّال بألا يدخنوا.

مشاهدو الأفلام من المراهقين الذين بدؤوا بالتدخين



(المحور الأفقي): نسبة الأولاد الذين يشاهدون أفلاماً أقل من المراهقين الذين خضعوا للمسح

المصدر: دالتون، سارجنت، بيتش إت آل.

الوسيلة الأخرى للتعامل مع الموضوع هي أن تتحدث مع أبنائك عن التدخين. وهناك العديد من الاستراتيجيات الفعالة للقيام بهذا، كما أني أشجعك على الدخول إلى المواقع المكرسة لهذا الموضوع من قبيل: www.thetruth.com، وأيضاً www.anti smoking.org وأخيراً، تحدث مع أبنائك عن التدخين في هوليوود، وأخبِرْهم أن قلة فقط من الممثلين الذي يشاهدونهم في الأفلام يدخنون في الحياة الواقعية. واشرح لهم أن التدخين كان ذا شعبية في الأجيال الماضية لجهل الناس بكثير من آثاره الصحية الضارة على المدى البعيد. لذا فإن الأفلام التي أعدت في الماضي ستحوي الكثير من التدخين، لكن هذا لا يعني أنه أمر مقبول في وقتنا الحاضر.

الحاسوب والإنترنت

ببلوغه هذه المرحلة، فإن ولدك المراهق بالتأكيد بات ضليعاً تماماً باستخدام الإنترنت، الهواتف المحمولة، الرسائل الفورية، وحتى الدردشة. فما الذي يفعله المراهقون إذاً بهذه المهارات كلها؟

إنهم يستخدمونها في حياتهم الواقعية. فإن كان هناك من فارق مؤكد بيني وبين أولادي، فسيكون في أن استخدامي للإنترنت سيكون بغرض البحث الاستهلاكي؛ بالنسبة لأولادنا المراهقين ستكون غايته ذاك بالإضافة إلى التواصل الذاتي، وبروز الشخصية. بالنسبة لك، الهواتف المحمولة لإجراء الاتصالات، تماماً كذلك الهاتف الأرضي الذي كان معلقاً على الحائط في مطبخ أهلك. بالنسبة لمراهقينا، فسيستخدمونها كذلك كنسختهم الخاصة من أوراق الملاحظات التي كنا - حينما كنا

في سنهم- نوزعها بين بعضنا من واحد إلى آخر. كما سيستخدمونها لتفقد الأخبار والنتائج وحتى مساحاتهم الخاصة على شبكة الإنترنت ربما. ولعلك تستخدم الرسائل القصيرة الفورية بانتظام، أو قد لا تفعل. أما ولدك المراهق فسيستخدمها كأي شكل آخر من أشكال التواصل، ومن المحتمل أن يفعل بكثرة. وعليَّ الاعتراف، أنه بعيداً عن الغايات الخاصة بالدراسة والبحث لأجل هذا الكتاب، فإن تعاملي الوحيد مع غرف الدردشة كان على منتدى شبكي خاص بالتصوير الضوئي الفلكي وهو لا يمثل تماماً ما يجول في خاطر ولدك عندما يقصد غرف الدردشة!

قد يكون من الحكمة أن تلاحظ ما الذي قد تتوقعه من ولدك المراهق بمواجهة أشكال التواصل الجديدة كلها. ما ستجده على الأرجح هو: تعيش المصفوفة The Matrix. هذا صحيح إنني أتحدث عن الفِلم الرائع للممثل كيانو ريفز، وتتماته المريعة. في ذلك الفِلم، حيث تَرى الناس تعيش في عالمين متوازيين، الواقعي والافتراضي. احزر ماذا؟ أبناؤك يعيشون في عالمين كذلك. إنما من الجوهري أن ندرك أن العالمين متصلان ببعضهما على نحو لا يمكن إلغاؤه.

إن طريقة التواصل (سواء كانت واقعية أو إلكترونية) يمكن أن تؤثر على الكيفية التي نرى بها شخصاً ما، رغم أنهما في الجوهر الشخص ذاته. لذا فكما كانت شخصية نييو الافتراضية أكثر صفاءً وجاذبية من شخصيته الواقعية الشعثاء، كذلك أبناؤك يظهرون للناس على الإنترنت فقط ما يريدون هم له أن يظهر. ففي الواقع، هناك بعض الشخصيات على الإنترنت التي لا تشابه أصحابها في شيء. البداية في كل هذا تكون مع الاتصال بالإنترنت، ومن هنا سوف ننطلق.

تطوير شبكة تواصل اجتماعية إلكترونية:

بحسب ما جاء في مشروع الحياة الأمريكية والإنترنت، فإن أكثر من نصف المراهقين لديهم جميعاً صفحات تروي لمحة عنهم على الإنترنت (بروفايل). لذا فهناك احتمال كبير في أن يكون ولدك من بينهم. ثلثا هؤلاء فقط هم من يزعمون أنهم باتوا من فترة قريبة قادرين على الحد من الاطلاع على صفحاتهم الخاصة. ويقر نصف من لهم هذه الصفحات بأنهم كذبوا في تعريفهم بأنفسهم على الإنترنت. ومرة أخرى، نصفهم يذكر أنهم يستخدمون لمحاتهم الذاتية تلك ليحصلوا على صداقات جديدة. وما يزيد على الثلث قد اتصل به أحد الغرباء.

فما هي اللمحات الذاتية التي تحويها الصفحات الشخصية على الإنترنت على أي حال؟ وفقاً لمشروع الحياة الأمريكية والإنترنت، يعرض المراهقون المعلومات التالية عن أنفسهم في صفحاتهم:

ما المعلومات التي يرسلها المراهقون إلى صفحاتهم الذاتية على الإنترنت؟	
الاسم الأول	٨٢٪
صورة شخصية	٧٩٪
صور الأصدقاء	٦٦٪
مسقط الرأس	٦١٪
اسم المدرسة	٤٩٪
الاسم المستخدم في الرسائل الفورية	٤٠٪
اللقب	٢٩٪
عنوان البريد الإلكتروني	٢٩٪

المصدر: مشروع الحياة الأمريكية والإنترنت

بالنسبة لمعظم المراهقين، أن تكون على الإنترنت هو طريقة حياة. وفعلاً إن نسبة المراهقين الذين يقولون بأنهم يدخلون الإنترنت يومياً تصل حتى ٥٠ بالمئة. وتسعة من أصل عشرة يستخدمون الإنترنت مما يعني أن ما يزيد على نصف المراهقين جميعاً يدخلون الإنترنت يومياً.

الناحية المهمة هي أن واحداً من أصل كل أربعة من الأهالي غير مدرك لحقيقة أن أولاده لهم حضور على الشبكة. ومن المؤكد أن هذا يحدث مع الأهل الذين هم بشكل عام لا يملكون أدنى فكرة عن الإنترنت والمنظومة الهائلة من فرص التواصل التي تتيحها. ولا بد أنك بعد أن وصلت إلى هذه المرحلة من الكتاب، لست واحداً منهم.

لعله من المنطقي أن يصبح ممكناً تحوُّل نسبة كبيرة من اتصالاتك اليومية إلى الشكل الإلكتروني، رغم أن هذه الحالة قد لا تنطبق عليك. لكن كيف يحدث هذا على وجه الدقة؟

مواقع الترابط الاجتماعية الشبكية:

تتيح المواقع الشبكية مثل ماي سبيس أو فيسبوك خيارات متعددة للتواصل مع الآخرين. الخطوة الأولى غالباً هي في الاتصال بأصدقائك، وهذا يتم ببساطة من خلال إدراجك للاسم الذي يستخدمونه في رسائلهم الفورية، ليتم بعدها دعوتهم ليكونوا جزءاً من شبكة من الأصدقاء. ومن ثم يصبح هناك طرق عدة بمقدور الأصدقاء التواصل من خلالها، كإرسال رسالة إلى صفحة أصدقائهم (ما يدعى بالجدار)، أو إرسال التعليقات على مدونات أصدقائهم، أو إرسال ملاحظات تشجيع وما شابه على شكل «مساندة إلكترونية» أو «وكزات». يمكن للرسائل أن تحوي

رسوماً تصويرية، بدءاً من الوجوه الضاحكة وانتهاء بالصور الكاملة. وأخيراً، الشكل الأكثر شيوعاً يتمثل في إرسال رسائل إلى مجموعات شبكية معينة، كما يمكن أن أفعل في مجموعتي للتصوير الفلكي. ينحو المراهقون الذين يتواصلون بهذه الطريقة لأن يجعلوا منه جانباً مهماً من حياتهم الاجتماعية. فهم يخبرون عن أنه يمنحهم شعوراً قوياً بالانتماء إلى المجموعة عند اتصالهم مع الآخرين. بالنسبة لهم إنه نوع من التواصل الحقيقي الذي يماثل تمضية الوقت مع الأصدقاء في مركز التسوق. وإنه لكذلك فعلاً.

لتبسيط الأمور، يستخدم المراهقون شبكات الترابط الاجتماعية على الإنترنت ليعقدوا صداقات ثم يرعوا هذه العلاقات. قد يتساءل المرء، هل هؤلاء الأصدقاء يقطنون قريباً في نهاية الشارع، أم أنهم يبعدون مئات الأميال؟ والجواب هو إما إحدى الحالتين أو كلتاهما. إحدى الأمثلة التي نسوقها تتمثل في مراهق كان جزءاً من دراسة حديثة عن الإنترنت. كان ذاك الفتى قد لاحظ أن مدرسته الثانوية أضخم من قدرته على تتبع ولقاء أشخاص جدد على نحو فعال. أما عبر الإنترنت فإنك تطّلع على اللمحات الذاتية للأشخاص، وتعرف ما الذي يفعلونه، ومن ثم ترسل رسالة إلى أحدهم. وبعد فترة من التواصل المتبادل، تحدد موعداً شخصياً للقاء في المدرسة. إنها حقاً ليست بطريقة سيئة للقاء الأصدقاء نوعاً ما.

من الأهمية بمكان أن نتذكر أنه على الرغم من المخاوف المبررة والواقعية من التنمر الحاسوبي، فإن الكثير من المراهقين يشعرون أنه من غير الملائم أن يكونوا لئاماً أو أن يحقروا الآخرين على الإنترنت كما هو الحال في العلاقات الشخصية المباشرة. من هذا المنظور، يمكن حتماً اعتبار الصداقات عبر الإنترنت مأمونة أكثر من غيرها.

وإضافة إلى لقاء الأصدقاء، يقوي التواصل الشبكي من العلاقات الموجودة سلفاً. هذا ما يشعر به حوالي نصف المراهقين تجاه وجودهم على الإنترنت. ناهيك عن أنهم لا يشعرون بأن الوقت الذي يصرفونه على الإنترنت يكون على حساب اللقاءات الشخصية، بل أنه بالأحرى إضافة وزيادة عليها.

هناك طبعاً مخاوف من لقاء الغرباء كما أسهبت في الحديث آنفاً في فصول سابقة. بلا شك هذه المخاوف واقعية، ولكن إجمالاً واحد فقط من أصل كل خمسة من المراهقين المستخدمين للإنترنت هو من أخبر عن اتخاذه صديقاً عن طريق الشبكة، لم يسبق وأن التقى به من قبل. وطبعاً معظم هؤلاء غير مؤذين؛ كأصدقاء القلم، أو أصدقاء لأصدقاء، وأناس قد سعوا إلى الصداقة أو دعوا إليها بناء على اهتمامات مشتركة في الهوايات والنشاطات.

من وجهة نظر أبنائكم المراهقين، فإن وجودهم على شبكة الإنترنت يمكن أن يمثل تصويراً أدق لكيانهم. فقبل كل شيء هناك الانفصال عن المظهر، بمعنى أنك لست مضطراً لأن تظهر وجهك (أو جسمك). وعليه فإن الشخصية الموجودة على الإنترنت أقل تقيّداً بهذا الجانب المهم أكثر من اللازم في اللقاء الشخصي.

ومع ذلك، على الرغم من شعورهم بأن ذواتهم على الإنترنت «حقيقية» أكثر من ذواتهم الحقيقية نفسها، إلا أنهم يعترفون بأن لديهم أكثر من شخصية واحدة على الإنترنت (على المرء أن يتساءل، أيها الأكثر دقة؟). إذ تصل النسبة حتى واحد من أصل أربعة من المراهقين ذوي الصفحات الشخصية الذين يملكون في الواقع أربعة أو أكثر من الأسماء أو عناوين

البريد الإلكترونية. أحد تلك الأسماء يستخدم على الأغلب لأصدقائهم المقربين وحسب، ربما بين الشخصين إلى سبعة أشخاص. ومن ثم هناك مجموعات أخرى مرتبطة بأصدقاء آخرين وأصدقائهم.

ولكن من ناحية أخرى، يستخدم المراهقون صفحاتهم الشخصية المختلفة أحياناً في سبيل «تجربة» الجوانب المختلفة من شخصيتهم الشبكية. وهذا لا يختلف عما قمنا به أنا وأنت حين كنا في مثل سنهم. الفرق الوحيد أننا قمنا به بشكل مباشر وشخصي.

ومع ذلك، فإجمالاً ما من سبب يدعوك للاعتقاد بأن حياة ولدك المراهق التي يزاولها على الإنترنت ليست بطبيعية، ما لم تشهد بنفسك أو يتم إخبارك عن وجود تنمر حاسوبي، أو أن تشعر بأنه ببساطة يمضي وقتاً أطول من اللازم في التواصل عبر الإنترنت.

إلى جانب اللمحات الذاتية التي يضعونها في صفحاتهم الخاصة، والمجتمعات التي ينشئونها من أصدقائهم، فإن أولادك المراهقين على الأرجح يتواصلون كذلك باستخدام المرسال (المسنجر). فحالياً، ثلاثة من أصل كل أربعة من المراهقين الذين يدخلون إلى الإنترنت يستخدمون الرسائل الفورية، وثلث هؤلاء يقولون بأنهم يفعلون بشكل يومي. وحوالي نصف المراهقين الذين يدخلون إلى الإنترنت يومياً يقومون بتفقد أو إرسال رسائل فورية في كل مرة يستخدمون فيها الإنترنت.

المدونات وصفحات الإنترنت:

يستخدم المراهقون أيضاً المدونات. والمدونات هي بمثابة دفاتر يوميات ومذكرات الأمس، رغم أنها تكون عامة نظراً لكونها على الإنترنت وجزءاً من المساحة الشبكية الخاصة بالمرء، أو من صفحته التابعة لمجتمعه الشبكي. من جهة أخرى، ما من جيل كان نشيطاً في التواصل الكتابي كما هو جيل اليوم. كما أن المدونات تخدم من حيث القراءة، إذ لا يقوم المراهقون بكتابة مدوناتهم فحسب بل يقرؤون ما كتبه الآخرون. كل واحد من أصل خمسة مراهقين تقريباً يكتب مدونة، وهم يستخدمونها لعدة أسباب. فالكثير يعدونها نطاقاً خالياً من رقابة الأهل للتنفيس عن مكنونات نفوسهم، ولمناقشة مواضيع مع الأصدقاء لا تتسع لها أشكال التواصل السريعة كالرسائل الفورية. تعلِّم المدونات الأولاد أن يكون لهم رأيهم الخاص. فالأمر ليس مقتصراً على أن يخوضوا التجربة، بل أن يستكشفوا أنفسهم ويزدادوا علماً أثناء مسيرتهم بها.

قد يمتلك المراهق أو المراهقة كذلك صفحة خاصة على الإنترنت. فقرابة ثلث المراهقين الذين يستخدمون الشبكة قد أنشؤوا لأنفسهم صفحات خاصة بهم أو بالآخرين، أو على الأقل أنشؤوا مدونات خاصة بهم أو بغيرهم. في الواقع ينشئ الرُّبع صفحات خاصة بهم ويحافظون عليها.

الهواتف الخليوية:

وأخيراً، بات ولدك المراهق متصلاً بالهاتف الخليوي (لدرجة تحسب معها أحياناً أنه ملتصق بغراء إلى رأسه!) حوالي نصف مراهقي اليوم يمتلكون هاتفاً خليوياً، ويرتفع هذا الرقم بشكل كبير لدى أبناء الأسر المتوسطة

الدخل وحتى العالية الدخل. ويستخدم قرابة ثلث المراهقين الرسائل النصية عبر الهاتف الخليوي على أنَّها شكل من أشكال التواصل أيضاً. لكن ذلك لا يعني تجنبهم للهواتف الأرضية، إذ ما يزال ما يزيد على نصف المحادثات مع الأصدقاء يحدث باستخدام هواتف عادية. ولكن بصورة عامة، جدير بالذكر ما لفت مشروع الحياة الأمريكية والإنترنت الانتباه إليه، وهو أن المراهقين الذين يتراءون لنا كما لو أنهم مرتبطون بشكل جامح بوسائل الاتصال، ما يزالون يتمتعون بحياة متكاملة ومنتجة بعيداً عنها. فأربعة من أصل خمسة يشاركون بنشاطات من نوع ما بعد المدرسة، ومعظمهم يملك مجموعة متينة الروابط من الأصدقاء الذين يتواصلون معهم على نحو شخصي قبل كل شيء. ولكن مع ذلك يبقى الحال السائد هو أنه قد غدا أمام المراهقين اليوم وضعيتان مهمتان جداً تعكسان مرحلتهم العمرية هذه بوصفهم مراهقين، وضعية الاتصال ووضعية عدم الاتصال.

الإباحية على الإنترنت:

وصفت الإنترنت ذات مرة بأنها «هرمون إباحي». وفي حين أن هذا حتماً تضخيم للمشكلة، إلا أنه ما من شك أن الإنترنت شكلت هبة لصناع الفن الإباحي كما هي بالنسبة لأي صناعة أخرى. خذ البريد الإلكتروني السيء مثلاً، والذي يعتبره كثير من الناس النسخة الشبكية لمكالمات التسويق الهاتفية. لكن الحقيقة أنه مختلف تماماً، بما أن حوالي العشرين بالمئة من هذا البريد يحوي مضامين موجهة للبالغين. ويقدر حالياً أن نصف المراهقين تقريباً يستلمون أمثال هذا البريد كل يوم.

إن المواقع الإلكترونية المخصصة للفن الإباحي عملياً لا تعد ولا تحصى. تضع التقديرات ذاك العدد قريباً من النصف مليار صفحة إنترنت،

ونصف مليون موقع إلكتروني. ويقدر عدد الأشخاص الذين يزورون مواقع البالغين هذه أسبوعياً بمئة مليون.

عندما ناقشنا الفن الإباحي المعروض على شاشات وسائل الإعلام الكبيرة، كانت المشكلة تتمركز حول سعي المراهقين لمشاهدة هذه المضامين. الأمر ذاته يصح على الإنترنت، ولكن يضاف إليه همّ تعرضهم غير المتعمد إليها. بحسب بحث أجراه غرينفيلد، فإن خمساً وعشرين بالمئة من مجموع المراهقين يتعرضون سنوياً إلى مواد إباحية جنسية غير مرغوب بها. اثنان من أصل كل خمسة تعرضوا لا لصور أشخاص عراة فحسب، بل صور للممارسة الفعلية، وواحد من كل عشرة تعرضوا في الواقع إلى مضامين عنيفة جنسياً. حوالي ثلاثة أرباع المراهقين قد شاهدوا مشاهد إباحية عن غير قصد منهم، الربع الباقي كانوا يفتحون بريدهم الإلكتروني ليجدوا على نحو غير متوقع رسالة ذات محتوى جنسي.

حتماً إن المراهقين لا يتعثرون بالفن الإباحي من غير قصد بل يسعى الكثير منهم إليه. وعلى الرغم من عدم التيقن من عدد المراهقين الذي يسعون للإباحية على الإنترنت، فإن البعض يقدرون النسبة بأنها عالية تصل حتى الخمسة عشرة بالمئة. فخمسة عشرة بالمئة على الأقل من المراهقين الذي شملهم المسح أقروا بأنهم كذبوا بشأن أعمارهم ليتمكنوا من الدخول إلى موقع إلكتروني ما، علماً أنه ليست كل المواقع التي تسأل عن عمر المرء (أو تطلب التصديق على أن عمر زائرها هو ١٨ على الأقل) ذات محتوى جنسي فاضح. فلننظر للأمر من زاوية أخرى، ما نسبة زائري المواقع الإباحية من القاصرين؟ مرة أخرى تتفاوت الأرقام، وإن كان الأغلبية يقدرون أنها تقع بين الخمسة عشرة والخمسة وعشرين بالمئة. وبغض النظر عن تعداد من يزورون المواقع الإباحية فعلياً، فإن الغالبية العظمى من المراهقين يقولون

بـأن بمقدورهم زيارة مثيلات هذه المواقع دون أيما علم من ذويهم. وهم على الأغلب محقون في ذلك.

إن واحداً من آثار الإنترنت الضخمة على المجتمع هي الزيادة الحادة في مقـدار المواد التي يمكن للمرء الوصول إليها عن مواضيع متخصصة جداً. أي أن الإنترنـت لم تؤمـن وحسـب زيادة في توافر المعلومـات حول المواضيع الأكثـر عموميـةً، كالفن الإباحي، بل إنها أكثر مـن ذلك قد زادت من توافـر الاهتمامـات المتخصصـة، كمجموعات محددة متفرعـة عن الفن الإباحـي. يتضمـن هذا كافة أشـكال الطقـوس: من الملابـس المطاطية اللصيقة بالجسـم، إلى أساليب السـيطرة، وكذلك الخضوع. ولكنها لا تتوقـف عنـد هذا الحد بل تتجاوزه إلى الكثير من الزوايا الأكثر ظلمة في عالم الإباحية كالخنق والتعذيب واستخدام الأطفال.

كيف يمكن استشعار وجود مشكلة مع الإباحية على الإنترنت؟

ليس من السـهل على الدوام اكتشـاف ما إذا كان ولدك يطلع على محتويـات بغيضـة أخلاقياً على الإنترنـت. وبعدها قد يكـون من الأكثر صعوبة معرفة ما ينبغي فعله حيال الأمر.

برنامج ترشيح الإنترنت (الفلتر) هو الخيار الوحيد المتاح أمامك لمعرفة مـا إذا كان أولادك يطلعون على مضامين غـير مرغوب بها على الإنترنت. وكما ناقشـنا سـابقاً، يمكن لهـذا البرنامج أن يخبرك عـن المواقع التي قصدهـا ولـدك، متى فعـل، وكم أمضى مـن الزمن هنـاك. حتى حينئذ يمكن أن يكون الأمر صعباً. فغالباً ما من سـبيل لديك لمعرفة ما هي تلك المواقـع إلا إن دخلـت إليها بنفسـك. لكن مرة أخرى أذكـرك بأن غالبية برامـج الترشـيح توفر إمكانية التقـاط صور دورية لما يعرض على شاشـة

الحاسوب، والتي بإمكانك الاطلاع عليها لاحقاً. وبالتالي لن تكون في جهل مطبق عما يستعرضه ولدك على الإنترنت.

ومع ذلك، يدعي عدد من الأولاد قدرتهم على الالتفاف على برامج الترشيح التي يضعها أهلهم، بحسب ما ذكره بيو وغيره. ففي النهاية، بمقدور الأبناء أن يجعلوا تلك البرامج في حواسيبهم تنهار من خلال نزع القابس الكهربائي وهي لا تزال تعمل. فتكون النتيجة أن لا تحفظ برامج تصفح الإنترنت وبرامج الترشيح أي معلومات في ملفاتها. ومن ثم يعيدون القابس ويشغلون الحاسوب من جديد، فلا تجد أي معلومة هناك، وكأن شيئاً لم يكن. فإن حصل ولاحظت وجود فجوات زمنية في برنامج الترشيح الخاص بك، لعل هذا هو السبب. وبالطبع هناك العديد من التقنيات الأخرى، إذ يمكن للأبناء أن يمتلكوا قدرة مدهشة على اكتشاف الرموز السرية لآبائهم. فبعض الأبناء بارعون جداً بالتقنيات بحيث يستطيعون الدخول إلى برامج الترشيح عبر الرمز السري وتعطيلها.

لحسن الحظ، ليس كل الأولاد على هذه الدرجة من التقدم. ومع ذلك، إن كنت تشك بوجود مشكلة ما فإحدى سبل استبيانها هي أن تضبط ابنك متلبساً. على سبيل المثال، إن لحظت ميله إلى العمل على الحاسوب في وقت متأخر من الليل، ربما يجب أن تقرع عليه الباب في ذلك الوقت. حتماً سيعطي ذلك ولدك الوقت الكافي للانتقال إلى موقع آخر. ومع ذلك ففي مقدورك أن تستشف ردة فعله. اطلب إليه استخدام الحاسوب لدقيقة، ومرة أخرى راقب ردة فعله. وما إن تجلس إلى الحاسوب اضغط زر العودة إلى الصفحة السابقة، أو أنزل قائمة عناوين المواقع الإلكترونية لترى ما إذا كان يوجد أي شيء مقلق هناك. أخيراً، يعود الأمر برمته إلى تقديرك أنت إلى المدى الذي ينبغي أن تدفع الموقف إليه، اعتماداً على ردة فعل ولدك.

كيف تتعامل مع ولدك إن كان يشاهد المواقع الإباحية؟

فإذاً لقد شاهد ولدك مواقع إباحية، كيف تتصرف إزاء ذلك؟ معظم الاختصاصيين ينهون بشدة عن الاستجواب الفظ، انتزاع الاعتراف، أو غيرها من أساليب المواجهة المباشرة. ففي النهاية هناك احتمال، بحسب الموقف، أن يكون قد شاهده على نحو غير مقصود. في الحقيقة إن التحدث مع ولدك ونقل مشاعرك إليه، هو السبيل الأفضل لتعامل الأهل مع هذه التحديات، إضافة إلى الثقافة الجنسية في المدارس.

لا تكن من أولئك الأهل الذين لا يفتؤون يؤجلون الحديث عن حقائق الحياة الجنسية، ولا تدور بينهم أحاديث الجنس بأكثر مما تدور أحاديث المصفوفات الجبرية. ولست هنا بصدد الإسهاب في الحديث عن الطريقة الصحيحة للتحدث مع أبنائك حول الجنس، فهناك مصادر كثيرة تستقي منها مثل هذه المعلومات. ولكن قبل أي شيء آخر، لا تعزل ولدك. كن مسترخياً في الحديث معه حول هذه الأمور، كيما يشعر هو بارتياح أكبر في الحديث معك حولها.

ما وراء الاتصالات، لعله قد آن الأوان لتمارس معرفتك في الترشيح. فلتراجع برنامج الترشيح الحاسوبي الذي تستخدمه، وتأكد من أنه يقوم بالآتي:

١. الحد لا من صفحات الشبكة الإلكترونية وحسب، بل الإيميل وغرف الدردشة كذلك.

٢. مراقبة حركة الملفات الداخلة والخارجة من الحاسوب عن طريق بروتوكولات نقل الملفات أو ما يختصر بـ FTP، وسواها من الوسائل.

٣. مراقبة وربما الحد من الدخول إلى المجموعات الإخبارية وغيرها.

٤. مراقبة الرسائل الفورية.

٥. السماح لك بتعديل قائمة المحتويات الممنوعة (وعليك فعلاً الإفادة من هذه الخاصية).

٦. تحديد أي المضامين غير ملائم استناداً إلى مصادر متعددة، مثل تصنيفات الصور، وكلمات معينة في عناوين المواقع الإلكترونية، وغيرها من سبل.

الغش باستخدام الإنترنت:

لقد جعلت الإنترنت ثروة من المعلومات متاحة بالفعل، أكثر من قدرة أي شخص يعيش في أواسط الثمانينيات على التخيل . والأهم من ذلك، أن ثروة من المعلومات قد غدت إلكترونية.

نابستر Napster يتحول إلى الإباحية

هل تذكر الأيام الأولى في مشاركة الملفات الموسيقية، عندما كان نابستر يشكل البدعة السائدة؟ خلال عام واحد، أخذ ملايين الناس يستخدمون نابستر لتحميل الملفات الموسيقية مجاناً. في هذه الأيام أضحى ذلك اقتراحاً خطراً، إذ بات اتحاد صناعة التسجيلات الأمريكية يستخدم محملين وموزعين للموسيقى من العيار الثقيل، وهم يفعلون ذلك عبر ما يدعى الآن بشبكات الأقران.

هذه الشبكات التي جعلتها نابستر في متناول اليد تظهر الآن في كافة الأشكال والأحجام مثل لايموايـر وكازا. حتى يومنا هذا يستخدم كثير من الناس هذه الشبكات لتحميل ملفاتهم الموسيقية وملفات الفيديو المفضلة لديهم مجاناً. المؤسف في الأمر، أن ما يزيد على نصف الملفات المتوافرة في تلك الشبكات لم يعد ملفات موسيقية، بل في الواقع ملفات فيديو تحوي مشاهد فاضحة جنسياً تستتر غالباً تحت قناع ملفات فيديو موسيقية سليمة.

معنى هذا أن قص ولصق عمل شخص آخر بات أكثر سهولة من أي وقت مضى. وعلى الرغم من أن الحد الذي وصل إليه الأولاد في القص واللصق وشراء أوراق العمل عبر الإنترنت ليس واضحاً، فيعتقد أنه في الحين الذي يصل فيه ولدك إلى الجامعة، فهناك نسبة عشرة بالمئة أن يكون قد سبق له وغش يوماً في امتحان أو ورقة عمل. وإن لم يكن هذا كافياً، فلتعلم أن هناك مواقع لا تتيح لك المجال لشراء ورقة عمل عن أي موضوع كان وحسب، بل سيكتبونها لك من الصفر إن أردت. وهناك مواقع تؤمن أشخاصاً جاهزين لكتابة أوراق العمل لك إلى جانب أي نوع من الواجبات تحتاجه. لحسن الحظ أن هذه الخدمات تأتي بشكل استثنائي، حيث يمكن أن تكلف كتابة هذه الأوراق مئات الدولارات بهذه الطريقة. لذا فإن ولدك المراهق سيحتاج إلى عمل جيد المدخول في نهاية الأسبوع لينفذ هذا الأمر.

وليزيد الطين بلة، يعتبر عدد من الأساتذة والكتاب الذين تفحصوا نتاج هذه المواقع أنه دون المعدل. أي أن مئات الدولارات تلك لا تضمن حتى للطفل درجة B في واجبه.

إن المنهج الوحيد لشكم محاولة الغش هو تنمية الوازع الأخلاقي. وبالإضافة إلى السعي لغرس أخلاقيات الأمانة والدأب في النفوس، سيكون من النافع التحدث عما يخسره المرء حين يلجأ إلى الغش، وأعني بشكل خاص المعرفة. فعندما يأخذون بعين الاعتبار مقدار تأثير قدراتهم الكتابية على حياتهم (بحسب نمط العمل التي سيمتهنونه في نهاية المطاف) سيدرك الأولاد بشكل حاسم أن الجهد الدؤوب يؤتي أُكُله.

التأثير على الأطفال:

لعلك تتساءل بالمحصلة عن تأثير كل هذا الإعلام الرقمي على الأولاد. أَهُمْ أكثر قدرة على التكيف؟ أيتمتعون بطيب عيش ورفاه أكثر مما حصلنا عليه أم أقل؟ حتى هذه المرحلة يبقى الأمر غير محسوم. فالبحث الوحيد الذي أجري في هذا السياق لم يجد أي فرق بين الأولاد المتصلين بالإعلام الإلكتروني وبين أولئك غير المتصلين. ولكن إن كان له من أثر فإن التوازن الشبكي أمر إيجابي. فكر في الأمر للحظة: بمقدورنا أن نقسم المراهقين إلى مجموعتين، الأولى مستوى القلق الاجتماعي لديها منخفض، والثانية لديها من القلق الاجتماعي ما يكفي لأن يجعل المواقف الاجتماعية تتراوح بين الشعور بأنها غير مريحة وحتى الشعور بأنها مفزعة. بالنسبة للمجموعة الأولى فإن الإنترنت لا تحدث تحسناً كبيراً على علاقات المرء الاجتماعية، بل هي بالأحرى مجرد وسيلة أخرى للتواصل مع الناس الذين يعرفهم سلفاً. أما بالنسبة لأولئك الذين يعانون من أي مستوى من القلق الاجتماعي، فإن الإنترنت تفسح لهم مجالات واسعة لكسر الجليد بسهولة أكبر. وهذا ما أكدته إحدى الدراسات التي وجدت صلة على الأقل بين القلق الاجتماعي والكم المتزايد من الرسائل الفورية التي يتبادلها المراهقون.

الموسيقى

روك أند رول نوع من موسيقى اليافعين (وإن كنا نحن الأكبر سناً لا نزال نحبه). إنه يعبر عن جوهر القلق لدى المراهقين، الحصر النفسي الذي يكابدونه، انفعالاتهم، آمالهم، أحلامهم، ومشاعرهم الحقيقة. لقد مضى

زمـن طويل ونحن نسـتمع إلى موسـيقى الروك حتى بتنا نستسـيغ ضوضاءه الموتِّرة للأعصاب. لكن متى يتجاوز الأمر حدود المعقول؟ هل هناك من حدود معينة؟ وأين وكيف ترسـم هذه الحدود؟ تذكر أنه في الخمسـينيات كان يكفي أن يعتبر البعض الحد هو أن يهز أحد المغنين وركه بطريقة معينة. أما الآن فقد بات الأمر يتطلب أن تخلع المغنيات قمصانها لتثور ثائرة الجماهير!

على الرغم من أني لم أكن قد أصبحت أباً بعد حين وقعت حادثة إطلاق النار في مدرسـة كولومبيا في عام ١٩٩٩، فإن كل أب و أم باعتقادي قد راودتهم الخواطر ذاتها: هل يمكن أن يقع الحدث ذاته في مدرسة أولادي؟ ومـع انتشـار قصص إسـاءة المراهقين وتصرفاتهـم العنيفة يطرح السـؤال نفسـه: هل اسـتمع أولئك المراهقون إلى موسيقى الميتل الصاخبة، أو الراب أو غيرها من أنواع الموسيقى الهجومية؟

هل تصنع الموسيقى الهجومية مراهقين عنيفين؟

كمـا قد يخطر لك لقد اتبع البحث في تأثير هذا النوع من الموسـيقى نموذجاً نمطياً. أولاً يعثر الباحثون على علاقة متبادلة بين الموسيقى الهجومية والسـلوكيات السـيئة لدى المراهقين الذين تم إجراء المسح عليهم. ولكن طبعاً ينبثق السـؤال من الوجهة المخالفة للنقاش: من سيستمع إلى الموسيقى المؤذية عدا عن المراهقين الذين ينوون الضرر؟ بمعنى أن الموسـيقى ليس لها أي علاقة بسـلوكهم السـيء. لقد كانت بذرة السوء متوطنة في داخلهم، والموسيقى التي استمعوا إليها كانت تتماشى معها فحسب.

بعدهـا بـدأ الباحثـون بالنظر في الظـروف المحيطـة بالتجربة، حيث بمقدورهـم تعريض الناس إما لموسـيقى هجومية أو غـير هجومية، ليرقبوا

ما إذا كان الأشخاص الذين استمعوا إلى موسيقى هجومية قد قاموا فيما بعد بأفعال هجومية، أو راودتهم أفكار محظورة. لقد وجد جونسون وزملاؤه، هانسن وهانسن، وغيرهم آخرون، أن هذه كانت الحال فعلاً. غير أن الأناس الذين لم تعجبهم النتائج طرحوا التساؤل: كم يدوم مثل هذا التأثير؟ بمعنى أن التجارب تظهر أن الموسيقى العنيفة تجعل الناس يضحون في حالات ذهنية أكثر عنفاً تماماً بعيد التجربة. لكن هل علينا أن نقلق في حال كان الأشخاص في التجربة يعودون إلى طبيعتهم بعد انقضاء نصف ساعة عليها؟

قلة فقط من الأبحاث إن وجدت هي التي تعالج هذا التساؤل الأخير للأسف. لكن هناك بضعة أمور نعرفها يقيناً.

فنحن نعرف أنه إن كان ولدك يستمع إلى موسيقى ذات كلمات عنيفة، فعليك أن تتخذ ذلك مؤشراً محتملاً على متاعب ممكنة قادمة. ومع ذلك هناك حدود ينبغي رسمها هنا. فأنا أذكر والدة صديقي كيف كانت تطفئ المذياع في السيارة لقناعتها المطلقة بأن ابنها كان يستمع إلى أغانٍ هجومية طوال الوقت (في حين أنه لم يكن يستمع إلى أي شيء يختلف عما يستمع إليه بقيتنا). لقد كنا حينها نستمع إلى أغنية لفرقة هوو Who تحوي كلمة «اغتصاب» فيها. غير أن موسيقى تلك الفرقة كانت تعبر عن قلق المراهقين وحصرهم النفسي، ولم تحوِ يوماً أي عبارات محقّرة للنساء، أو مروّجة للعنف.

فإذاً معرفة أي الموسيقى يجب اعتباره مسيئاً هو أمر يستلزم العمل عليه. إذ يتوجب على الأهل الفصل بين الموسيقى الثورية التقليدية للمراهقين،

وتلك الهجومية المسيئة حقيقة. حيث تعامل الأخيرة النساء باستمرار على أنهم أشياء، تعزز العنف، وتضفي بريقاً على خرق القانون.

وصحيح أن موسيقى المراهقين الثورية قد تحوي من حين لآخر بعض الأشياء المقيتة، إلا أن الموسيقى الهجومية بصورة مطلقة تبقى مختلفة كماً ونوعاً لاحتوائها على مضامين فاضحة بتواتر أكبر.

الآثار السلبية:

يظهر البحث في الموسيقى الهجومية وجود آثار سلبية واضحة. حيث يركز الباحثون جل اهتمامهم على مجموعة صغيرة من الآثار. فعلى سبيل المثال، أظهر البحث الذي أجراه باورنغان وهول أن الأشخاص الذين يستمعون بشكل منتظم لموسيقى الميتل الصاخبة، أو موسيقى الراب، يسجلون بشكل واضح نقاطاً أعلى على مقاييس العدوانية ويملكون قيمة اعتبارية للمرأة أدنى من غيرهم. كما أنهم ينزعون إلى عدم الثقة في الآخرين، أكثر من أولئك الأشخاص الذين لا يستمعون إلى هذا النوع من الموسيقى. ومع ذلك تبقى الفروقات معتدلة تماماً. فمثلاً، أولئك المستمعون بإفراط إلى موسيقى الميتل الصاخبة، نسبة احترامهم للنساء تقل عشرة بالمئة عن الأشخاص الذين يستمعون إلى أنواع أخرى من الموسيقى. من ناحية أخرى، نجد أن مستمعي الراب يسجلون نقاطاً أعلى بنسبة خمسين بالمئة على المقاييس النموذجية للعدوانية، مقارنة مع أولئك الذين يستمعون إلى أنواع أخرى من موسيقى البالغين المعاصرة، كموسيقى الدانس، سول، أو الموسيقى الريفية. ولم يكن مستمعو موسيقى الميتل الصاخبة بأفضل حالاً هنا. أضف إلى أن مستمعي الراب أفصحوا عن عدم ثقة متطرفة بالآخرين، في حين احتل مستمعو الميتل المرتبة الثانية بعدهم مع بعض

الفرق. في الحقيقة، إن نسبة عدم الثقة في الآخرين لدى المعجبين بموسيقى سنوب دوغ (راب)، تصل تقريباً إلى ضعف ما هي عليه لدى معجبي جانيت جاكسون التي تغني (سول/ دانس).

وعلاوة على ذلك، توصل الباحثون في عمليات مسح أخرى أجروها في هذا السياق، إلى وجود رابط بين الاستماع إلى الموسيقى الصاخبة أو الراب والعلامات المدرسية المتدنية إلى ما دون المعدل، الزيادة في مشاكل السلوك في المدرسة، النشاط الجنسي في عمر مبكر، تعاطي المخدرات، معاقرة الكحول، وحتى التعرض للاعتقالات. وفي هذا المسح نفسه، وجد أن نصف مستمعي الراب/ميتل تقريباً يملكون علامات متدنية بالمقارنة مع ربع بقية المراهقين، والفرق نفسه وجد فيما يتعلق بالعقوبات المدرسية.

وفي دراسة أجراها توك وجد أن مستمعي الراب/ ميتل لديهم احتمال مضاعف في أن يكونوا نشطين جنسياً (كانت أعمار المشاركين في الدراسة تتروا ح بين ١٢ إلى ١٨ عاماً). وكانت نسبة المراهقين المستمعين إلى موسيقى الراب/ ميتل الذين أدرجوا في برامج استشارية لأجل تعاطي الكحول أوالمخدرات أكثر من الضعف. وأخيراً يتعاطى مستمعو موسيقى الراب/ ميتل الثقيلة المخدرات بنسبة ثلاثة أضعاف عما يفعل بقية المراهقين.

موسيقى الراب وآثارها:

حقاً إن الانتقادات الموجهة إلى موسيقى الراب تزداد عمقاً. في إحدى التجارب التي أجراها جون، جاكسون، وغاتو قسم الباحثون على نحو عشوائي مجموعة من الذكور إلى ثلاث مجموعات. شاهدت الأولى تسجيلات فيديو لموسيقى راب عنيفة، الثانية تسجيلات فيديو لموسيقى

الـراب إنمـا غير عنيفة، أمـا الثالثة فلم تعرض عليها أي تسـجيلات فيديو موسـيقية. بعدها قام الجميع بقراءة قصتين. تحدثـت إحداهما عن زوجين يلتقيان صديقاً قديماً للمرأة، فيقوم الصديق بتقبيل المرأة مما يدفع الرجل إلى دفع المرأة جانباً ولكم الصديق. ثم يسـأل المشـاركون عن رأيهم فيما إذا كان تصـرف الرجـل مـبرراً أم لا. ومن ثم تروى لهـم قصة أخرى، عن صديقين في المدرسـة الثانوية، يقرر أحدهما الذهاب إلى الجامعة (ليصبح محامياً) في حين يسـتنكف الآخر. وحين يعود شـاب الجامعة في زيارة إلى منزلـه، يجد صديقه الذي لم يرتـد الجامعة مرتدياً أغلـى الثياب، ويقود سـيارة باهظة الثمن. وعند سؤاله عن مصدر المال، يخبره صديقه بألا يقلق حيال الموضوع. العبرة كانت في أن الأولاد ليسوا بحاجة للذهاب إلى الجامعة والتعلم ليحصلوا على أشياء جميلة. وبعد هذه القصة يسأل المشاركون أي الشابين يرغبون في أن يصبحوا مثله؟

إجمالاً، بدت احتمالات تقبل المشاركين الذين شاهدوا أفلام موسيقى الـراب بنوعيها لتصـرف الرجل العنيف مع المـرأة وصديقها أكبر بكثير. في الحقيقـة لقد وصلت نسـبة من وجـدوا عنف الرجل مـبرراً إلى الضعف مقارنة مع أولئك الذين لم يشاهدوا أي أفلام. وأكثر من ذلك، أبدى الذين شاهدوا أفلام موسيقى الراب العنيفة استعداداً أكبر للقيام بالشيء نفسه في حال تعرضوا إلى موقف مماثل.

وأخيراً، كما خمنت ربما، أظهر الذين شاهدوا أفلام موسيقى الراب رغبـة أكبر بكثير لأن يكونوا كالصديق الـذي لم يذهب إلى الجامعة. وفي الحقيقة إن الأمر لم يقف عند حدود عزوفهم عن الذهاب إلى الجامعة، بـل تجـاوزه إلى التقليل بحدة بالغة من فرصـه في أن يصبح يوماً ما محامياً

ناجحاً ميسور الحال، مقارنة مع المشاركين في التجربة الذين لم يشاهدوا أفلام موسيقى الراب.

وعلى ما يبدو فإن جزءاً من الآثار المؤذية لموسيقى الراب والميتل تنبثق لا عن الموسيقى ذاتها بل تحديداً عن المضمون الذي تحويه. فمثلاً، في تجربة أجراها بارونغان وهول، قُسم الناس إلى مجموعتين، إحداها شاهدت موسيقى راب تحط من قدر المرأة عموماً، والثانية شاهدت موسيقى راب من أنواع أخرى. ثم طُلب إلى المشاركين اختيار واحد من ثلاثة مقاطع فيديو وإعطاؤه إلى امرأة في فريق البحث. كان أحد المقاطع الثلاثة يحوي مشهداً لاغتصاب جنسي، الثاني يحوي إهانات جنسية، والثالث لم يحو لا اغتصاباً ولا إهانات. فما كان من المشاركين الذين استمعوا إلى موسيقى راب ذات مضمون يحط من قدر المرأة جنسياً إلا أن اختاروا أن يقدموا مقاطع الفيديو غير الجنسية بنسبة سبعين بالمئة. في حين أن أولئك الذين استمعوا إلى موسيقى راب لا تحقّر المرأة اختاروا مقاطع الفيديو الخالية من العنف الجنسي بنسبة ثلاث وتسعين بالمئة. بالمختصر، إن من استمعوا إلى موسيقى راب تحوي مضامين مذلة جنسياً كانت احتمالات اختيارهم لفيديو يحوي عنفاً جنسياً أكثر بأربعة مرات من أولئك الذين لم يستمعوا إلى ذاك النوع من الموسيقى.

فالمغزى إذاً هو أن الموسيقى الهجومية يمكن أن تقود فعلاً إلى اتخاذ خيارات سيئة. ولكن يجب أن يحذر الأهل من انجرافهم نحو منع سماع أي نوع من موسيقى الروك أو الراب في المنزل. بل إن ما ينبغي استخلاصه من الأبحاث هو ضرورة أن يعرف الأهل ما يستمع إليه أبناؤهم. فالموسيقى نافذة الروح، وهم يستمعون إلى الموسيقى التي تمثّل حالهم، وتعكس خارجاً ما يعتمل في نفوسهم.

فغالبية المراهقين يمرون بكثير من التغيرات الهرمونية والاجتماعية. أنا نفسي كنت أستمع إلى موسيقى الجاز وأعزف الغيتار مذ كنت في الصف السابع، وأخيراً انتهى بي المطاف إلى الاستماع إلى بعض من موسيقى الروك الأقل عنفاً (فرقة الغريتفول ديد!). لكنني أيضاً مررت بفترة استغرقت فيها في الاستماع إلى موسيقى الميتل الصاخبة، وامتلكت كل ألبوم غنائي أصدرته فرقة آيرون ميدن حينها. لذا قد يكون من الصعب على الأهل الحكم ما إذا كان التحول في الذوق الموسيقي لأولادهم سيقود إلى تحولات أخرى أسوأ، أم أنه مجرد استكشاف مؤقت لما هو مختلف.

ما الذي ينبغي القيام به في شأن الموسيقى؟

أياً كان الأمر، من الواضح من الأبحاث أن الموسيقى السيئة يمكن أن تؤثر حتى في الأولاد الجيدين على نحو سلبي. فسأقولها لك مرة أخرى، إن كانت المخاوف تتنازعك من هذا الأمر، فالطريقة الأفضل للتعامل معه هي عبر التواصل المنفتح. ولكن قبل أن تباشر هذا التواصل كن على يقين مما يستمع إليه أبناؤك، إذ هناك الكثير من الفرق التي تبدو وكأنها فرق روك وهي ليست كذلك. فلتدون أسماء الفرق التي تجدها لديهم، ثم تفقد ما يذكر عنها على الإنترنت. هناك كثير من المواقع التي يمكن أن تزودك بكلمات الأغاني، فلتقرأها وبعدها تكوّن حكمك الشخصي عنها.

إن وجدت أن المضمون نابٍ فسل أبناءك ما إذا كانوا يفهمون ما يقوله نجومهم، وسلهم ما إذا كانوا يتفقون معه، ثم سلهم ما إذا كانوا يدركون كيف أن آراء نجومهم المحبوبين في الروك قد تكون غير أخلاقية أو من ناحية أخرى لا تمثل ما يحتاج إليه المجتمع. أما أن تلجأ إلى الحط من قدر موسيقاهم أو أذواقهم الموسيقية، فتلك ليست بوصفة ناجحة لتحقيق

المطلوب. بل الحري بك أن تزرع فيهم بذور العقلانية ، وأن تجعلهم يدركون بأنفسهم ما يودونه من موسيقاهم، الأمر الذي ستحصد منه نتائج أفضل.

إنما تجدر الإشارة أنك إن شعرت بولدك مستمراً في سماع الموسيقى التي تحقّر المرأة وتمجد العنف على نحو متواصل، فلربما كان ذلك مؤشراً على جذور في داخله. إنك لن تكون قادراً على منعهم من الاستماع إلى الموسيقى التي تستهويهم، بما أنه يوجد الكثير من الأماكن التي لا تطالها سيطرتك، والتي يمكنهم فيها الاستماع إلى ما يرغبون. لكن إن هم لم يتفهموا مخاوفك، وكان توجّههم إلى الموسيقى السيئة مترافقاً كذلك بانحدار نحو التصرفات السيئة، فلربما قد آن الأوان عندها أن تلجأ إلى معونة المختصين.

تلخيصاً لما ورد في هذا الفصل، إن الأولاد في المرحلة المتوسطة يقومون باتخاذ خياراتهم الخاصة بشأن ما تقدمه وسائل الإعلام. وفي هذه المرحلة تكون سطوتك في التحكم بهذا الموضوع إما محيّدة أو قد باتت غائبة تماماً. لذا فإني أؤيد وبقوة التحول من المراقبة إلى الوقاية، ومن السيطرة إلى التطعيم. فقد لا يكون باستطاعتك التحكم فيما يرونه أو يستمعون إليه، لكن يبقى بمقدورك التقليل من الآثار السلبية لوسائل الإعلام أو حتى إزالتها. التواصل المنفتح هو مفتاح الهداية في هذا الطريق. إنه يتيح لأولادك الفرصة بأن يعلموا أن بمقدورهم اتخاذ القرارت بأنفسهم مما يؤسس لثقة متبادلة تفسح المجال أمام تقبلهم للمعلومات التي يحتاجونها لزيادة وعيهم تجاه الآثار الضارة المحتملة لوسائل الإعلام.

مراجعة الفصل السادس:	
التلفاز والأفلام	
مخاوف أساسية	الجنس والعنف
العلاج	تطعيم (وقاية)، وحوار منفتح مع أبنائك.
شبكة الإنترنت	
مخاوف أساسية	الجنس.
العلاج	التطعيم، الحوار المنفتح مع أبنائك، ترشيح أفضل للبرامج وإشراف مستمر.
الموسيقى	
مخاوف أساسية	العنف، والموسيقى المهينة للنساء.
العلاج	الإشراف، والحوار المنفتح.



الفصل السابع

مرحلة المدرسة الثانوية وما بعدها

أثناء تفكيري في بداية لهذا الفصل، وجدت في طريقي دون قصد شعاراً لإحدى حملات إعادة الانتخاب الرئاسية يقول: «أربع سنوات أخرى!». لقد أمضيت ثلاثة أو أربعة عشر عاماً وأنت تعمل بداية وسيطاً بين أطفالك ووسائل الإعلام، ومن ثم كحام لهم، وأخيراً كمعلم. والآن بقي بضعة أمور لتعلمها لأولادك، لتعدهم لحياةٍ طويلة من العيش بقرب وسائل الإعلام الجماهيرية والتفاعل معها.

حان وقت الاحتفال! (الكحول ووسائل الإعلام)

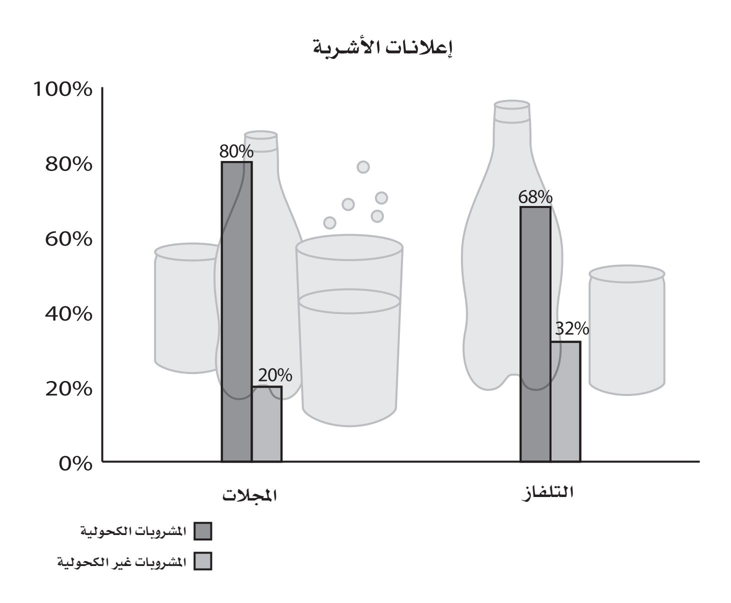
الموضوع الأخير الذي تجرى حوله أبحاث كبيرة يتعلق بكيفية تفاعلنا وعيشنا مع وسائل الإعلام الجماهيرية، والقلق من أن تأثيرات التعرض إلى وسائل الإعلام تشمل:

١. زيادة الوعي للكحول.
٢. فيما إذا كانت الإعلانات عن الكحول مقنعة بالنسبة للأطفال، ولماذا؟
٣. ما إذا كان التعرض للإعلام يزيد من تعاطي المسكرات.
٤. ما إذا كانت وساطة الأهل قادرة على تخفيض أثر التعرض إلى الكحول، أو إزالته، لدى أبنائهم المراهقين.

الإعلانات المتلفزة والمطبوعة عن الكحول:

كم من المضامين المنتشرة التي تحوي صوراً ورسائل عن الكحول؟ تم في إحدى الدراسات التي أجراها أوستن وهاست قياس المجلات العشرين الأهم التي تستهدف من هم في عمر الثانية عشرة وحتى الثانية والعشرين. كما نظرا في الإعلانات التي كانت تبث على التلفاز في إحدى المدن الأمريكية الرئيسة على مدى عشرة أسابيع. فوجدا أنه بالنسبة للأشربة يتفوق الكحول على غيره، إذ تتجه الإعلانات في التلفاز والمجلات على حد سواء إلى الترويج للكحول أكثر من غيره من الأشربة الأخرى غير الكحولية.

وطبعاً معظم الإعلانات التلفازية عن الجعة (البيرة)، أما في المجلات فتجد ثلاث إعلانات عن المسكرات الثقيلة مقابل واحد عن الجعة أو النبيذ. وكما قد تخمن من رؤيتك لمئات من هذه الإعلانات التجارية بنفسك في أمريكا، فإن إحدى نتائج الأبحاث الملفتة للنظر وجود كثير من النساء اللواتي يعاملن كأشياء، وهو ما يدعوه الباحثون بالصورة النمطية الجنسية (كالصورة النمطية للفتاة الشقراء، ورئيسة مشجعات الفرق الرياضية، المتلازمة مع إعلانات الجعة على سبيل المثال).



المصدر: أوستن وهاست

إن سبعين بالمائة من إعلانات المجلات عن الكحول تحوي صورة نمطية جنسية عن النساء، مقابل ثلاثين بالمائة من النساء اللواتي تصورهن الإعلانات التلفازية. قلة فقط من الرجال الذين خضعوا لهذه الصورة النمطية الجنسية، بنسبة وصلت في إعلانات المجلات إلى اثني عشر بالمائة وحسب، مقابل واحد ونصف بالمائة فقط من إعلانات التلفاز. ولعلها ليست بمفاجأة بالنسبة لك أن غالبية الإعلانات التي توجد في صفوة المجلات الاثنتين والعشرين الموجهة إلى المراهقين والبالغين اليافعين، هي نفسها الإعلانات الموضوعة في المجلات الأكثر شعبية بما فيها سبورت إلاستريتد، رولينغ ستون، وبالطبع بلاي بوي. وتطغى إعلانات المشروبات الكحولية فيها على غيرها بنسبة خمس وسبعين بالمئة.

وبما أن الإعلانات عن الكحول تشيع بالدرجة الأولى في أكثر وسائل الإعلام استهلاكاً بين المراهقين، فقد طرح الباحثون التساؤل عن السبب في أن مثل هذه الإعلانات فعالة بشكل كبير.

في إحدى الدراسات، طُلِبَ إلى الأولاد تصنيف الإعلانات التجارية وفقاً للمعايير التالية: موسيقاها، الممثلون والممثلات فيها، الشخصيات الحيوانية، قصتها إجمالاً، وحس الفكاهة فيها. فلوحظ أن الإعلانات التي تتضمن رسالة عن السن القانونية لمعاقرة المشروب، وتلك التي تبرز بشكل أساسي مواصفات المنتج، صنفت على أنها أقل جاذبية من تلك التي تستخدم الفكاهة والمسار القصصي في عرضها. لهذا فإن الأسباب التي تدعو إلى التكلم عن المنتج في مثيلات هذه الإعلانات قليلة، إذ أن الرسالة التي وجهها البحث إلى معلني المسكرات أن بيعوا الصورة لا المنتج.

وليس من الصعب توقع أن هذه الإعلانات تسترعي انتباه المراهقين. حيث يوجد لدى المراهقين الذين يستهلكون الكثير من التلفاز والمجلات معرفة واسعة بالكحول. ولا تقتصر تلك المعرفة على أسماء الماركات وشعاراتها، بل يتعداه إلى القدرة على معرفة اسم المنتج في إعلان أزيل الاسم منه. وعليه فأياً كانت طريقة تناول الباحثين لهذه المعطيات تبقى الصلة واضحة بين التعرض للإعلانات عن الكحول وإدراك ما فيها.

والآن إلى السؤال الحقيقي الذي يدور في خلدكم، هل تؤثر حقاً؟ المدهش أن النتائج كانت مختلطة بعض الشيء. في دراسة لستيسي والزملاء، قام الباحثون بقياس مدى تعاطي الكحول في الصف السابع، ومن ثم أعادوا الاتصال بالمراهقين أنفسهم بعد سنة، بعد أن أصبحوا في الصف الثامن. فوجدوا أن نسبة ثمان وعشرين بالمائة من طلاب الصف السابع أضحت أربعاً وثلاثين بالمائة من طلاب الصف الثامن ممن احتسوا الجعة.

كما وجد الباحثون أن المراهق الذي يتابع التلفاز بكثرة، وبشكل خاص البرامج التلفازية التي يتخللها الكثير من إعلانات المشروبات الكحولية، تكون احتمالات بدئه باحتساء الكحول في السنة المقبلة أكبر من المراهق الذي يتعرض للتلفاز بشكل قليل أو معتدل. وإجمالاً، كان لمستهلكي التلفاز بكثرة الفرصة للبدء باحتساء الكحول بنسبة أقل بقليل من واحد ونصف بالمائة، قبل أن يفعل الأشخاص الأقل استهلاكاً للتلفاز. وعلى أي حال ففي دراسة أجراها أليكسون وزملاؤه، وبحثت في الأطفال أنفسهم عبر الصف الثامن وإلى التاسع، وجد الباحثون نتائج مشابهة، ولكن بإجراء أبحاث إضافية وجد أن تأثير الإعلانات يتنحى جانباً لمصلحة مجموعة من المحفزات الأخرى لاستهلاك الكحول بما فيها المؤثرات الاجتماعية، الروابط الاجتماعية مع الأصدقاء والأهل، وتاريخ الأطفال السلوكي، متضمناً ميولهم إلى الانحراف أو الاندفاع في الماضي. فبالفعل يبدو أن التأثير المفترض لوسائل الإعلام الجماهيرية ليس سوى عامل ثانوي بالنسبة للسلوك. أي باختصار، من الأرجح أن أولادك سيبدؤون باحتساء الكحول لأسباب متعددة تبدأ بالشخصية وتنتهي بالاجتماعية، أكثر من أن يكون السبب مشاهدتهم لإعلانات عن الجعة.

وكذلك الكثير من الدراسات الأخرى التي بحثت في الصلة المحتملة بين إعلانات الكحول والسلوك، قد توصلت إلى نتائج مختلطة مشابهة. في الواقع، إن مراجعة قديمة نوعاً ما لما كتب عن هذا الموضوع، وجدت أن التأثير ضعيف في أحسن الأحوال.

بدورهم قام باحثون آخرون بدراسة مسألة ما إذا كان لوساطة الأهل أي دور في تعديل الآثار التي يمكن أن تكون لإعلانات المشروبات الكحولية على المعرفة والمواقف وربما السلوكيات.

حتماً هناك حشد من الدراسات التي وجدت أن مراقبة الأطفال بشكل عام في مسألة استهلاك المسكرات يمكن أن تكون فعالة (بغض النظر عما إذا كانوا قد تعرضوا لإعلانات عن الكحول أم لا). وهذه المقولة تصح بالنسبة للمخدرات والسجائر أيضاً. غير أن الباحثين لم يستطيعوا حتى الآن أن ينجحوا في تحديد ما إذا كانت المراقبة والحد من تعرض الأطفال لإعلانات المسكرات فعالة بشكل خاص.

وعليه فبالنظر إلى الأبحاث التي أجريت عن الكحول والمخدرات، نجد أن الصلة ضعيفة، إن وجدت، بينها وبين الإعلانات. إلا فيما يتعلق بالوعي الأساسي بأسماء الماركات والشعارات. ولا يتسع المجال في طيات هذا الكتاب لمناقشة الوقت المناسب لكي يبدأ الأولاد بشرب الكحول، أو ما يتوجب فعله عندما يحدث ذلك. ففي الحين الذين يصل فيه الفتيان والفتيات إلى مرحلة الدراسة الثانوية، يكون قرابة ثلثهم قد بدؤوا بالشرب إلى حد ما. ولا ريب أنك إن كنت تشك بوجود مشكلة أو تتوقع ببساطة أن يبدأ الشرب في مرحلة مبكرة جداً بالنسبة لما تعتقده مناسباً، فيجدر بك أن تسعى لتحصل على معلومات عما ينبغي فعله، وأن تدرس خياراتك ملياً قبل أن تبدي ردة فعلك.

التلفاز والأفلام وقيم تدوم مدى الحياة

تحدثت سابقاً عن كيفية تكوّن التصور لدينا عن التلفاز ووسائل الإعلام الجماهيرية على أنها قاصّو القرية. وفي تلك الفصول الأولى من الكتاب، كان اهتمامنا منصباً على كيفية تشويهها «لمعارفنا» عن العالم الواقعي. إنها تجعلنا باختصار نعتقد أن العالم أكثر عنفاً وأكثر انتشاراً للممارسات الجنسية مما هو عليه، وعلى الأقل، بسبب بعض وسائل الإعلام،

بتنا نتصور بعض الممارسات الخطرة كالتدخين وشرب الكحول أكثر تفشياً مما هي فعلاً. الأكثر من ذلك أنَّ وسائل الإعلام تسبغ علينا منظومة من القيم. فتجدنا إلى حد ما نمضي في حياتنا معتمدين على منظومتين من القيم، أولاهما قيم التأثيرات في حياتنا اليومية، وثانيتهما القيم التي تنقلها الشخصيات والقصص والرسائل المتضمنة في وسائل الإعلام.

إحدى الأشياء التي يعتقد أن التلفاز، ووسائل الإعلام بشكل عام، يقومان بها هي تمجيد قيم الرأسمالية. وهو ما أمضى الكثير من الباحثين والدارسين سنوات عمرهم في التأكيد عليه، ووصف كيفية حدوثه بدقة.

حتماً، إن الرسالة التقليدية في أمريكا هي أن الجد والمثابرة تؤتي ثمارها، وأن أي شخص أمريكي يطمح إلى الثراء. وتقوم وسائل الإعلام بتخليد هذه الصورة، حيث يدفعنا الأشخاص الذين نراهم على التلفاز للاعتقاد بأن أمريكا أوفر غنى بكثير مما هي عليه حقيقة. إذ في النهاية تلحظ أنه مقابل كل عشرة محامين يظهرون شخصيات في المسلسلات أو الإعلانات التلفازية، هناك ربما عامل أو مزارع واحد فقط. ولا يحرِّف التلفاز اعتقادنا بمقدار غنى بقية أجزاء أمريكا وحسب، بل إنه يتصل أيضاً بقبول عام للقيم الرأسمالية لكون مشاهدي التلفاز بإفراط يبلغون عن مساندة أكبر للأنظمة الرأسمالية من الأشخاص الأقل مشاهدة له.

إنما بعيداً عن الرأسمالية، فإن قيمنا الأساسية العامة التي تحدد ماهية مجتمعنا تتأثر أيضاً بوسائل الإعلام الجماهيرية. لقد قام أحد الباحثين باستكشاف عدد من القيم المحددة بما فيها: «الخير ينتصر على الشر»، «في الصدق النجاة»، «استرخ، لا تأخذ الأمور على محمل الجد أكثر من اللازم»، «من الأفضل أن يكون المرء محظوظاً على أن يكون

ذكياً أو قوياً»، «الدأب يحصد المكافآت»، إذ وجه السؤال إلى المراهقين إلى أي درجة يعتقدون أن هذه المواضيع وغيرها مكرسة في وسائل الإعلام الجماهيرية. ثم سأل المراهقين عن مقدار مشاهدتهم للتلفاز وفقاً لنوع البرنامج الذي يشاهدونه. باختصار قام الباحثون بقياس مقدار ما شاهده الأولاد من أخبار مقارنة مع برامج الألعاب، أو البرامج الكوميدية، إلخ. فتبين من النتائج كافة وجود صلة واضحة بين استخدام وسائل الإعلام والقيم التي يربطها الناس بوسائل الإعلام. على سبيل المثال، أولئك الذين يعتقدون أن وسائل الإعلام تعزز فكرة أهمية الحظ في حياة المرء، هم الأشخاص الذين يشاهدون تماماً البرامج التي تنبأتم بها، برامج الألعاب! ماذا عن مقولة «لا تأخذ الحياة بجدية أكثر من اللازم»؟ إنهم مشاهدو برامج الكرتون. أما من يتابعون بكثرة برامج المحادثات، فإنهم يؤمنون أن الدأب والجد في العمل يعود بالخير الوفير. ولا عجب في ذلك حيث إن العدد الوفير من الضيوف فيها يؤكدون على هذا المغزى. وكذلك كان حظ البرامج الرياضية مماثلاً من حيث العلاقة مع هذا المغزى.

ماذا عن «النجاة للقوي فقط»؟ المثير للاهتمام أن مشاهدي البرامج المنزلية لم يجذبهم هذا المبدأ، بل على العكس كان لديهم بغض شديد لفكرة أن يكون هذا صحيحاً! ولكنهم على الأقل شعروا أن في الصدق النجاة.

وهكذا، فكما توضح هذه الدراسة، إننا نتلقى رسائل من وسائل الإعلام سواء اعتقدنا بصحة ذلك أم لا، فهي تدخل عميقاً في تكوين الأفكار ورواية القصص عن الواقع، وكل قصة فيها عبرة أو رسالة. وإدراكك هذا الأمر يزودك بالقوة لأن توصل هذه المعلومات إلى أولادك. إذ بمقدروهم أن يفهموا مثلنا أن ما نحن عليه الآن وما نريد أن نكون عليه

في المستقبل يتأثر بشكل جزئي بوسائل الإعلام الجماهيرية. فإن تفكرت في الأشخاص الذين التقيتهم في حياتك، ستجد أناساً على طرفي النقيض في هذا المجال. في الجامعة، تعرفت إلى شبان يشاهدون التلفاز أكثر مما ظننت ذلك ممكناً بالنسبة للمرء. إذ لم يكن التلفاز يعمل خمس أو ست ساعات يومياً وحسب، بل كانوا يتابعون ما يعرض بانتباه طيلة تلك الفترة، ولم يكن يعمل مجرد خلفية. من ناحية أخرى، تعرفت إلى أصدقاء طحنتهم عجلة العمل والحياة بدورها إلى حد لا يبدو معه أنهم يستطيعون معه التوقف. ومن بين الأصدقاء الذين عرفتهم على هذه الشاكلة، لم يكن أي واحد منهم يملك جهاز تلفاز، إذ ما من ساعات كافية في اليوم لأن يمضوها قبالة التلفاز.

باختصار، لوسائل الإعلام تأثير في التوجه السائد لدينا، إنها تهدهدنا لنختار من ضمن مجموعة محددة من خيارات التفكير والتصرف. وبغض النظر عن مقدار ما يستهلكه أبناؤك من وسائل الإعلام، فمن الأهمية بمكان أن يعوا هذا النمط من التأثير عليهم. وصحيح أنه تأثير رقيق غير أنه ماكر، ويمكن أن يكون ذا سطوة كبيرة على البعض. بتثقيفك إياهم إعلامياً، وبتعليمهم الآثار التي يمكن أن تملكها وسائل الإعلام، نأمل أن يساعدهم ذلك على صنع شخصياتهم الخاصة، وكيانهم المتفرد، دون أن يضطروا لاستعارة واحدة مما يقدمه الإعلام. لأن هذا في النهاية منتهى ما نطمح إليه، وهو أن يصبح أولادنا الأشخاص الذين يقررون لأنفسهم. فمن الأفضل أن يختاروا بأنفسهم، عوضاً عن أن يختاروا من الصور التي يشاهدونها في وسائل الإعلام.

الحاسوب والإنترنت

لقد قطعنا شوطاً طويلاً في موضوع الحاسوب والإنترنت حتى الآن. لكن من المهم أن نخوض فيه بعد لنراجع موضوع الشبكات الاجتماعية، لأنه في المرحلة الثانوية وما بعدها يأخذ الأولاد بالانتفاع منها أكثر فأكثر.

الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية يتحول إلى علاقات اجتماعية عميقة:

ناقشنا في الفصل الماضي التوجه إلى شبكات الارتباط الاجتماعية الإلكترونية لدى مراهقي اليوم. لقد درستُ نوعية وسائل الإعلام ودرجة الانتشار التي استخدموها للتواصل وإظهار شخصياتهم. وكما سبق الذكر، إن وسائل الإعلام الإلكترونية سبيل ممتاز «لتجربة» جوانب متنوعة من شخصية المرء. وفي سنوات المدرسة الثانوية، يمكن وقوع هذه التجارب بتواتر أكبر. فقد أظهرت دراسات حديثة أجراها فالكنبيرغ، شاوتن، وبيتر، في الحقيقة أن نصف مستخدمي غرف الدردشة أو الرسائل الفورية ممن هم في سن الثامنة عشرة، قد وضعوا شخصياتهم قيد التجربة من خلال الإنترنت.

ولماذا يجربون على هذا النحو؟ أولاً، يشكل الاتصال الإلكتروني منبراً مثالياً لتجارب من هذا النوع. مرة أخرى كما سبق ونوهت، تميل الإنترنت لأن تمثل الطريقة الأسهل للتواصل بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من أي نوع من القلق الاجتماعي. لذا فقد توصل هذا البحث على من هم في سن الثامنة عشرة، أن التغلب على الخجل كان أحد دوافع خوض التجربة بهوية المرء على الإنترنت. وأخيراً فإن تجربة الهوية قد استخدمت لصالح الأولاد، حيث إن التغير في الهوية كان يقصد منه تيسير الروابط

الاجتماعية مع الآخرين. من جديد إن ذلك لا يختلف كثيراً عن نمط التواصل الذي يجريه الفتية وجهاً لوجه.

عندما يقوم الفتية والفتيات بتجربة هوياتهم على الإنترنت، ما الذي يذكرونه (والذي يتغاضون عنه)؟ نصف من شملتهم الدراسة قالوا بأنهم ادّعوا بأنهم أكبر سناً بقليل مما هم عليه. وإجمالاً، أصاب حوالي واحد من أصل عشرة واحداً على الأقل من التغييرات التالية: غدا أكثر عبثاً وجاذبية، تظاهر بأنه واحد ممن يعرفهم في الحياة الواقعية، التظاهر بأنه شخص آخر تماماً. المثير للاهتمام، أن نسبة الفتية الذين جربوا ابتداع هذه «الهوية المتخيّلة» كانت تقريباً ضعف الفتيات اللاتي فعلن الشيء نفسه.

ولكن بشكل عام يمضي الأطفال معظم وقتهم على الإنترنت بهوياتهم الحقيقية. كما أن علاقاتهم الحقيقية مع الآخرين تغدو أكثر عمقاً مع تقدمهم في السن. فتقريباً الفتية والفتيات كافة الذين يستخدمون الإنترنت يتفاعلون مع أصدقائهم عبرها. ولكن ماذا عن تطوير علاقات عبر الإنترنت مع أشخاص لم يلتقوهم قط (حتى الآن)؟ وماذا بشأن أن يتجاوز هؤلاء مستوى المعرفة على أنه صديق لأحد الأصدقاء، ويصبحوا أصدقاء حقيقيين يشاطرهم المراهقون الأمور التي تهمهم؟ بصورة عامة، إن هذا النسبة ضئيلة، إذ وجدها وولاك، ميتشل، وفينكلور في دراسة أجروها، سبعة بالمائة من مجموع المراهقين. وفقط اثنان بالمائة من هؤلاء وطدوا علاقات حميمة إلى درجة كافية لاعتبار الشخص الآخر الذي يتم التواصل معه حبيباً أو حبيبة، لأن حصول هذا التطور في العلاقة صعب كما قد تتوقع دون نوع من الاتصال الشخصي. ولكنه مع ذلك يحدث، وبشكل خاص فإن واحداً من كل ثلاث علاقات غير شخصية ولكن مقربة على الإنترنت تضحي رومانسية إلى حد ما.

حوالـي ثلث هـذه العلاقات يبدأ عن طريق أحد المعـارف من الأهل أو الأصدقـاء. فقد أخبر ثلاثة أربـاع المراهقين أن ذويهم كانوا على علم بهذه العلاقـات. المهـم في الأمـر، أن قلة من المراهقين هم من وجـدوا هذا الأمر سلبياً، في حين أن الجميع تقريباً اعتبروا هذه الخبرات إيجابيةً.

لا بد من أن مفهوم القرب والحميمية في الصداقات عبر الإنترنت يجيء بعـد الصداقات الشـخصية بدرجـة. فأصدقاء الإنترنـت لا يملكون ميزة الوقـت (أما الأصدقاء الشـخصيون موجودون حول المرء فـترة أطول)، ولا ميـزة التفاعليـة (إذ ليس بمقدورك لعب كرة القدم أو التسـوق أو الذهاب إلى السـينما مع أصدقائك في الإنترنـت)، وكذلك كمية التواصل (حيث باسـتطاعتك أن تخـبر أحدهم عن طريق الـكلام أكثر بكثير مما تفعل عن طريق لوحة المفاتيح في المدة الزمنية نفسـها). ومع ذلك فكما شـهدنا، إن عدداً ضخماً من الصلات التي يقيمها المرء عبر الإنترنت هي مع أصدقاء قد التقاهم شخصياً كذلك. في الواقع إن ثلاثاً وتسعين بالمائة من أصدقاء الإنترنـت المقربين، هم أيضاً أصدقاء شـخصيون حميمون. ومن بين هؤلاء فقـد توصلت الأبحاث إلى أن التقارب عبر بيئة الإنترنت يضفي بعداً جديداً على العلاقة ويوطد أواصرها. ويتمحور الأثر السـلبي الوحيد للتواصل عبر الإنترنت حول الاتصال مع الغرباء، وتأثير ذلك على المفهوم الشخصي للمرء لطيـب العيـش. بمعنى أن معظـم الأبحاث قد وجدت لـدى المراهقين الذين يتواصلون مع الغرباء عبر الإنترنت مسـتويات أدنى من الرضا بشـكل عام عن حياتهم. وطبعاً لا ينفي هذا أن يكون الأمر مؤشراً لأشياء أخرى، وأن احتمـال لقائهم للغرباء عبر الإنترنت ما هو إلا محصلة جزئية لهذا الشـعور بعـدم الرضا. وعلى أي حال، فقد توصلـت أبحاث أخرى بدورها إلى وجود

شعور أقل بالرضا في العلاقات مع الأسرة والأصدقاء، فإذاً ما نزال بحاجة إلى مزيد من الأبحاث في هذا المضمار.

كما سبق وناقشنا في الفصل السالف، فإن من يعانون من سويّات متفاوتة من القلق الاجتماعي يستخدمون التواصل عبر الإنترنت لأنه نمط أقل توليداً للضغط والإجهاد النفسي من ذاك الذي يعتمد على التواصل وجهاً لوجه. وقد بيّنت دراسة عن المراهقين أن أولئك الذين يعانون من مستويات حادة من القلق الاجتماعي يسجلون بلا ريب مستويات أعلى من التواصل عبر الإنترنت والمتضمنة كشفاً عن الذات.

فإذاً، بنظرة شاملة نجد أن طلاب المرحلة الثانوية يطورون علاقات إلكترونية أكثر عمقاً مع أصدقائهم. وانطلاقاً من الأبحاث السابقة كلها ، يجب اعتبار هذا الأمر طبيعياً بالنسبة لجيلهم. فمن الواضح أن التواصل عبر الإنترنت له مزاياه ومساوئه، إنما إجمالاً ليس هناك ما يقلق بشكل جوهري من انغماس ولدك المراهق شيئاً فشيئاً بهذه الطريقة من التواصل، باستثناء ما راجعناه آنفاً بخصوص الغرباء، سرقة الهويات، المضامين الجنسية، وما شابه.

ثقافة وسائل الإعلام

من المؤمّل أن يكون هذا الكتاب قد لعب دور المحفز بالنسبة لك لتدرك أبعاد التثقف إعلامياً، ومن ثم أن تنقله لأبنائك. حيث أن التثقف إعلامياً يعني عدداً من الأمور، ويأتي على رأسها أن نطلع بشكل واف على ما تم الكشف عنه من قدرات لوسائل الإعلام على التأثير علينا

صغاراً وكباراً على حد سواء. وبشكل خاص ذاك الأثر الذي تملكه على معرفتنا بواقعنا، وعلى مواقفنا تجاه ذلك الواقع، وعلى سلوكياتنا في حياتنا اليومية بمجملها. ولا يمكن للمرء أن يوعّي الأطفال بما تفعله وسائل الإعلام دون أن يحيط هو نفسه بالأمر. لذا فعلى الرغم من أنك على الأرجح قد ابتعت هذا الكتاب لتحمي أولادك وتعلمهم ما يلزمهم معرفته بخصوص وسائل الإعلام، فما قد فعلته قبل كل شيء فعلاً هو أنك ثقفت نفسك إلى حد بعيد، فعرفت كيفية تفاعلها مع الناس، وتأثيرها بهم. والآن بتمريرك لهذه المعلومات إلى أبنائك تكون قد ثقفتهم إعلامياً.

والآن ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة لإتمام هذا الكتاب، دليل النجاة للأهل في خضم بحر وسائل الإعلام العاتي، أعتقد أنه من الضروري مراجعة الدروس التي حفل بها. لأن هذه هي الدروس ذاتها التي ستنقلها إلى أبنائك فيورِّثونها هم أيضاً إلى أبنائهم يوماً ما. فما الذي تعلمناه:

١. الكم مهم: كلما ازداد الكم الذي يشاهده الأطفال الصغار جداً من التلفاز، كلما زاد احتمال وقوعهم تحت وطأة تبعاتها السلبية. بدءاً من مشاكل الانتباه (إلى درجة ما) وانتهاء بالعدوانية. بالنسبة إلى الأطفال الأكبر سناً، كلما استغرقوا فيما تقدمه وسائل الإعلام، كلما نما لديهم الاعتقاد بأن العالم مكان ترتع فيه الخسة، الجنس، والعنف ولاحقاً سيزدادون تقبلاً «لقيم التلفاز» بدلاً من القيم التي يرشدهم إليها ذووهم.

٢. يمكن للتلفاز أن يكون معلماً: ولكن لا ننسى بأن النوع الذي يعرضه التلفاز هو المهم.

٣. لا ينبغي للأطفال امتلاك تلفاز في غرفهم: المبدأ بسيط وواضح.

٤. الموسيقى غذاء الروح: على الأقل إنها كذلك إن كانت جيدة وموجهة للأطفال الصغار.

٥. للموسيقى القدرة على الإقناع كوسائل الإعلام الأخرى، إن لم يكن أكثر: الموسيقى العنيفة مرتبطة بالتوجهات العنيفة إلى حد ما. والموسيقى التي تحط من قدر المرأة يمكن أن تولد لدى الصبية المراهقين نظرة مهينة إلى المرأة.

٦. يمكن للحواسيب أن تعلم: على الرغم من آراء أولئك الذين يريدون للأطفال اللعب خارجاً طيلة اليوم، فقد أظهرت الدراسات أن للحاسوب القدرة على إحداث آثار تعليمية إيجابية بحق.

٧. الإعلانات تفعل فعلها: ليس لدى الأطفال الصغار أي حواجز دفاعية. فيتوجب على الأهل بناؤها في أبكر وقت ممكن، حالما يصبح الطفل على سوية كافية من التعقيد إدراكياً لأن يفهمها.

٨. وسائل الإعلام تزخر بالعنف: فقسم كبير من برامج الكبار عنيفة. وبالاستناد إلى الكيفية التي نعرف بها العنف، نجد أن برامج الأطفال لا تقل عنها عنفاً بل وربما تزيد. استخدم أنظمة التصنيفات، الترشيح (الفلترة)، رقاقات الحماية V Chip لتحد من تعرض الأطفال إلى تلك البرامج.

٩. على الرغم من أن الإنترنت لا تغرق في بحر من الإباحية، إلا أن الأولاد بحاجة إلى الحماية مع ذلك: تعلم كيفية استخدام برامج الترشيح الحاسوبية، وثقف نفسك باستمرار حول آخر الخدع والاستراتيجيات المستخدمة للالتفاف عليها، وذلك في سبيل حمايتهم من المضامين البغيضة.

١٠. لألعــاب الفيديو القــدرة على التعليم: يمكنها أن تعزز التناســق بين حركة العين واليد، كما بإمكانها أن تعلم أن العنف أمر طبيعي.

١١. يمكن لوسائل الإعلام أن تنبه الأولاد ليتناولوا المسكرات ويدخنوا: ومع ذلك فإن الرسائل الإيجابية عن هذه المواضيع بمقدروها أن تترك أثراً لدى أبنائك. فلتتحدث معهم في هذه المواضيع قبل أن يشاهدوها في وسائل الإعلام.

١٢. وســائل الإعلام كافتها يمكن أن تســبب الإدمان عليها: فالتلفاز، ألعــاب الفيديــو، الإنترنت والحاســوب جميعها يمكــن الإفراط في اســتخدامها. فإن كان هناك من ســلوك يمكن له إظهار أســوأ ما تعلمه وسائل الإعلام للإطفال، فهو السلوك الإدماني.

١٣. .ســيلتقي أبنــاؤك المراهقــون بالكثير الكثير من الأشــخاص على الإنترنــت: أصدقــاء، معارف، ومــن المحتمل ضــواري إنترنت أيضاً ولصوص هويــات. التفاعل عبر الإنترنت أمــر طبيعي، فقط احرص علــى أن يعــرف أولادك عمن يجب الابتعاد، وما يجب عدم كشــفه على الإنترنت (كالمعلومات الشخصية).

١٤. الثقافة الإعلامية تجعل الناس أكثر فطنة: تعلم الثقافة الإعلامية، التفكــير النقدي. إنها تتيح للناس أن يحيوا دون قيود، حيث يصبح بمقدورهم أن يكوّنوا آراءهم الخاصة عما يحيط بهم عوضاً عن أن يكونوا مدينين بالفضل إلى مؤثرات وسائل الإعلام وحسب. إضافة إلى أن الثقافة الإعلامية والتفكير النقدي يمكن أن يعلّما الأطفال أن يصبحوا أكثر تحليلاً للأمور في المستقبل.

بالمختصر لقد تعلّمتَ الكثير! والدرس الأخير سيكون عن كيفية الاستمرار والمواظبة أنت وأولادك على أن تكونوا مثقفين إعلامياً وناقدين لما يقدمه الإعلام. من المهم التنويه إلى أن كون المرء مثقفاً لا يعني بالضرورة أن يتخذ موقفاً سلبياً. فالهدف البعيد أن نستمتع بما يقدمه الإعلام لا أن نذمّه. لذا فمصطلح «الناقد» هنا يعني أن يكون المرء واعياً على الدوام، وأن يطرح التساؤلات ويفكر في الرسائل التي تقدمها وسائل الإعلام الجماهيرية. فالإعلام الترفيهي مُصمَّم إلى حد كبير بطريقة تشجعك على عدم التأمل في محتواها. إذ يضحي تحليله عملاً مضنياً نسبة لأمرٍ كثيراً ما تستهلكه بغرض أن تنفض الأعباء عن كاهلك وتمضي بعض الوقت خاملاً.

فما أفضل طريقة تُجنِّبك أن تصبح ناقداً متلكئاً لوسائل الإعلام، وتحولك إلى ناقد عملي أتوماتيكي لها؟ البداية تكون في أن تدرّب نفسك على التفكير باستمرار في عدد محدد من الأسئلة التي يمكن للمرء أن يطرحها عن الإعلام أثناء مشاهدته إياه، برنامجاً تلو برنامج. وذلك بغية أن تفهمه على نحو أفضل، وتفهم الرسائل الكامنة فيه. وهذه الأسئلة هي:

١. ما الذي يتم الترويج له عبر هذا الإعلام؟ بشكل خاص، أي المواقف والقيم التي يروِّج لها على أنها جيدة، وهل تستحق ذلك فعلاً ؟

٢. هل يتم تصوير المجتمع على الصعيد العام والأشخاص على الصعيد الخاص، على نحو دقيق؟

٣. ما الذي يُتحرّق له في البرامج التي يقدمها الإعلام؟ تحديداً ما الذي ترغب بتحقيقه الشخصيات، وكيف يسعون لأجل ذلك؟

٤. كيف يتم خلق المزاج والانفعالات عبر الخلفية والإضاءة وزاوية التصوير، إلخ؟

٥. كيف سيؤوِّل الأشخاص الآخرون ما تشاهده، تبعاً لاختلاف إرثهم الثقافي وقيمهم وتنشئتهم؟

في حين تتابع أنت وأولادك التفكير في هذه الأسئلة من برنامج إلى آخر، ستلاحظ أنك تفكر بها بتواتر أكبر تلقائياً، دونما وعي منك، ودون حث على فعل ذلك. عندما يبدأ هذا بالحدوث، تعلم أنك في طريقك لأن تصبح مستهلكاً ناقداً للإعلام، والغاية هي أن تصل إلى مرحلة لا تحتاج معها إلى بذل الجهد لتكون ناقداً، بل يأتي ذلك بشكل طبيعي.

إنك بتثقيفك لأبنائك إعلامياً، وبتبادلكم الأحاديث التي تدور حول هذه الأسئلة النقدية، فإنهم سيغدون مع الوقت هم أيضاً مستهلكين ناقدين بشكل طبيعي لوسائل الإعلام. سيصبحون في موقع القيادة لحياتهم بدلاً من الانقياد لآخر الصرعات الرائجة، أو للقيم المتضمنة في نظام البث في وسائل الإعلام.

الإعلام والحياة

وسائل الإعلام ستبقى موجودة معنا على الدوام، في حال أنك لم تكتشف ذلك حتى الآن. إننا نمضي في حياتنا ونحن نستهلك الوسائل الإعلامية كل يوم، وبكمّ وافر. إن الإعلام ليس سيئاً بشكل موروث، بل قد يحوي مضامين سيئة. والأشخاص السيئون قد يظهرون فيه بصورة شخصيات شريرة في الأفلام أو ضوارٍ مستغلّين على الإنترنت. صحيح أن

الإعــلام قــد بات هو قاص القرية بالنسـبة لنا، غير أن هذا ليس أمراً سـيئاً برمتــه. إذ مقابـل كل قصة حمقــاء يتفتق عنها التلفاز، أعتقد أنك سـتجد الكــم نفســه من مثيلاتها في الكتب. تذكّر أن لــدى الإعلام الكثير مما يقدمــه، مــن قصص جيــدة، إلى أخلاق وعبر، وحتى معرفــة. إن الهدف من هذا الكتاب على عكس العديد من الكتب المتوفرة في هذا المجال، ليس أن تقوم بفصل أولادك كلية عن وسائل الإعلام، بل أن تفصلهم عنها عندما تستطيع، وأن تحميهم منها عندما لا تستطيع. لأنك حين تُقدم على أمرٍ كهذا تضع أولادك في مواقف سلبية أمام عالم اليوم المتصل بكل أشكال الإعلام الرقمــي. الأحرى بك أن تبقيهم متصلــين، إنما ليس الوقت كله، وليس مع العناصر المقيتة الموجودة في كل من الأشــكال الرئيســة لوســائل الإعلام. وبينمــا يتقدم أولادك في المراحل العمريــة المختلفة، ثقفهم إعلامياً، طعّمهم بحيث يستطيعون عند اتصالهم بوسائل الإعلام أن ينبذوا الرسائل والتأثيرات السيئة المحتملة، ويفيدوا إلى الحد الأقصى من الجيدة منها.

لا يتوجــب على الأهــل أن يكونوا خارقين، لكن بمــا أننا نعيش جميعاً في هــذه البوتقــة التي تدعى الإعلام، فيتعين علينــا أن نتعلم كل ما يخصها، لنفصل مآثرها الحسنة في المجتمع عن إسهاماتها السلبية فيه. وما إن تنقل هذه المعرفة إلى أبنائك حتى تكون قد ساعدتهم على أن يعيشوا حياة مرنة، بمعنى أنها حياة يمسكون فيها بزمام الأمور، ولا يكون أثر الإعلام فيها مفرطاً.

لقد بني هذا الكتاب على ما تم جمعه من أبحاث، فأنا لم أذكر أياً مما سـبق انطلاقاً من رأيي الشـخصي. ومع ذلك فللبحث حدوده، إذ إنَّ العلماء لم يكتشفوا إلا جزءاً يسيراً وإن كان عظيم الأهمية مما يمكن لوسائل الإعلام أن تفعله أو لا تفعله. لكن إن خرجنا لثانية من تحت ظل الأشجار لنلقي نظرة شاملة على الغابة في النور، لتبين لنا بوضوح أن البحث يكشف عن حقيقتين

جوهريتـين يقينيّتين عـن العيش في عالم وسـائل الإعـلام الجماهيرية وتربية أبنائنا فيه، هما: ليكن كل شيء باعتدال، والمعرفة قوة.

فلتعش حياتك ولتنشـئ أبناءك وفقاً لهاتين القاعدتين، وستضمن على الأرجـح حيـاة منتجة في أحضان هذه القرية التي ندعوها : وسـائل الإعلام الجماهيرية.

مراجعة الفصل السابع:	
التلفاز والأفلام	
مخاوف أساسية	المواقف المتخذة تجاه الكحوليات وتعاطيها.
العلاج	تطعيم (وقاية)، وحوار منفتح مع أبنائك.
الإعلان وثقافة الإعلام	
مخاوف أساسية	تأثير الإعلام على القيم والأفكار.
العلاج	الثقافة الإعلامية المتقدمة.